يــوم القيــامة

بين التأصيل الديني والعقلي

اسم الكتاب: يوم القيامة بين التأصيل الديني والعقلي
اسم المؤلف: حسني محمد العطار

مؤسسة نافذ للبحث والطباعة والنشر

الطبعة الأولى: 1443هـ-2021م

تنسيق الكتاب: د. نافذ الجعب

تصميم الغلاف: أ. عبد الرحمن أبو نار

دراسات في العقيدة

الكتاب الثاني

يـــوم القيـــامة

بين التأصيل الديني والعقلي

الأستاذ

حسني محمد العطار

رفح _ فلسطين

1443هـ-2021م

مطبعة نافذ
0599920845

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أخي ورفيق درب الدراسة والدعوة

توفيق عبد الله أبو نعيم

حفظه الله

المقدمة

الحمد لله، الخالق، البارئ، المبدع، المحيي، المميت، جل وعلا في مُلكه وملكوته.

والصلاة والسلام على النبي المبعوث رحمة للعالمين، هادي الحيارى لشاطئ الأمن والأمان، الآخذ بأيدي المؤمنين على الصراط المستقيم، والهادي لهم إلى طريق الجنّة، والنجاة من الجحيم.

أما بعد:

الموت والحياة والبعث والحساب، قضايا شغلت العقل الإنساني على مدار تاريخ البشرية الطويل، اهتدى خلالها من اهتدى، وضل خلالها من ضل، حاول الإنسان أن يصل من خلال عقله، وفكره إلى كلمة فصل في هذه القضايا، فما كان إلا أن ازداد تيهاً وضلالاً، والسبب أن العقل وحده لا يكفي في مثل هذه القضايا.

أمرُ الغيب لا يدلنا عليه إلا من علم هذا الغيب أو اطلع عليه، ولا يعلم الغيب إلا الله، ومن ارتضى من نبي أو رسول.

إن الكتابة عن الغيب لا تكون إلا من خلال مصادر الغيب، وهي عندنا القرآن والنبي محمد عليه السلام، فهما بالنسبة لنا نحن المسلمين المصدر اليقيني الثابت الذي نستقي منه كل ما نحتاج إلى معرفته من أخبار عن ذلك الغيب.

اليوم الآخر يُمثل لنا نحن المسلمين ملاذ الأمن والسلام، فيه نجد المستقر والعدل، فيه نجد التعويض عن كل ما كنا محرومين منه في الحياة الدنيا، الخوف الذي نعيشه في الدنيا، سيعوضنا عنه

الله سُبحانه وتعالى أمن وسلام، الظلم سيعوضنا عنه الله عدلاً وإنصافاً من الظالمين، الفقر سيُبدله الله لنا غناً ورفاهية.

المؤمن يُحب الآخرة لما فيها من خير وبركة، والكافر يخاف الآخرة ويكره مثل هذا اليوم لما فيه من قصاص عادل وعقاب أليم عما فعل في حياته الدنيا .

حاولت في دراستي هذه أن أُطوّف بها شرقاً وغرباً، بين القديم من الأفكار والحديث، بين ما له صلة بالسماء، وما صلته بالأرض، فإذا بالشرق والغرب، وإذا بالسماء والأرض كأنها من نبع واحد، الكل يُؤمن بالآخرة . . الفرق أن كل اتجاه يتحدث من خلال أفكاره، إلا أن الجميع يربطه ببعضه روابط ذات صلة قوية.

لقد كتب قبلي مئات بل ربما آلاف في هذا الموضوع، حاولت أن أكتب بروح الدين والعقيدة من مصادرها الثابتة اليقينية، عند أصحابها، ولقد قمت بعرض هذه الأفكار والمعتقدات كما هي عند أصحابها ومن كتبهم المعتمدة عندهم، مع تحفظي على كثير من هذه الأفكار والمعتقدات، وليس بالضرورة أن يؤمن المرء بكل ما يطرحه من أفكار ومبادئ ومعتقدات، وقد كتبت كتابي هذا بلغة العصر وأسلوبه، لعل أن يكون لما أكتب صداً في نفس المؤمن فيزداد إيماناً، وعند المرتاب، فيرجع عن ريّبه إلى واحة الأمان والسلام.

خلاصة ما انتهيت إليه أن هناك كثيراً من التقاطعات بين ما يطرح من أفكار ومعتقدات، مع ما يظهر من اختلاف وتناقض بين هذه الأفكار والمعتقدات.

تتكون هذه الدراسة من تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول: أشراط الساعة:

ويتكون من تمهيد ومبحثين:

- المبحث الأول: أشراط الساعة الصغرى.
- المبحث الثاني: أشراط الساعة الكبرى.

الفصل الثاني: حياة البرزخ وأحداث يوم القيامة:

ويتكون من تمهيد ومبحثين:

- المبحث الأول: حياة البرزخ.
- المبحث الثاني: أحداث يوم القيامة.

الفصل الثالث: الجنّة والنار:

ويتكون من تمهيد ومبحثين:

- المبحث الأول: النار وعذابها .
- المبحث الثاني: الجنّة ونعيمها .

ومما يجب أن أُشير إليه أنني حرصت كل الحرص أن أعتمد على ما صحّ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم وعلى ما ثبتت روايته.

أدعو الله سُبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن يغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين.

إن أحسنت فمن الله وإن قصرّت أو أسأت فمن نفسي.

تمهـــــيد

سأتناول في التمهيد (بإذن الله) الموضوعات الآتية:

- الغيب ونظرة الأمم إليه وتقسيماته
- أهمية الإيمان بالغيب وباليوم الآخر.
- المصادر المعتمدة في الإيمان باليوم الآخر
- فكرة الحياة الآخرة عند القدماء قبل الإسلام.
- ثمرات الإيمان بالغيب وباليوم الآخر.

الغيب ونظرة الأمم إليه وتقسيماته

مفهوم الغيب: الغيب عند أهل اللغة: كل ما غاب عنك، أو هو كل ما غاب عن العيون، وإن كان محصلاً عقلاً. والغيب خلاف الشهادة والحضور [1].

أما الغيب عند أهل الاصطلاح:

فقد عرّفه الراغب الأصفهاني: ما غاب عن الحاسة وعن علم الإنسان [2].

وعرّفه الفخر الرازي: ما غاب عن الحواس، وقال عنه رأي الجمهور [3].

وعرّفه التهانوي بأنه: الأمر الخفي الذي لا يُدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل [4].

أقسام الغيب: للغيب أقسام متعددة: منها ما كان باعتبار العلم والمعرفة، ومنها ما كان باعتبار الزمان، ومنها ما كان باعتبار الورود.

التقسيم الأول: باعتبار علمه ومعرفته: ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: يعلمه بعض المخلوقات دون غيرهم، وهو ما يُسمى الغيب النسبي، فالجن تعلم أشياء لا يعلمها الإنسان وبعض الناس تعلم أشياء لا يعلمها بقية الناس، والعلماء يتفاوتون وهكذا.

الثاني: ما يعلمه الناس من خلال الاكتشافات العلمية والقوانين الكونية، ومن خلال الأبحاث والمعامل، وهذا الغيب لا خطورة له ومنه على الاعتقاد السليم.

---

[1] انظر: ابن منظور: لسان العرب – ص 1033/4 .
[2] انظر: الأصفهاني: مفردات غريب القرآن – ص 1090 .
[3] انظر: الرازي: التفسير، ص 27/2 .
[4] انظر: التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ص 109/2 .

الثالث: نوع لا يمكن أن يعلمه أحد من المخلوقات، لا نبي ولا مَلك، وإنما هو خاص بالله تعالى.

التقسيم الثاني: باعتبار الزمان: وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: غيب الماضي، كالأحداث التاريخية الماضية التي لم نشهدها، والرسالات السماوية، والأنبياء، وغير هذه الأمور، وهذا الغيب يمكننا اليوم أن نعلمه من خلال القراءة والسماع ومشاهدة الآثار وغير ذلك.

الثاني: غيب الحاضر، وهو كل شيء لا أستطيع أن أطلع عليه وأعرفه، لكن يمكن معرفة ذلك من خلال وسائل المعرفة، ووسائل الإعلام المتطورة.

الثالث: غيب المستقبل، وهو ما لا يعلمه إلا الله.

التقسيم الثالث: باعتبار الورود: وينقسم إلى قسمين:

الأول: ما جاء في القرآن الكريم، وهو ركن من أركان الإيمان، منكره كافر، كفراً صريحاً.

الثاني: ما جاء في السُنة النبوية الصحيحة، إن كان متواتراً منكره كافر، وإن كان حديث آحاد فمنكره فاسق.

موقف الإنسان من قضية الغيب: على مدار حياة الإنسان على الأرض شغلته قضايا خطيرة متعددة، من هذه القضايا قضية الغيب، من اللحظة الأولى التي تواجد فيها الإنسان على الأرض عرف أنه ليس ابن اللحظة، وأن الزمن الذي يعيشه ليس هو كل الزمن، وأن المكان الذي يعيش فيه ليس هو كل المكان، وأن الأرض التي يحيا عليها ليست العالم الوحيد دون غيره.

لهذا لا نجد أمة من الأمم ولا شعباً من الشعوب إلا وكان له موقف من قضية الغيب، يقبل أو يرفض، يُؤيد أو يُعارض، هناك من جعل هذه القضية عقيدة وأن الحياة بدونها عبث ولهو.

وهناك من اعتبرها ميلاً إلى الخرافات، وهروباً من الواقع.

التاريخ يُحدثنا أن الكثير من الشعوب من خلال بحثها عن الإله، والعبادة، بحثت أمر الغيب، حتى أصبح الإيمان بالغيب جزءً لا يتجزأ من الدين والعبادة، مع اختلاف طرق العبادة من أُمة إلى أُخرى، ومن حقبة زمنية إلى أُخرى.

وسريعاً سنحاول أن نُلمّ بموقف الأمم السابقة فيما يخص الغيب:

المصريون القدماء (الفراعنة): كانوا من الشعوب التي تُؤمن بالغيب، وأن جزءاً من هذا الغيب فيه حياة الأموات وحساب ونعيم وعقاب، لهذا اهتموا كثيراً بقبورهم أكثر مما اهتموا ببناء قصورهم وبيوتهم، وكان لهم طقوس معيّنة عملية فعلية وقولية يقومون بها حينما يموت لهم ميت.

اليونان: وهم من الأمم التي كان لها عقيدة إيمانية، حتى أنهم جعلوا لكل شيء إله، إله للنور، وإله للحب، وإله للحرب، وإله للجمال، وكان أحد فلاسفتهم يقول: إن البارئ سُبحانه وتعالى واحد لا يُدرك من جهة العقل، ولا من جهة النفس، وإنما يُدرك بآثاره وصنائعه وأفعاله [1].

الهند: إذا انتقلنا إلى الهند نجدها أكثر البلاد والأماكن انتشاراً للأديان، والمعتقدات الروحية، إلا أنه يغلب عليهم أفكار مثل فكرة الحلول والاتحاد، وفكرة تناسخ الأرواح، لهذا نجدهم يُنكرون البعث الذي نؤمن به، من أجل هذا يقومون بحرق جثث أمواتهم.

[1] انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ص 268/2 .

السومريون: هم كاليونان أمة متعددة الآلهة، لكل شيء إله، ولكل نشاط بشري إله، ولكل ولاية إله خاص، وهم من الشعوب التي تؤمن بالغيب، ونحن نستوحي هذا من عباداتهم وشعائرهم وأقوالهم، كانوا يضعون مع الميت الطعام والأدوات التي يحتاجها في عالمه الجديد .

البابليون: فقد كانت دولتهم دولة دينية، وكان التدين حسب اعتقاداتهم متغلغلاً في كل شيء، والآلهة عندهم متعددة، لكل شيء إله، وهم يؤمنون بالغيب، وبالنعيم والعقاب، وعندهم الخلود في العالم الآخر فقط للآلهة دون غيرهم.

فارس: أما بلاد فارس فكان فيها ديانات متعددة: المجوس يعبدون النار، والصابئة يعبدون النجوم، والثنوية الذين يعبدون النور والظلمة، والزرادشتية أصحاب زرادشت، والمزدكية أصحاب مزدك، وغيرها من الديانات، الغيب عند هؤلاء يأخذ مكانة كبيرة، مع كونهم جميعاً يشتطون كثيراً في عقائدهم.

الصين واليابان: دينهم هو الكنفوشيوسية: فهم أتباع كنفوشيوس، الذي يقول عنهم عباس العقاد: "إنهم لا يخوضون كثيراً في مباحث ما وراء الطبيعة، ويوشك أن يكون بينهم ضرب من أصول المعاملة، وأدب البيت والحضارة، وقد أخذ قديماً عقائد البوذية والمجوسية والمسيحية والإسلام، وأُشيع بينهم عبادة الأسلاف"[1] .

وهذا ما نشاهده ونلاحظه على حياة أهل الصين واليابان، واهتمامهم الزائد عن الحد في أمور العمل والحياة والسلوكيات الحياتية المتحضرة نسبياً عن غيرهم.

[1] انظر: كتاب (الله): عباس العقاد، ص 80 .

العرب قبل الإسلام: قلةٌ كانت منهم من الموحدين والحنفاء، والغالبية كانوا من أهل الشرك، فقد كانوا أهل وثنية، تنتشر بينهم عبادة الأصنام، حتى أنه كان لكل قبيلة صنم، ولكل رجل من القبيلة صنم خاص به، كان عند العرب شيء من الإيمان بالغيب، أي أنهم كانوا يُؤمنون أن خالق هذا الكون وما فيه هو الله، ويُسمون أبنائهم بـ عبد الله، وتيم الله، إلا أن هذا الإيمان لم يكن يتعدى إلى الإيمان بالحياة الآخرة، وما فيها من عذاب ونعيم.

نكتفي بهذا القدر من الحديث عن الغيب لننتقل للحديث عن اليوم الآخر وعن الإيمان به . .

الإيمان باليوم الآخر: ركن من أركان الإيمان، ولا يُعتبر الإنسان مؤمناً، إلا إذا آمن بهذا اليوم، وما يحدث فيه من أهوال وأحداث، يظهر فيها عدل الله سُبحانه وتعالى، في إكرام المؤمنين الصادقين، وتعذيب الكافرين المعاندين، وهي عندنا نحن المسلمين من صلب عقيدتنا، وقد ورد ذكر اليوم الآخر في القرآن الكريم كثيراً، حتى أن الآخرة ذكرت في القرآن 115 مرة، بنفس ذكر الدنيا، وهذا من الإعجاز العددي في القرآن الكريم، كذلك تحدث النبي صلى الله عليه وسلّم عن اليوم الآخر كثيراً حتى أننا لا نكاد نجد عالماً من علماء الحديث إلا وأفرد إما كتاباً أو باباً للحديث عن الآخرة وأشراطها وأحداثها .

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾ (سورة البقرة: 4).

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ (سورة التوبة: 18) .

وهناك من الآيات القرآنية الشيء الكثير غير هاتين الآيتين.

أما ما ورد من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلّم في ذلك:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلّم: حدّثني ما الإيمان؟ قال: "**الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين، وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت، وتؤمن بالجنّة والنار، والحساب، والميزان، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟، قال: إذا فعلت ذلك فقد آمنت**" [1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: "**من مات يُؤمن بالله واليوم الآخر، قيل له أدخل من أي أبواب الجنّة الثمانية شئت**" [2].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ولا يُوجد كتاب من كتب الحديث إلا وأفرد لها كتاباً مستقلاً، أو باباً مستقلاً.

والإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب، والإيمان بالغيب كما قال العلماء، ضروري من ضروريات الحياة الإنسانية، حتى أنهم قالوا أن الإيمان بالغيب ضرورة إنسانية، وضرورة اجتماعية، وضرورة أخلاقية، وضرورة سياسية، وضرورة اقتصادية، وضرورة قانونية، وضرورة عقلية، وضرورة فطرية.

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده رقم (2926)، ص 288/3 – حم 319/1 .
[2] المصدر السابق: رقم (97)، ص 207/1 .

فهو ضرورة إنسانية، لأن الإنسان لا يستقيم وضعه البشري كإنسان إلا بما يلزم الإنسان وهو الدين، وبدون الإيمان بالغيب تفقد البشرية عنصراً رئيسياً من تكوينها، يجعلها تقع في التيه، وتتخبط في الضلال.

ومن الضرورة الاجتماعية أن الإنسان إذا فقد الإيمان بالغيب فإنه سيُصاب بأمراض عديدة، إنه سيصاب بالخوف، وتنزل به الآلام النفسية، فلا يجد للحياة طعماً، ولا يستطيع مع هذا القلق أن يقوم بدوره الرئيسي في إسعاد نفسه، ونفع غيره، فتتعطل قواه المادية، والأدبية، ويُصبح شيئاً تافهاً لا قيمة له، ولا غناء فيه.

أما عن الضرورة الأخلاقية، فإنه من مستلزمات البشر الأخلاق ولا يُوجد على ظهر البسيطة إنسان دون أخلاق مهما كان نوع خُلقه، حسناً كان أو سيئًا، المهم أنه يمتاز بالخُلق، وهذا يدل على أن الإنسان كائن يتصف بالخُلق، فإن كان تصرفه حسناً وصف بأنه حسن الخُلق، وإن كان العكس، وصف أنه سيء الخُلق، وإذا ارتبطت الأخلاق فلا بد أن ترتبط بما ارتبط به الإنسان، ألا وهو الإيمان بالغيب.

أما عن الضرورة السياسية للإيمان بالغيب، فالسياسة هي الطريقة التي يتبعها الحاكم ومن يُساعده في الحكم، ليصل بشعبه وأمته إلى حيث السلامة، والمصلحة والقوة، والعزة، هذا مفهوم المؤمن، أما غير المؤمن فالسياسة هي الخداع، والدسيسة، ونصب الفخاخ، والإيقاع بالغير، والتجسس على الناس، وإتباع الطرق التي تُأمّنَ الحاكم، وتُثبته على كرسيّ الحكم، بغض النظر عن الأُمة وأين تكون مصلحتها.

لهذا كلما كان السياسي أكثر إيماناً بالغيب كلما كان أكثر إخلاصاً، ونفعاً لأُمته، وللعالم أجم.

أما عن الضرورة الاقتصادية، فالسرقة، والربا، والاحتكار، والاستغلال، وكل هذه المظاهر التي نراها ونسمع عنها، إنما تنتشر في المجتمعات التي طغت عليها روح المادية، والأنانية، وحب النفس، فلا يمكن أن يجمع الإنسان فرداً أو مجتمعاً بين الإيمان والسرقة، أو الإيمان والربا، أو الإيمان والاستغلال والاحتكار، وظلم الآخرين، أفراداً، أو شعوباً.

وبهذا يكون المجتمع المؤمن يعيش في رخاء واطمئنان، لا يحقد الفقير على الغني، ولا يظلم الغني الفقير، وبالمقارنة مع المجتمعات الحالية، وانقسامها إلى مجتمع رأسمالي، ومجتمع اشتراكي، والنزاع القائم والحقد بين الغني والفقير، ومظاهر استغلال الناس من قِبل دولهم من كثرة الضرائب، ونهب المسئولين للأموال، ورفاهيتهم بها، والمعيشة المريرة التي يعيشها الناس الآخرون من فقر مدقع، وحال لا يرضى عنها الله، كل هذا يجعلنا نقول: إن الإيمان ضرورة للاقتصاد كي يعيش الناس في أمن ورخاء، في ظل الحب في الله تعالى.

أما عن الضرورة القانونية للإيمان بالغيب، لأنه يؤدي إلى تطبيق القانون الرباني، بعيداً عن القانون الوضعي، التي تتصارع فيه مصالح وضعية، وكما هو مقرر عندنا: فالحاكمية من خصائص الألوهية، ومن ادعى الحاكمية فقد نازع الله في أخص خصائصه، ويكون بالتالي قد كفر بالله كفراً واضحاً، لهذا نجد في القانون الوضعي الملك أو الرئيس فوق القانون، والرشوة والتحايل، وتغيير الحق باطلاً، والباطل حقاً، والظلم والاضطهاد، مما ينشر ثقافة الحقد، والغل في المجتمع، وعدم المبالاة، وعدم الانتماء.

أما عن الضرورة العقلية للإيمان بالغيب، فالعقل محدود الإدراك، بحكم أن الحواس الإنسانية محدودة، إن العقل الذي منحنا الله إياه، يقتضي منا أن نحافظ على ما سبق من ضروريات، لما لنا من مصلحة في تلك الضرورات، ولأن العقل لا يمكن أن يستقل في الإجابة عن كثير من التساؤلات المحيرة للإنسان على مدار تاريخه الطويل.

أيضاً لأن العقل لا يمكن أن يملك حُجة واحدة تنفي الإيمان بعالم الغيب.

أما عن الضرورة الفطرية، فالفطرة تميل إلى اكتشاف المجهول، ولهذا يحاول الإنسان أن يعرف كل ما خُبيء عنه، مما يدل على أن الفطرة تسعى وراء الغيب، والسعي وراء الشيء يدل على وجوده، فالفطرة تقتضي أن هذا العالم ليس هو وحده العالم، بل هناك ما أُخفي عنا وهو أكبر وأكثر وأوسع، وأن هذه الحياة تعيسة، إذا لم يكن هناك حياة أخرى، تُزيل عنا الأحزان، وترفعنا من هذه الأحوال المحزنة في الدُنيا إلى حيث الراحة والسعادة والاطمئنان [1] .

أثر الإيمان باليوم الآخر على سلوك الإنسان:

من آمن بالله واليوم الآخر، وأحب لقاء الله، فلا بد أن يعمل ويسلك الطريق الموصلة إليه، فمن يسلك هذا الطريق يكون إنساناً ربانياً، فهو بعيد عن الطمع، لأنه يطمع في الآخرة كما في الحديث: "**اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا**" [2] .

[1] انظر: عالم الغيب بين الوحي والعقل، د. يحيى مراد، ص167 .
[2] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه، رقم (3569)، أبواب الدعوات، باب رقم 83، ص189/5 .

إن المـؤمن بـالآخرة بعيـدٌ عـن الجـزع، لأن مـا لا يُدركـه في الـدنيا، فهنـاك فرصـة أخـرى أوسـع، وأرحب، إن تصور المؤمن ليس ضيقاً، إن هذه الدنيا لا تساوي شيئاً بالنسبة للآخرة، ولو تساوي شيئاً ما سُقي الكافر منها شربة ماء، ولهذا نجد أن أهل الله لا يعبئون بهذه الدنيا، ولا يهتمون لها إلا بقدر ما تُعينهم على طاعة الله.

إن المؤمن هو أعقل الناس، ولهذا يرفض أن يعيش في الشهوات فترة قصيرة، مقابل العيش أحقاباً في جهنم والعذاب، إن الموت في نظر المؤمن لا يُمثل إلا نقطة انتقال إلى حياة أخرى أوسع، لا نكد فيها، ولا تعب، ولا نصب، إنها دار الجزاء، حيث لا عمل، بينما الدنيا هي دار العمل.

إن الإيمـان بـالآخرة يُثبّت دعـائم النظام في الدولـة، فـالمؤمن بـالآخرة لا يحتاج إلى شـرطي يحرسـه ليبقى محافظاً على القانون، لأن السلطان الداخلي "الإيمان بالآخرة" يحرسه، وأقرب مثال على ذلك: المؤمنون في الوقت الحالي، نجد أن المؤمن الحق لا يشرب الخمر، رغم أن كثيراً من الدول لا تعاقب على شربه، وكذلك الزنا، وغيره من المحرمات، فما الذي دفع المؤمن إلى التمسك سوى الإيمـان بالآخرة.

إن الإيمان كان وسيظل وراء هذه الأخلاق، وإنّ إنكار الآخرة يجعل القلوب المنكرة، والنفوس المستكبرة يطبعها طابع الأنانية، والتكالب على الدنيا، إذ لا مجال آخر، والوقت ضيق فلا بد من الحصول على كل شيء، والقتال والنزاع والسلب، والنهب إلى غير ذلك من سيء الأخلاق.

قال تعالى: ﴿**أَرَأَيتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين، فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيم، وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِين**﴾ (سورة الماعون: 1ـ3).

فلا مجتمع صالح ولا دولة مستقرة ولا نظام سائر إلا إذا بُني على الإيمان بالآخرة [1].

المصادر المعتمدة في الإيمان باليوم الآخر:

إن البحث في المصادر المعتمدة عند الإنسان للإيمان بقضية معينة، يُعطي هذه القضية بُعداً عقلياً، ومنطقياً من ناحية، ومن ناحية أخرى بُعداً علمياً يقينياً، ومصادر المعرفة يُسميها الفلاسفة بنظرية المعرفة، فإذا تم الاتفاق على مصادر المعرفة، أمكن الاتفاق على قواعد الأشياء، من هنا يكمن أهمية دراسة مصادر الإيمان باليوم الآخر، **وهي كما يلي:**

1. **القرآن الكريم:** وهو المصدر الأول لهذه المغيبات، حيث أنه قطعي الثبوت، ولا خلاف إطلاقاً على فكرة ثبوت النصوص القرآنية، لهذا من آمن بالله سُبحانه وتعالى لزمه عقلاً الإيمان بالقرآن وبما جاء به من اعتقادات، ومن هنا يكون القرآن الكريم هو المصدر الأول في كل شيء، وخصوصاً في القضايا الغيبية، ومنها الإيمان باليوم الآخر، وقد جاء في القرآن الكريم الوصف الدقيق لليوم الآخر، وما سيحدث فيه من أحداث وأهوال.

2. **السُنة النبوية:** خصوصاً ما تواتر منها، وما حكم العلماء بثبوته فهو لا مجال للشك والتحريف فيه، فهي كالقرآن من حيث كونها قطعية الثبوت، وقد وردت أحاديث كثيرة فصلت أمر الإيمان باليوم الآخر، وما يحدث فيه تفصيلاً دقيقاً، إن كانت أحاديث متواترة، أو أحاديث آحاد، لها قرائن من القرآن أو لها شواهد وتوابع.

[1] انظر: عالم الغيب بين الوحي والعقل، د.يحيى مراد، ص198

3 . **الحواس:** وهي بمكان لا يستطيع أي إنسان أن يُنكر أهميتها، وهي عند كثير من المفكرين المصدر الوحيد للذهن البشري المزودة له بالتصورات والمعاني، ونحن كمسلمين نعترف بقيمة الحواس في تغذية الإنسان بالمعلومات، لكننا نقول بأنها وحدها لا تكفي، فهناك معها غيرها، وليس هناك تعارض بين ما تُقدمه لنا الحواس من معلومات، وما يصل إلينا عن طرق أخرى.

4 . **العقل:** العقل أداة عظيمة، يعتمد عليها الإنسان اعتماداً كبيراً، يختلف من شخص إلى آخر، حسب خلفية هذا الإنسان الفكرية، والثقافية، والدينية، ومنهم من يعتبره المصدر الوحيد للمعلومات، وهذا تعظيم للعقل أكثر مما يلزم ، خصوصاً إذا علمنا أن العقل محدود بين الزمان والمكان، وأكبر دليل على صدق هذا القول : اختلاف عقول الناس، وبالتالي اختلاف آرائهم، وأحكامهم، فإذا اختلفت عقول الناس في أمر المشاهدة، فما بالك في أمر الغيب، ومن ضمنه الإيمان باليوم الآخر، إن العقل مهم غاية الأهمية، لكنه لا يُمكن أن يستقل بمثل هذه القضايا، فعليه أن يعتمد على ما يُنقل إليه من وحي سماوي، فالعقل وإن لم يستطع أن يصل إلى الغيب، ومعرفة كُنهه، إلا أنه به يُمهد الطريق للإيمان، ومن دقة الملاحظة القول أنه لا يمكن التعارض بين العقل والنقل، خصوصاً عندنا نحن المسلمين، والذي يعتمد على العقل في كل صغيرة وكبيرة، والذي أعلى من قيمة العقل وكل ما له صلة به إعلاءً كبيراً .

5 . **نظرية الفطرة:** الفطرة هي الطبع السليم، والسلوك القويم الذي لم تشبه شائبة، ولم يتعكر صفو صاحبها، إن الفطرة تتقبل كل ما هو صحيح، وسليم وحق، لكن هذه الفطرة ليست

مصدراً للمعرفة مستقلاً، لكنها تُهيئ عقل صاحبها ونفسه لاستقبال العلم، وتوظيفه بطريقة سليمة، قال تعالى: ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾ (سورة الروم: 30) .

وقول النبي صلى الله عليه وسلّم: **"كل مولود يُولد على الفطرة "** [1] .

وهناك من مصادر المعرفة الداعمة للإيمان بالغيب، وبالتالي الإيمان باليوم الآخر:

1 . الكشف الروحي الباطني.

2 . قوة التخيل.

الحياة الآخرة عند القدماء والأديان قبل الإسلام:

فكرة الآخرة عند المصريين القدماء:

لعل أرقى ما في العقيدة المصرية القديمة، إيمان المصريين بيوم الحساب، واعتقادهم بيوم القيامة، وعودة الروح والحياة حياة مادية قصيرة من أجل الحساب، لذلك كان يجب أن يحتوي قبر الفرعوني كل حاجاته من أنواع المأكولات والمشروبات ليستطيع بعدها الاستمرار في حياة الآخرة، وكان باستطاعة الفرعون المتوفى أن يأخذ من يشاء وما يشتهي من النساء من أزواجهن، وحتى يُبعث الميت من جديد يجب أن يبقى جسده سالماً من التفكك والتلف والتشوه، ولهذا كانوا يهتمون بتحنيط جسد الميت ودفنه في قبر يحتوي كل ما يحتاج إليه الإنسان في حياته الأبدية من غذاء

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم (1385)، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، ص410/1 .

ولباس ووسائل للصيد أو للقتال، لذلك بنوا القبور والأهرام، وشيدوها بإحكام حفاظاً على الأجساد من التلف والبلى، ويمكن أن يُودع في القبر تمثال مشابه لصاحبه إن كان جسمه غير صالح، فتستمر علاقة روحه وجسده، وإن كان مفهوم الروح مختلفاً عندهم.

وقد اعتقد المصريون بأن الحياة تدب في الجسم بعد الموت مباشرة، ثم يأتي طير يجثم فوق رأس الميت، ويُمسك في مخالبه رمز الحياة، ويتولى نفث الحياة في خياشيم الميت فيُأمن له استمرار الحياة بعد الموت بالاعتماد على السحر والقيام بعمليات سحرية لها مراسم خاصة مثل سكب الماء السحري أو المقدس في الجسد المتصلب بسبب الوفاة لإعادة الحيوية إليه ويُسمى السائل "ماء النيل"، وبواسطته تعود الحياة إلى جسد الميت، ويُصبح حياً باستمرار يتصف بالقدرة الإلهية، ويُعد هذا رفضاً لفكرة الموت الأبدي.

ولذلك اهتم الفرعون بالقبور، والهياكل حيث كان يُهيئ نفسه دائماً للحياة الآتية، بينما كانت قصورهم في الحياة الدنيا من الطين والآجر لذلك اندثرت وزالت معالمها، بينما قبورهم ما تزال شاهقة إلى اليوم، وكانوا يعتقدون أن أفراد الأسرة الملكية وحدهم هم الذين يعيشون بعد الموت، وتطورت فكرة المصريين إلى الماورائيات، عندما ادعى كهنة "آمون" في "طيبة" اكتشافهم لأسرار الخلود، فعرضوها بشكل نصوص تحتوي على تعاويذ وكتابات سحرية مختلفة من أوراق البردي، ثم جمعوها في كتاب سُمي "كتاب الموتى"، لتساعد الميت على العبور إلى الأبدية بسلام، والانطلاق من أعماق القبور إلى حيث يُوضع هذا الكتاب مع الميت في قبره ليستعين به على مواجهة الحساب عند مثوله أمام الإله "أوزوريس"، إله القيامة، وكان يُزوّد كل ميت بسلسلة من النصوص تُكتب على

تابوته أو بعض البرديات والتمائم، وتلاوة بعض الصلوات والأدعية، وإقامة بعض الشعائر على جسد الميت قبل أن يُوضع بالقبر ليرتاح الراحة الأبدية، ثم يُوضع الجسد في غرفة المومياء، وبفضل كلمات "تحوت" وصلوات الكهنة يتحول الجسم المادي إلى جسد روحاني غير قابل للفساد، فيخرج رأساً من القبر إلى السماء، حيث يُقيم مع الآلهة هناك، وبعد عودة الحياة إليه يُردد الميت في كتاب الموتى : "إني أحيا، إني أنشأ، إني أنشأ"، وهذه العودة هي عودة روحانية وليست مادية أو جسدية فيزيائية، فالنفس ترتفع إلى السماء والجسد تناله الأرض.

وحينما يَمثل الميت أمام "أوزوريس" إله القيامة، وتُوزن عليه أعماله في ميزان العدالة، تتمايل كفتا الميزان، وقد وُضع في إحداها قلب الميت، وفي الكفة الثانية ريشة تمثل الحق والعدل، وخوفاً من أن يكذب القلب صاحبه أو يشهد ضده، يردد الميت هذا القول: "يا قلب، لا تكن شاهداً ضدي، ولا تُرجّح الكفة عليَّ أمام سيد الميزان"، ويشهد هذا الحساب والمحاكمة اثنان وأربعون قاضياً، كل واحد منهم يُمثل إحدى مقاطعات مصر آنذاك، فإذا توازنت كفتا الميزان، فإن الميت ينعم باستمرار حياته في مملكة "أوزوريس" في الآخرة، بموجب القانون والعدالة، فيصدر الحكم التالي بحقه: "فليخرج مبرأ، وليذهب حيث شاء بالقرب من الأرواح والآلهة"، وقد فاز بالنعيم ويقود "حورس الصقر" الروح لتمر أمام "أوزوريس" ثم تدخل حقول السعادة الأبدية، أما إذا رجحت السيئات على الحسنات ابتلعه حيوان مسخ اسمه "الملتهمة" أو يُحكم عليهم بأن يولدوا من جديد كخنازير أو حيوانات دنيئة أخرى، وذلك بأمر من "تحوت" الذي يقف خلف "أنوبس" الذي له رأس ابن آوي والذي يقوم بعملية الوزن في الميزان.

وهكذا تُحاسب كل نفس بمفردها، فيكون مصيرها: إما أن يُسمح لها بالعبور إلى مملكة "أوزوريس" ومملكة الأبرار، وتُصبح في مرتبة الآلهة، أو أن تلقى الدمار على الفور فتهلك.

دوافع الاعتقاد في الحياة الآخرة عند المصريين القدماء:

كان عند المصريين القدماء مجموعة دوافع واعتبارات جعلتهم يُؤمنون بالحياة الآخرة بعد الموت منها:

1. اعتبارهم أن الحياة الدنيا حلبة صراع بين المتناقضات، بين الخير والشر، بين الصالح والطالح، بين البَر والفاجر، وكثيراً ما كان ينتصر الشر على الخير، والباطل على الحق، وهذا مخالف لناموس الحياة، ولذلك لا بد من حياة أُخرى ينتصر فيها الخير على الشر، والحق على الباطل، والأبرار على الفجار، انتصاراً أبدياً.

2. اعتقادهم أن النفس الإنسانية تنفصل عن الجسم، وأن هذه النفس ذات أربع شعب: إحداها الروح، والثانية الفعل والإرادة، والثالثة صورة من الأثير أو مادة أدق منه على هيئة الجسم تماماً، والرابعة هي الجوهر الخالد الذي يشترك فيه الإنسان مع الآلهة، وعندما يموت تظل الروح تتردد على الإنسان في قبره حتى يجتاز الحساب، ويصل إلى مرحلة الثواب، ثم تعود إليه فيشعر بالحياة من جديد [1].

فكرة الحياة الآخرة عند البابليين:

كان الموتى عند البابليين يُدفنون في توابيت من الخزف أو في حصائر من البوص، وكانت تُوضع إلى جانبهم أشياء أو مؤن تساعدهم على الحياة بعد الموت، فقد كانوا يُؤمنون بالبعث وبالحياة الآخرة،

[1] انظر: عالم الأديان: فوزي محمد حميد، ص 104 .

وكانت مقابر الملوك تتميز عن غيرها، ويمكن أن يحتوي القبر على جثتين أو أكثر مما يدل على أن حاشية الملك كانت تُدفن معه لترافقه في الحياة الآخرة، ويمكن أن تُدفن الملكة حيةً مع زوجها الميت، وقد ذكرت أساطير كثيرة عما وراء القبر وتحرك الأرواح ولم يكن إبراز فكرة الثواب والعقاب ويوم الحساب واضحة، وكذلك الأمر عند الآشوريين، فهم لا يعرفون شيئاً واضحاً عن الحياة بعد الموت، وكانوا يعتقدون أن جزاء العمل الصالح وإرضاء الآلهة حياة دنيوية طويلة، فقد كان البابليون يعتقدون أن روح الإنسان بعد الموت تنفذ من القبر وتنزل إلى العالم السفلي "أرولو" وهي مدينة كبيرة مهجورة يلفها الظلام، ويعيش فيها الموتى حياة حزينة يأكلون التراب، ويشربون المياه القذرة، ولا يُمكن التخفيف من هذا البلاء إلا بالقرابين التي يُقدمها أصدقاء الميت وأقرباؤه الأحياء، أما الموتى الذين لا يرعاهم أحد والموتى الذين لم يُدفنوا في قبورهم فإنهم ليهيمون دون أن يقر لهم قرار، ويعودون إلى الأرض من حين إلى آخر، في صورة أرواح شريرة تُزعج الناس وتُخيفهم، فكان الحرمان من الدفن من أكبر العقوبات، أما الأخيار من البشر فتصعد أرواحهم إلى السماء لتُلاقي الآلهة فمصيرهم الاستقرار والخلود الذي تهبهم إياه الآلهة وتباركهم.

من أساطيرهم هذه الأسطورة الخرافية التي تحكى روايات عن آلهة تُحب وتتزوج، تأكل وتشرب، وتبحث عن الحياة والخلود فلا تجده، إنها آلهة قاصرة، زائفة لا حول لها ولا قوة، إنها لا تستطيع حماية ذاتها من أقل خطر يصيبها أو كارثة تحل بها، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد من أساطير وخرافات وعبادة الأصنام والأوثان والآلهة المتعددة الكثيرة، بل كانوا يعتقدون بوجود الشياطين التي لا عاصم للإنسان منها، التي تحل به بسبب ارتكاب خطيئة ما، كإهمال في الطقوس

الدينية، أو القتل أو السرقة حيث يتخلى الإله عن الإنسان المذنب، فتجد الشياطين الطريق مفتوحاً أمامها فتدخل في جسم الإنسان، وكان من أخطرها شيطان الحُمّى، وله رأس أسد، وأسنان حمار، وأطراف نمر أرقط، وله صوت كصوت الأسد أو النمر، وكان يُمسك بيديه أفاعي هائلة ومخيفة، وكان كلب أسود وخنزير يداعبان ثدييه، وكان شيطان الرأس "أشكو" هو الذي يُسبب الصداع وألم الرأس، فما أكثر الخرافات والأساطير وما أضعف الإيمان في تلك النفوس التائهة [1].

الحياة الآخرة عند الهندوس:

من عادات الهندوس الوثنية حرق الأجسام بعد الوفاة عند أبناء الطبقة العليا منهم، وذلك لسببين:

1. لاعتقادهم أن النار في اشتعالها تعلو شعلتها إلى أعلى بخط عمودي على أفقية الأرض، والعمود أقرب المستقيمات بين السطوح والخطوط، لهذا تتجه الروح بالاحتراق إلى الأعلى باتجاه عمودي، فتصعد إلى السماء في الملكوت الأعلى في أقرب وقت وأقصر زمن.

2. تخليص الروح من غلاف الجسم تخليصاً تاماً عند الاحتراق، حيث يعتقدون أن في الجسم نقطة بها يكون الإنسان ويتحول بالاحتراق إلى ذرات صغيرة فتتخلص الروح من الجسد وتعلو عنه لتصل بجسم آخر، أو أنها تسمو إلى درجة الملائكة، إن كانت قد وصلت إلى درجة الخلاص.

وعندما تتخلص الروح من الجسد أمامها ثلاثة عوالم:

الأول: عالم الملائكة، أو العالم الأعلى الذي تصعده الروح، إن كانت تستحق الصعود إليه بعملها الصالح، وتسمو إلى الملكوت الأعلى.

[1] المصدر السابق: ص 116 .

الثاني: عالم الناس، وهو العالم الحالي لبني البشر، فالروح تعود إليه للحلول في جسم إنساني آخر، لتكتسب عمل الخير، ولتتجنب عمل الشر.

الثالث: عالم جهنم، وهو لمرتكبي الخطايا الواقعين في الذنوب، وليس هناك جهنم واحدة، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم تناسبهم مع حجم ذنوبهم، فالروح التي تصعد إلى أعلى ولم تنزل إلى أسفل، تعود إلى جسم آخر لتحل فيه، والبعث عندهم في الحياة الآخرة، تكون للأرواح وليس للأجساد، فهي إما في الملكوت الأعلى، وإما في النار [1].

فكرة الآخرة عند زرادشت:

جاء في الأوفستا (الكتاب المقدس عند زرادشت):

"يُبعث الموتى، وتعود الحياة إلى الأجسام، وتتردد فيها الأنفاس، ويخلو العالم المادي كله إلى الأبد من الشيخوخة، والموت والفساد والانحلال". لقد آمن زرادشت بالبعث، ويوم الحساب، والجزاء في الآخرة، ويتولى: "أهورامزاد" حساب الناس بنفسه، ويعتقد الزرادشتيون أن الموت دليل على تغلب الأرواح الشريرة، ولذلك فملامسة الميت تتنافى مع النظافة، وتفسد الطهارة، ولا يُدفن جسد الميت في الأرض، حتى لا يُنجسها، ولا يُحرق في النار للأسباب ذاتها، فهم يعرضون الجثث فوق أبراج مرتفعة لتأكلها الطيور الجارحة، والحيوانات المفترسة، وعندما اقتبس الفرس بناء المقابر عن جيرانهم جعلوا هذه المقابر في أماكن مرتفعة وليس في جوف الأرض، وقد تبدلت هذه العادة في عهد "قورش" ودارا" وصار الفرس يدفنون أمواتهم بعد طلاء الجثة بالشمع، ومن معتقداتهم أنه

[1] المصدر السابق: ص 182.

عند حدوث الوفاة تبقى روح الميت ثلاثة أيام فوق رأسه تتلو الصلاة وتدعو للسعادة وتنعم بسلام في عالم اللاحياة، وفي نهاية الليلة الثالثة تهب نسمة عطرة يليها ظهور "ضمير الميت" أو "دينه" على شكل فتاة عذراء ذات قوة و بهاء في سن الخامسة عشرة، نبيلة القامة بضّة الذراعين، فائقة الجمال والروعة وعند سؤالها تجيب : "أيها الشاب البهي الفكر والعبارات، الجميل الأعمال والنيات، فيّ تقمص ضميرك، لقد أحببتني لعظمة جمالي، ومن محبوبة جعلتني محبّبة، ومن شهية جعلتني أشهى هكذا كرّم البشر (أهورامزدا)" .

وعندما تصل الروح إلى الجسر الفاصل الذي بناه "أهورامزدا" تبدأ بتعديد ما كانت تقوم به في الحياة الدنيا من خير وأعمال حسنة، فتظهر العذراء، وتقود الروح الصالحة إذا كانت أفكارها وأقوالها وأفعالها الصالحة إلى بيت الخلود أو الجنّة لتلتقي هناك مع "أهورامزدا" وتعيش معه بسعادة أبد الدهر.

أما الأرواح الشريرة التي كانت أفكارها وأقوالها وأعمالها غير صالحة، فلا تستطيع اجتياز الجسر، فتتردى في الجحيم المظلم، الذي يتناسب عمقه مع ما اقترفت كل روح من الذنوب، وعندما ينتهي العالم ويحل يوم الحساب الأخير تقوم مملكة "أهورامزدا"، بينما يهلك "أهرمان" مع جميع قوى الشر هلاكاً لا قيام بعده، وتبدأ الأرواح الطيبة حياة جديدة في عالم خالٍ من الشرور والآلام [1] .

[1] المصدر السابق: ص 267 .

الحياة الآخرة عند الديانة المانوية:

آمنت الديانة المانوية بيوم الحساب، كما آمنت بالثواب والعقاب لكل فرد حسب قوله أو فعله، وكل امرئ بعمله يُجزى. وقد قسّم "ماني" أفراد البشر حسب أعمالهم وصلاحهم إلى ثلاث فئات:

يقول ماني: إن هناك ثلاث طرق لحساب الناس، أحدها إلى الجنان:

وهم الصِدّيقون: فإذا حضرت الوفاة الصِدّيق أرسل إليه الإنسان القديم إلهاً نيّراً بصورة الحكيم الهادي، ومعه ثلاثة آلهة، ومعهم الركوة واللباس، والعصابة والتاج، وإكليل النور، وتأتي معهم البكر الشبيهة بنسمة ذلك الصِدّيق ويظهر له شيطان الحرص والشهوة، والشياطين، فإذا رآهم الصِدّيق استغاث بالآلهة التي هي على شكل الحكيم، والآلهة الثلاثة، فيقربون منه، فإذا رأتهم الشياطين ولت هاربة، وأخذوا ذلك الصِدّيق وألبسوه التاج والإكليل، واللباس، وأعطوه الركوة بيده، وعرجوا به إلى فلك القمر، وإلى الإنسان القديم وإلى "النهنهة" أُم الأحياء إلى ما كان عليه أولاً في جنان النور، ثم يبقى ذلك الجسد ملقى فتجتذب منه الشمس، والقمر والآلهة النيرون القوى التي هي : الماء، والنار، والنسيم، فيرتفع إلى الشمس، ويصير إليها، وُيقذف باقي جسده التي هي ظلمة كاملة إلى جهنم.

أما الإنسان المحارب: القابل للدين والبِر والحافظ لهما من الصِدّيقين، فإذا حضرت وفاته حضر أولئك الآلهة أنفسهم وحضرت الشياطين، واستغاثوا بما كان يعمل من البِر وحفظ الدين والصِدّيقين، فيُخلصونه من الشياطين، فلا يزال في العالم شبه الإنسان الذي يرى في منامه الأهوال، ويغوص في

الوحل والطين، فلا يزال كذلك إلى أن يتخلص نوره وروحه، ويلحق بملحق الصِدّيقين، ويلبس لباسهم بعد مدة طويلة من التردد .

أما الإنسان الأثيم: المستعلي عليه الحرص والشهوة، فإذا حضر وفاته، حضرت الشياطين، فأخذوه وعذّبوه وأروه الأهوال، فيحضر أولئك الآلهة ومعهم ذلك اللباس، فيظن أنهم جاؤوا لخلاصه، ولكنهم حضروا لتوبيخه، وتذكيره بأعماله، وإلزامه الحجة في ترك إعانته للصِدّيقين، ثم لا يزال يتردد في العالم في العذاب إلى وقت العاقبة، فيُلقى به في جهنم.

ومن خلال التراتيل المانوية يظهر لنا أنها لم تُهمل عذارى الجنّة لمن أحسن قولاً أو عملاً، وفيها يلتقي الإنسان الصالح في الحياة الأخرى مع ذاته السامية على شكل عذراء إلهية رائعة الجمال في الخامسة عشرة من عمرها، تُخبره أنها روحه تُرافقه في طريقه إلى الجنّة، وهي تُجسد أعماله على الأرض، وهذا مقتبس من العقيدة الإيرانية القديمة المتعلقة بالحياة الآخرة، وهي تُؤمن بأنه سيقترب من الإنسان الصالح إثر موته أكثر من ثمانين مَلكاً من الجنس الآخر، مُزينين بالورود، ويحضونه على التقدم نحو جنة النور ليتذوق السعادة هناك، فالإنسان يلقى جزاءه نتيجة أعماله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ويُحاسب كذلك حسب فئته في مجتمعه إن كان من الصِدّيقين أو من السمّاعين.

وفيما يتعلق بالأرواح عند المانوية، فهي تقوم على مبدأ التقمص الذي يعني إعادة الصياغة أو الشكل، وهذا مُقتبس من البوذية في الهند، لقد تأثر ماني بالديانة البوذية، وبخاصة بوذية "ماهايانا" في القرن الأول الميلادي، وتأثر بالديانة الزرادشتية، وبخاصة الزروانية، وتأثر بالديانة المسيحية

وبخاصة الغنطوسية منها، ولذلك امتزجت أفكاره الدينية، واختلطت عليه الأمور وتعمّق في كتابة الأساطير والتخيلات حسب ما يتصور ويشتهي [1] .

موقف العرب قبل الإسلام من الحياة الآخرة:

لم يكن كثير من الجاهليين يُؤمنون بالبعث كما يتبيّن ذلك من القرآن الكريم، لقد كانوا يرون أن الموت نهاية كل شيء، وأنهم غير مبعوثين، وأن البعث بعد الموت شيء غير معقول، لذا تعجبوا من قول النبي صلى الله عليه وسلّم بوجود البعث والحساب.

قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُنيا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** ﴾ (سورة الأنعام: 29) .

وقال تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ (سورة النحل: 38) .

وقال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا، قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً** ﴾ (سورة الإسراء: 49-51) .

الآيات المتقدمة وأمثالها كثير، كلها حكاية عن رأي كثير من الجاهليين في نفي البعث وفي عدم إمكان العودة إلى حياة أُخرى بعد موت يهلك الجسم ويفني العظام فيجعلها رميماً ويمحو كل أثر للجسم، لذا كان البعث من أهم ما عارض فيه الجاهليون معارضة قاسية شديدة، وكان من الموضوعات التي تندروا بها وسخروا، وأخذوا عليها رسول الله، وكانوا يقولون : إن هي إلا موتتنا

[1] المصدر السابق: ص 277 .

الأولى التي نموتها، وما نحن بمنشرين بعد مماتنا ولا بمبعوثين تكذيباً منهم بالبعث والثواب والعقاب، جاء يوماً عبد الله بن أُبي إلى النبي صلى الله عليه وسلّم بعظم حائل فكسره بيده ثم قال : يا محمد، كيف يبعث الله هذا وهو رميم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يبعث الله هذا ويُميتك ثم يُدخلك جهنم"**[1]، ثم تكرّر الأمر بمثل ذلك فجاء أُبي بن خلف مرّة ، ومن بعده العاص بن وائل السهمي مرّة أخرى .

ذكر صاحب الروض الأُنف أن الحارث بن عبد العُزى أبو رسول الله صلى الله عليه وسلّم من الرضاعة لما قدم مكة، قالت له قريش: " ألا تسمع يا جار ما يقول ابنك هذا، فقال: وما يقول، قالوا: يزعم أن الله يَبعث بعد الموت، وأن لله دارين يُعذب فيها من عصاه، ويُكرم فيها من أطاعه، فقد شتت أمرنا وفرّق جماعتنا" [2] .

إذن كان رأي كثير من عرب الجاهلية أن الحياة حياة واحدة، هي حياتنا التي نحن فيها في دار الدنيا، ولا يكون بعد الموت بعث ولا حساب، نحيا ونموت، يموت بعضنا ويحيا بعضنا، وما يُميتنا إلا الأيام والليالي، أي مرور الزمان وطول العمر، فالحياة إذن حياة وموت في هذه الدنيا، وهي استمرار للاثنين على مدى الدهر، يُولد إنسان ثم يموت ليحل محله إنسان آخر، وهكذا بلا انتهاء .

إذن لماذا كانت العرب تعبد الآلهة ويتقربوا إلى الأصنام، ويُقدموا القرابين والنذور لها ؟

[1] انظر: الطبري: التفسير، ص 21/23 .
[2] انظر: الروض الأُنف: السهلي، ص 107/1 .

إنهم ما كانوا يفعلون ذلك إلا للمصالح الدنيوية من جلب مال أو سيادة عند العرب، أو لدفع ضرها، وما اهتمامهم بالأصنام والآلهة، ومناسك الحج والعمرة، إلا بقدر ما تجلب لهم من منفعة مادية، متعلقة بهذه الدنيا، أما الآخرة فلا علم لهم بها، بل إنهم لا يعرفون أن في الحياة داراً غير هذه الدار، ولا يُؤمنون بحشر وبعث.

ولم نجد في كتابات العرب الجاهليين حديثاً عما سيحدث للإنسان بعد موته، وكل ما ورد فيها هو توسل إلى الآلهة بأن تُنزل غضبها على كل من يحاول تغيير قيمها، أو إزالة معالمها، ولم تذكر السبب الذي دفعهم إلى مثل هذا القول.

والشاعر الوحيد الذي ذكر في شعره الموت والحساب والثواب والعقاب والجنّة والنار هو "أمية بن أبي الصلت"، قيل إنه أساساً كان في شك من دين قومه، وكان ينهى قومه عن عبادتها، ربما تأثر باليهودية والنصرانية، وكان على شاكلته: الأعشى، وزهير بن أبي سلمى، وحاتم الطائي، إلا أنهم لم يكثروا كما أكثر أمية بن أبي الصلت [1].

نظرة الديانات السماوية إلى اليوم الآخر:

دعت الأديان السماوية إلى الإيمان بالبعث وباليوم الآخر، وجعلت الإيمان به إيماناً بالله، فمن آمن بالله ولم يُؤمن بالبعث فقد هدم إيمانه، لأنه أنكر عدل الله ومجازاته المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ولأنه أيضاً أخلى نفسه من أوامر الله ونواهيه التي هي مناط الحساب والجزاء.

[1] انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، ص 123/6 .

لهذا جعلت الديانات السماوية أمر البعث والآخرة والإيمان به أُماً من أمهات العقيدة الدينية، وأصلاً من أصولها، وأتباع الديانات السماوية يؤمنون بالبعث، وبالحياة الآخرة، وبالحساب والجنّة والنار، هذا الأمر أصلاً من أصول الدين فيما كان قبل التحريف.

عقيدة اليهود في الإيمان باليوم الآخر:

إن المدقق في التوراة وكتب اليهود الأخرى (التلمود) لا يجد صدى للبعث والنشور، ويوم القيامة، مما يجعلنا نقف طويلاً أمام ما لحق بهذه الديانة وكتبها من تحريف وتزوير وتدليس، فالتحريف لم يكن مقصوراً على كتبهم، بل تعدى إلى أصول عقائدهم، أصول عقائد الإيمان عند كل الديانات السماوية، ومن ضمنها عقيدة الإيمان باليوم الآخر.

صحيح أن القرآن تكلم عن بعض أماني أهل الكتاب فيما يتعلق بالجنّة، والعذاب، وأنهم في أصول عقائدهم قبل التدوين كانوا يُؤمنون باليوم الآخر، ونحن نعلم أن تدوين التوراة تم في السبي البابلي، وأن هذا السبي قد انعكس على عقيدة من قام بتسجيل التوراة، وشرحها "التلمود"، وأنهم تأثروا كثيراً بعقائد السومريين والبابليين.

والباحث في عقيدة اليهود لما بعد الموت يجد تشابهاً كبيراً بين نظرتهم وبين نظرة السومريين، والبابليين، فكلاهما لا يُؤمن، بل يُنكر البعث والقيامة، ووصف البابليون، والسومريون العالم الآخر بعالم الظلام والرهبة، ووصفوه بالعالم السفلي.

وفي التوراة في سفر التكوين يقول حين الحديث عن الموت إن الهاوية التي إذا ذهب إليها الإنسان لا يصعد، وفي عقائد اليهود أن العالم الآخر ليس فيه دار ثواب ولا دار عقاب، فالعقاب

زمني وكذلك الثواب، يُحاسب الإنسان في دنياه وتُسلط عليه النعمة أو النقمة في الدُنيا، فيمرض فيها، أو يُعذب، أو يُؤسر عقاباً له على ما ارتكب من آثام، والتوراة تُسمي حياة ما بعد الموت بالهاوية التي تقول التوراة عنها: إذا ذهب إليها الإنسان لا يصعد، وسمته في مواضع أخرى الظلام، وأخرى الجِب، وسافل الجِب، ووادي ظل الموت.

واليهود يُجاهرون بنكران يوم البعث والعقاب، والنشور، ويذهبون إلى أن عقاب المذنبين والإحسان إلى المحسنين إنما يحصلان في حياتهم وليس بعد مماتهم، ومن أهم أسفارهم التي تكلمت عن الموت دون بعث أو نشور سفر أيوب، يقول سفر أيوب: "هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد، لا يرجع بعده إلى بيته، ولا يعرف مكانه بعد" [1]، ويقول: "أما الرجل فيموت يبلى الإنسان، يُسلم الروح فأين هو والإنسان يضطجع ولا يقوم" [2]، ويقول في موضع آخر: "أليست أيامي قليلة، اترك، كف عني فأتلج قليلاً، قبل أن أذهب ولا أعود إلى أرض الظلمة وظل الموت، أرض ظلام مثل دُجى الموت وبلا ترتيب، وإشراقها كالدجى" [3]، ويقول في موضع آخر: "أيامي قد عبرت، مقاصدي إرث قلبي قد انتزعت، يجعلون الليل نهاراً نوراً قريباً للظلمة، إذا رجوت الهاوية بيتاً لي وفي الظلام مهدت فراشي وقلت للقبر أنت أبي وللدود أنتِ أمي وأختي، فأين إذاً آمالي من يعاينها، نهبط إلى مغاليق الهاوية إذ نرتاح معاً في التراب" [4].

1 العهد القديم: سفر أيوب، الإصحاح السابع / 9-11، ص 799 .
2 المصدر السابق: الإصحاح الرابع عشر / 13-21، ص 806 .
3 المصدر السابق: الإصحاح العاشر / 20-22، ص 802 .
4 المصدر السابق: الإصحاح السابع عشر: 11-15، ص 808 .

ولعل اليهود بسبب عدم إيمانهم باليوم الآخر قد اهتموا بأُمور الحياة الدنيا اهتماماً بلغ حد العبودية، وبسبب عقيدتهم هذه عَرفوا التعصب والتحجر والتقوقع.

ولهذا نجد أن تعامل اليهود مع الآخرين ظل على نسق واحد منذ وجودهم الأول وحتى الآن، تعامل سيء وتعصب وتكبر وعنصرية واضحة، وأي انتصار يُحققه اليهود ومهما كانت أسبابه ونتائجه يعتبرونه نعمة من ربهم (يهوه)، وأي انكسار لهم يعتبرونه جزاءً على ما فعلوا، فالنعيم حسب عقائدهم نعيم الدنيا، والجحيم كذلك هو جحيم الدنيا، وليس للآخرة أي اعتبار، لأن موت الإنسان يعني فناؤه نهائياً وتلاشيه في قلب الأرض.

إن التوراة اليهودية المكتوبة والتلمود المنطوق، لا يُوجد فيهما ذكر للحياة الآخرة، ويوم البعث، أو يوم الحساب، ولا يذكران عن الروح شيئاً، بخلاف التوراة المنزلة، فالدين اليهودي بعيد عن الروحانيات، لأن حياتهم تقوم على المادة وحب التملك، والشهوة إلى جمع المال بشتى الوسائل والأحوال، فرأس المال هو إله اليهود الحقيقي كما يقول اليهودي "ماركس"، وقد ورد في التوراة: "إن اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهودياً آخراً لا يدخلون الجنّة، وإنما تدخل أرواحهم في الحيوانات والنباتات، ثم تذهب إلى الجحيم، ثم تعذب عذاباً أليماً مدة اثني عشر شهراً، ثم تعود ثانية لتدخل في الجمادات، ثم في الحيوانات، ثم في الوثنيين، ثم ترجع إلى جسد يهودي بعد تطهيرها".

فهم يعتقدون بمبدأ تناسخ الأرواح، والتقمص، كما يعتقد الهندوس في الهند، فذكر الجنّة والنار في التوراة المكتوبة أقرب إلى الخرافة والأساطير.

هم يعتقدون أن الإنسان يُجزى في هذه الحياة الدنيا عما يفعل، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وقد يكون بين الناس من يفعل الخير ولكنه يُجزى بالشر، وتفسيره عندهم أنه مسئول عن أعمال غيره، فيُجزى بالشر الذي فعلته قبيلته، على مبدأ الذنب الوراثي، والإنسان ابن شعبه فهو مسئول عما يفعله غيره، ويتحمل وزره و وزر غيره، فهم يعتقدون بأن كل الأرواح خُلقت في آدم، لذلك تُشارك في تحمل مسئولية خطيئته، فاليهود يُحبون الحياة الدُنيا حُباً جماً، ويتمسكون بها، فهم يتعلقون بمباهجها وزخرفها، ويعبدون المال، ويحرصون على جمعه بشتى الوسائل، يقول السيد المسيح مخاطباً بني إسرائيل: "لا تعبدوا ربين: الله والمال" [1].

ولشدة تمسكهم بالحياة يتمنى واحدهم أن يطول عمره في هذه الحياة، وألا يُصيبه الموت، قال تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ (سورة البقرة: 96)، وقد خاطبهم الله بقوله: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (سورة الجمعة: 6)، فهم حريصون على الحياة، ويتمسكون بها مهما كانت ذليلة أو دنيئة، وهم غير صادقين [2].

نظرة النصارى عن اليوم الآخر:

من خلال البحث والتقصي وجدنا أن الإنجيل لم يواجه قضية البعث والحساب، والجزاء، مواجهة صريحة، ولم يحاول أن يجعل منها مجالاً للبحث، لأنه لم يكن من همه أن يُقرر عقيدة أو أن

[1] العهد الجديد: إنجيل متى، الإصحاح السادس 24 .
[2] انظر: عالم الأديان: فوزي حميد، ص 347 .

يشرح مذهباً، فالمسيح إنما أُرسل إلى اليهود الذين سبقه إليهم أنبياء كثيرون، وتركوا فيهم كتابين سماويين (التوراة و الزبور)، وفي التوراة مهما دخل عليها من تحريف، شروح مطولة، وفصول كاملة عن البعث والجزاء والجنّة والنار" ما قبل التحريف"، فلم يكن الأمر كذلك أن يُعيد المسيح ما جاء في التوراة عن هذه الأمور، خاصة أن بني إسرائيل لم يكونوا يُنكرون شيئاً منها، وإنما الذي كانوا في حاجة إليه هو رسالة تحطم تلك القسوة التي تمكنت من قلوبهم، فنزعت منها العواطف، عواطف الرحمة والحب، وملأتها ضغينة وحقداً، وأنانية، وذلك لما نزل من ويلات بهم ولما أصابهم من تشتيت وتشريد على يد أعدائهم من الآشوريين والبابليين وغيرهم.

ملكوت السماوات:

وملكوت السماوات هو الجزاء الموعود في دعوة السيد المسيح للطيبين الصالحين من الناس، إنه لا يدخل فيه إلا من عمل له في هذه الحياة الدنيا، وآثر صلاح روحه على مطالب جسده، فلم يرد في تعاليم السيد المسيح شيء عن البعث، وعن المرحلة الفاصلة بين الموت والبعث، البعث الجماعي الذي يقوم الناس فيه من قبورهم مرة واحدة، وإنما هي نقلة واحدة من موت إلى ملكوت السماوات، أو إلى خارج هذا الملكوت.

يقول السيد المسيح في بعض عظاته: "طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات، طوبى للحزانى، فإنهم يتعزون، طوبى للورعاء لأنهم يرثون الأرض، طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون، طوبى لأنقياء القلب لأنهم سيرون الله" [1].

[1] العهد الجديد: إنجيل متى، الإصحاح الخامس، 3-9 ، ص 5 .

ويقول أيضاً: " لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها، بل خافوا بالحريّ من الذي يقدر أن يهلك النفس، والجسد كليهما في جهنم " [1].

ويقول أيضاً: "يُشبه ملكوت السماوات إنساناً زرع زرعاً جيداً في حقله، وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زوّاناً في وسط الحنطة ومضى، فلما طلع النبات وضع ثمراً، حينئذٍ ظهر الزوّان أيضاً، فجاء عبيد رب البيت، وقالوا له: يا سيد أليس زرعاً جيداً زرعت في حقلك، فمن أين له زوّان، فقال لهم: إنسان عدو فعل هذا، فقال له العبيد: أتريد أن نذهب ونجمعه، فقال: لا لئلا تقطعوا الحنطة مع الزوّان، وأنتم تجمعونه، دعوهما ينمون كلاهما معاً إلى الحصاد وفي وقت الحصاد أقول للحصّادين: اجمعوا أولاً الزوّان واحزموه حزماً ليُحرق، وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزني" [2].

في هذا المثل يشرح السيد المسيح قضية الحياة الإنسانية، وما وراء هذه الحياة، وما يلقى الأخيار والأشرار من جزاء في الدار الآخرة، لقد سأل تلاميذ المسيح عن حقيقة هذا المثل، فقالوا: فسر لنا مَثل الزوّان، فقال لهم: الزارع الجيد هو ابن الإنسان، والحقل هو العالم، والزرع الجيد هم بنو الملكوت، والزوّان هم بنو الشرير، والعدو الذي زرعه هو إبليس، والحصاد هو انقضاء العالم، والحصّادون هم الملائكة.

فكما يُجمع الزوّان ويُحرق بالنار، هكذا يكون انقضاء هذا العالم، ويُرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاشر، وفاعلي الإثم، ويطرحونهم في آتون النار.

[1] المصدر السابق: الإصحاح العاشر، 28-29، ص 13.
[2] المصدر السابق: المصدر السابق: الإصحاح الثالث عشر، 24-31، ص 18.

"هناك يكون البكاء وصرير الأسنان، حينئذٍ يُضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم، من له أذنان للسمع فليسمع" [1].

بمثل هذه الأمثال شرح السيد المسيح قضية البعث، لم يقل إنه بعث للجسد والروح معاً، أو للروح دون الجسد، وإنما الذي أراد أن يؤكده في دعوته هو أن هناك بعثاً، وأن هناك حياة آخرة، وأن في هذه الحياة يلقى الناس جزاء أعمالهم، فينعم الأخيار، ويتعذب الأشرار.

كذلك نجد في الإنجيل صورة حية ليوم القيامة، على الرغم مما وقع في ثنايا الإنجيل من آيات يُفهم منها أن لكل إنسان قيامة، وأن موته يعني انتقاله إلى موقف الجزاء مباشرة، فإما أن يُصار به إلى ملكوت الله، وإما أن يُلقى خارج الملكوت، نقول إن مشهد القيامة الذي يُصوره السيد المسيح مشهد متكامل، تتغيّر به أوضاع الأرض والسماء، وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يُعطي ضوؤه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع، وحينئذٍ تظهر علامة "ابن الإنسان" في السماء، وحينئذٍ تنوح جميع قبائل الأرض، ويُبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب بقوة ومجد كثير، فيُرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيُجمعوا مختارين من الجهات الأربع من أقاصي السماوات إلى أقاصيها، وتعلموا المثل من شجرة التين، عندما تلين أغصانها وتطلع ورقاً تعرفون أن الصيف قريب، هكذا أيضاً حين ترون هذه الأمور جميعها تحدث فاعلموا أنه قريب، بل على الأبواب، الحق أقول لكم، لا يزول هذا الجيل أبداً حتى تحدث هذه الأمور كلها، إن السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول أبداً.

---

[1] المصدر السابق: الإصحاح الثالث عشر، 4-44، ص 19.

"أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد، ولا ملائكة السماوات ولا الابن، إلا الأب وحده، وكما كانت الحال في زمن نوح، كذلك ستكون عند رجوع ابن الإنسان، فقد كان الناس في الأيام السابقة للطوفان يأكلون ويشربون، ويتزوجون ويُزوجون حتى فاجأهم اليوم الذي دخل فيه نوح السفينة، ونزل الطوفان، وهم لاهون فأخذ الجميع، هكذا ستكون الحال عند رجوع ابن الإنسان، عندئذٍ يكون رجلان في الحقل فيُؤخذ أحدهما ويُترك الآخر، وامرأتان تطحنان على الرحى فتُؤخذ إحداهما وتُترك الأخرى، فاسهروا إذن لأنكم لا تعرفون في أية ساعة يرجع ربكم، واعلموا أنه لو عرف رب البيت أي ربع من الليل يدهمه اللص لظل ساهراً ولم يدع بيته يُنقب فكونوا أنتم أيضاً على استعداد، لأن ابن الإنسان سيرجع في ساعة لا تتوقعونها".

ويقول: "ومتى جاء (ابن الإنسان) في مجده، وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذٍ يجلس على كرسي مجده، ويجمع أمامه جميع الشعوب فيُميّز بعضهم من بعض كما يُميز الراعي الخراف من الجداء، فيُقيم الخراف عن يمينه، والجداء عن اليسار، ثم يقول المَلك للذين عن يمينه، تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فآويتموني، عرياناً فكسوتموني، محبوساً فأتيتم إليَّ، فيُجيبه الأبرار حينئذٍ قائلين: يا رب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، أو عطّشاناً فأسقيناك، متى رأيناك غريباً فآويناك، أو عرّياناً فكسوناك، ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك، فيُجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول.. بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم، ثم يقول أيضاً للذين على اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته، لأني جعت فلم تطعموني، عطشت

فلم تسقوني، كنت غريباً فلم تؤووني، عرّياناً فلم تكسوني، مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني، حينئذٍ يُجيبونه هم أيضاً قائلين: يا رب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عرّياناً أو مريضاً أو محبوساً فلم نخدمك، فيُجيبهم قائلاً: الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر، فبي لم تفعلوه، فيمضي هؤلاء إلى عذابٍ أبدي، والأبرار إلى حياة أبدية" [1].

لم يتحدث الإنجيل عن الصراط ولا عن الميزان، وإنما هو مجلس القضاء يجلس فيه (ابن الإنسان)، وحوله الملائكة القديسون، وفي مجلس القضاء هذا يقف الأبرار جهة اليمين والأشرار جهة اليسار، وبعد الحساب يُساق الأشرار إلى النار الأبدية، ويمضي الأخيار إلى الخلود الأبدي.

"و(ابن الإنسان) حسب المعتقد المسيحي هو السيد المسيح، أو هو الله الذي تجسد في السيد المسيح، لأن الله حسب هذا المعتقد لا ينبغي أن يظهر للناس، إلا على صورة إنسانية حتى يمكن للناس أن يروه، وبغير هذا التجسيد مستحيل على الإنسان أن يتصور الله أو يراه" [2].

لقد أكثرت من النقل فيما يتعلق بنظرة القدماء لليوم الآخر، إن كانوا أصحاب أديان سماوية، أو أديان أرضية، وسبب الإكثار حتى تنجلي الفكرة، وحتى يظهر أن الإنسان شرقيّه وغربيّه يُؤمن إيماناً راسخاً حسب معتقده بيوم آخر، يقف فيه الخلائق أمام إلاههم وخالقهم، يقضي بينهم ويفصل، يُجازي أصحاب الطاعات والأعمال الخيرة، ويُعاقب الأشرار العصاة، وهذه العقيدة على ما يخالف في بعضها تعاليم الإسلام وعقيدته، إلا أنها عامل مشترك بين كل الأديان.

[1] المصدر السابق: الإصحاح 26/31-46، ص 25 .
[2] انظر: قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، عبد الكريم الخطيب، ص 323/2 .

ثمرات الإيمان بالغيب، واليوم الآخر:

إن قيام الساعة الذي يعني نهاية نظام هذا الكون، هو من أعظم الأحداث بعد خلق العالم، بل إن تغيير النظام الكوني، وإيجاد نظام آخر، حدثٌ يعدل خلق العالم أول مرة، ولذلك تسبقه أحداث كبرى خارقة للعادة، تكون كالمقدمة له، والإيمان بأشراط الساعة داخلٌ ضمن الإيمان باليوم الآخر، فهي من الإيمان بالغيب.

ولهذا الإيمان ثمرات وفوائد نحاول أن نُجملها فيما يلي:

أولاً: تحقيق ركن من أركان الإيمان الستة، وهو الإيمان باليوم الآخر، باعتبار أن أشراط الساعة من مقدماته، كما أنها من الإيمان بالغيب الذي قال فيه عز وجل: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ (سورة البقرة: 3)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " **أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن يُؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم، وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله**"[1] .

ثانياً: إشباع الرغبة الفطرية في الإنسان التي تتطلع لاستكشاف ما غاب عنه واستطلاع ما يحدث في المستقبل من وقائع وكائنات، وإذا كان الإسلام سدّ طرق الدجالين الذين يدّعون الإطلاع عليها،

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (25)، كتاب الإيمان، باب: الحياء من الإيمان، ص 32/1 .

كالمنجمين، والعرافين، والكهان، ونحوهم، إلا أنه سُبحانه وتعالى استجابة لأشواق الفطرة فأطلعنا من خلال نافذة الوحي على كثير من هذه الأحداث.

ثالثاً: أن الإخبار عن الغيوب المستقبلية باعتبار ما فيها من خرق للعادة من أهم دلائل النبوة، حيث إنها تتضمن تحدياً لعقول البشر أجمعين، فهذه أمور غيبية لا تُدرك بالعقل، ولا يمكن معرفة كنهها على الحقيقة إلا من خلال الوحي الصادق من الله تعالى، إلى رسوله صلى الله عليه وسلّم، وقد صدرت منه لا على أنها توقعات تعتمد على مقدمات تؤدي إلى نتائجها، وإنما هي حديث دقيق قاطع عن تفاصيل المستقبل المجهول، حديثاً لا يُكذبه المستقبل، ولا في جزء من أجزائه، وحينئذٍ فلا شك أنها النبوة، وأن صاحبها متصل بالله تعالى عالم الغيب والشهادة، كما قال عز وجل: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ (سورة الجن: 26 – 27).

ومن ثمرات وقوع تلك المغيبات على كثرتها مطابقتها لخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلّم أن يُثبت إيمان المؤمن، ويُطمئن قلبه، ويزداد يقينه، ويقول كما قص الله عن المؤمنين: ﴿**هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ (سورة الأحزاب:22).

ومن ثمرات ذلك أيضاً إقامة الحجة على الكافرين، وإقناعهم بصدق نبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلّم إلى العالمين.

رابعاً: تعلم الكيفية الصحيحة التي دلنا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلّم كي نتعامل بها مع بعض الأحداث المقبلة التي قد يلتبس علينا وجه الحق فيها.

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ (سورة التوبة: 128) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم في سفر فنزلنا منزلاً . . وفيه . . إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلّم الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقال: **"إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، ويُنذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أُمتكم هذه جَعل عاقبتها في أولها، وسيُصيب آخرها بلاءٌ وأمور تنكروها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه مُهلكتي ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه، هذه، فمن أحب أن يُزحزح عن النار ويُدخل الجنّة فلتأته منيته وهو يُؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يُحب أن يُؤتى إليه"** [1].

ثم نصح رسول الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه الذين عاصروه نصائح انتفعوا بها كثيراً:

- فقد بشّر عثمان رضي الله عنه بالجنّة على بلوى تصيبه.
- وأخبر عماراً رضي الله عنه أنه تقتله الفئة الباغية.
- وأمر أبا ذر رضي الله عنه بأن يعتزل الفتنة وألا يُقاتل ولو قُتل.

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (1844)، كتاب الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعة الخليفة، ص 544/4 .

- وكان حُذيفة رضي الله عنه يسأله عن الشر مخافة أن يدركه، ودله صلى الله عليه وسلّم كيف يفعل في الفتنة.
- ونهى المسلمين عن أخذ شيء من جبل الذهب الذي سوف ينحسر عنه الفرات.
- وبصّر أمته بفتنة الدجال، وأفاض في وصفها، وبيّن لهم ما يعصمهم منها .

ومن ثم قال عبد الرحمن المحاربي: ينبغي أن يُدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يُعلّمه الصبيان في الكتّاب، وقال السفاريني رحمه الله: مما ينبغي لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال، ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السُنن.

امتدت شفقته صلى الله عليه وسلّم لتشمل إخوانه الذين يأتون من بعده ولم يروه، فبذل لهم النصح، ودلهم على ما فيه نجاتهم وحُسن عاقبتهم، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلّم: **"اتركوا التُرك ما تركوكم"** [1] .

فمن ثم أمسك المسلمون عن استفزاز واستثارة الترك فسلِموا من غائلتهم، إلى أن خالفوا التوجيه النبوي، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وقد قتل جنكيز خان من الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، ولكن كان البُداءة من (خوارزم شاه) فإنه لما أرسل جنكيزخان تجاراً من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده، فانتهوا إلى إيران، فقتلهم نائبها من جهة (خوارزم شاه) وأخذ جميع ما كان

[1] أخرجه أبو داود في سُننه: رقم (4302)، كتاب الملاحم، باب: في النهي عن تهييج الترك والجثة، ص 109/4 .

معهم، فأرسل (جنكيز خان) إلى (خوارزم شاه) يستعلمه: هل وقع هذا الأمر عن رضاً منه، أو أنه لا يعلم به، فأنكره وقال فيما أرسل إليه: من المعهود من الملوك أن التجار لا يُقتلون، لأنهم عمارة الأقاليم، وهم الذين يحملون إلى الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة، ثم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك، فقتلهم نائبك، فإذا كان أمراً أمرت به، طلبنا بدمائهم، وإلا فأنت تُنكره وتقتص من نائبك، فلما سمع (خوارزم شاه) ذلك من رسول (جنكيز خان) لم يكن له جواب سوى أنه أمر بضرب عنقه، فأساء التدبير، وقد كان خرَّف، وكبرت سنه، وقد ورد حديث: (اتركوا الترك ما تركوكم)، فلما بلغ ذلك (جنكيز خان) تجهز لقتاله، وأخذ بلاده، فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يُسمع بأغرب منها، ولا أبشع" [1].

فهنا نرى أن المسلمين لما خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلّم بترك الترك، جاءت العاقبة عنيفة مريرة حيث اجتاح التتار ديار الإسلام في كارثة لم يسبق لها مثيل في التاريخ.

وفي أكثر من موضع ذكر الحافظ ابن كثير وقائع القتال بين المسلمين والتتار، وبيّن أن المسلمين لم يكونوا يتعقبون التتار إذا فروا هاربين أمامهم، ولو كانت الرماح تنالهم، ومثال ذلك ما ذكره في حوادث سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة، وبين التتار، لعنهم الله، فكسرهم المسلمون كسرة عظيمة، وفرّقوا شملهم وهُزموا من بين أيديهم، فلم

[1] انظر: البداية والنهاية: ابن كثير، ص 125/13 .

يلحقوهم، ولم يتبعوهم خوفاً من غائلة مكرهم، وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلّم: **"اتركوا الترك ما تركوكم"** [1].

خامساً: فتح باب الأمل، والاستبشار بُحسن العاقبة لأهل الإيمان، إذا ادلهمت الخطوب، وضاقت الصدور، مما يُعطي المسلمين طاقة يُصارعون بها ما يُسميه المتخاذلون (الأمر الواقع)، لُيصبح عزهم ومجدهم هو الأمر الواقع، وذلك بناءً على البشارات النبوية بالتمكين للدين، وظهوره على الدين كله ولو كره الكافرون.

سادساً: قد تمر بالمسلمين وقائع في مُقبل الأيام تحتاج إلى بيان الحكم الشرعي فيها، ولو تُرك المسلمون إلى اجتهادهم، فإنهم قد يختلفون، وربما يكون بيان الحكم الشرعي في تلك الأحداث واجباً لا بد منه، وعدم البيان يكون نقصاً تُنزه الشريعة عنه.

فمن ذلك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أخبر أن الدجال يمكث في الأرض أربعين يوماً، يوم من أيامه كسنة ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، وقد سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن تلك الأيام الطويلة أتكفي في الواحد منها صلاة يوم فقال صلى الله عليه وسلّم: **"لا أقدروا له قده"** ولو وُكِّل العباد إلى اجتهادهم، لاقتصروا على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غير هذه الأيام.

[1] المصدر السابق: ص 175/13 .

وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلّم أن عيسى عليه السلام بعد نُزوله لا يقبل الجزية من اليهود والنصارى، ولا يقبل منهم إلا الإيمان، وهذا الشرع فيه قبول الجزية ممن بذلها إلى حين نزول عيسى ابن مريم، وحين ذاك تُوضع الجزية، ويُقتل كل من رفض الإيمان، ولو بذل الجزية.

كما أن نص رسول الله صلى الله عليه وسلّم على صفات مُعينة لأشخاص مُعينيين كالمهدي يمدنا بالمعيار اللازم للحكم على الدجالين المدعين المهدية، حتى لا نتورط في فتنتهم [1].

[1] انظر: المهدي: د.محمد المقدم، ص 589 .

الفصل الأول

أشراط الساعة

سأتناول في هذا الفصل (بإذن الله) الحديث عن أشراط الساعة، وأن الساعة قد حجب الله علمها عن الناس لِحِكم عظيمة، وسبُيّن فيه العلامات التي وقعت، وأجمع العلماء عليها، والعلامات التي لم تقع بعد، صغرى كانت أو كبرى.

ويتكون هذا الفصل من توطئة ومبحثين:

المبحث الأول: أشراط الساعة الصغرى.

المبحث الثاني: أشراط الساعة الكبرى.

توطئة:

لا يعلم متى الساعة إلا الله وحده:

قال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ (سورة الأعراف: 187) .

فقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي** ﴾ ، وقوله عز وجل: ﴿ **إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا** ﴾ ، فيه إيذان بأن ما هو من شأن الرب لا يكون للعبد، فهو تعالى قد رباه ليكون منذراً ومبشراً، لا للإخبار عن الغيوب بأعيانها وأوقاتها، والإنذار إنما يُناط بالإعلام بالساعة، وأهوالها، والنار وسلاسلها، وأغلالها ولا تتم الفائدة منه إلا بإبهام وقتها، ليخشى أهل كل زمان إتيانها فيه، والإعلام بوقت إتيانها، وتحديد تاريخها يُنافي هذه الفائدة، بل فيه مفاسد أخرى، فلو قال الرسول صلى الله عليه وسلّم: "**إن الساعة تأتي بعد ألفي سنة من يومنا هذا**" مثلاً، وألفا سنة في تاريخ العالم، والآلاف السنين، تُعد أجلاً قريباً، لرأى المكذبين يستهزئون بهذا الخبر، ويُلحون في تكذيبه، والمرتابين يزدادون ارتياباً، حتى إذا ما قَرُب الأجل، وقع المؤمنون في رعب عظيم يُنغّص عليهم حياتهم، ويوقع الشلل في أعضائهم، والتشنج في أعصابهم، حتى لا يستطيعون عملاً، ولا يسيغون طعاماً ولا شراباً، ومنهم من يخرج من ماله وما يملكه في حين يكون الكافرون آمنين، يسخرون من المؤمنين.

فالحكمة البالغة إذن في إبهام أمر الساعة للعالم، وكذا الساعة الخاصة بأفراد الناس، أو الأمم والأجيال، جعلها من الغيب الذي استأثر الله تعالى به [1].

وقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ معناه: لا يكشف حجاب الخفاء عنها، ولا يُظهرها في وقتها المحدد عند الرب تعالى إلا هو، فلا وساطة بينه وبين عباده في إظهارها، ولا في الإعلام بميقاتها، وإنما وساطة الرسل عليهم السلام في الإنذار بها [2].

ونقل الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله عن الألوسي رحمه الله قوله: وإنما أخفى سُبحانه أمر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية لذلك، فإنه أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية، كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك، ولو قيل بأن الحكمة التكوينية تقتضي ذلك أيضاً لم يبعد، وقول الآيات على أنه صلى الله عليه وسلّم لم يعلم وقت قيامها، نعم عَلِمَ صلى الله عليه وسلّم قربها على الإجمال، وأخبر صلى الله عليه وسلّم به.

وقال صاحب المنار رحمه الله تعالى أيضاً: فيجب على المؤمنين أن يخافوا ذلك اليوم، وأن يحملهم الخوف على مراقبة الله تعالى، في أعمالهم، فيلزموا فيها الحق، ويتحرّوا الخير، ويتقوا الشرور والمعاصي، ولا يجعلوا حظهم من أمر الساعة الجدال، والقيل والقال، وإننا نرى بعض المتأخرين قد شغلوا المسلمين عن ذلك ببحث افتجره بعض الغلاة، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلّم لم يبق طول عمره لا يعلم متى تقوم الساعة، كما تدل عليه آيات القرآن الكثيرة، بل أعلمه الله تعالى به، بل زعم

[1] انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ص 466/9.
[2] المصدر السابق: ص 466/13.

أنه أطلعه على كل ما في علمه، فصار علمه كعلم ربه، أي صار نداً وشريكاً لله تعالى في صفة العلم المحيط بالغيوب التي لا نهاية لها، ومن أصول التوحيد أنه تعالى لا شريك له في ذاته، ولا في صفة من صفاته، والرسول صلى الله عليه وسلّم عبد الله، لا يعلم عن الغيب إلا ما أوحاه الله تعالى إليه، لأداء وظيفة التبليغ، ولكنّ الغُلاة يرون أنه من التقصير في مدح النبي صلى الله عليه وسلّم، وتعظيمه أن تكون صفاته دون صفات ربه وإلهه، وخالق الخلق أجمعين، فكذّبوا كلام الله تعالى، وشبّهوا به بعض عبيده، إرضاءً لغرور، أو إتباع لجهل، ومثل هذا الغلو لم يُعرف عن أحد من سلف هذه الأمة، ولو أراد الله تعالى أن يُعْلمَ رسوله صلى الله عليه وسلّم بوقت قيامة الساعة، بعد كل ما أنزله عليه في إخفائها واستئثاره بعلمه، لما أكده كل هذا التأكيد في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا**﴾[1].

الحكمة في تقديم أشراط الساعة ودلالة الناس عليها:

ثبت في حديث جبريل المشهور أنه عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"فأخبرني عن الساعة، فقال صلى الله عليه وسلّم: ما المسئول بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها**، وفي رواية قال: **ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها"**.

قال ابن حجر: والحكمة في تقديم الأشراط إيقاظ الغافلين، وحثهم على التوبة والاستعداد.

[1] المصدر السابق: ص 468/13.

وقال القرطبي: والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها، تنبيه الناس عن رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يُبَاغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها والله أعلم، وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها [1].

أشراط الساعة وعلاماتها:

كما أسلفنا الحديث، أن الإيمان باليوم الآخر، وما يترتب عليه من بعث وحساب وجزاء، هو من قضايا العقيدة الإسلامية الأساسية، لهذا لا نجد غرابة حين نرى أن القرآن الكريم قد أفاض في الحديث عن هذا الأمر كثيراً، خصوصاً في الجزء المكي منه، ولهذا اعتبارات كثيرة، قد يكون منها كون العرب كانوا لا يُؤمنون باليوم الآخر، لكن هذا وحده لا يكفي سبباً للإكثار من الحديث عن اليوم الآخر بهذه الكثرة.

هذا اليوم المرتقب الذي أفاض القرآن في ذكره، واهتم به اهتماماً عظيماً، كان مدار تصديق وكفر، آمن به من آمن، وكفر به من كفر برسالات السماء.

وقد أخبر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلّم أن هذا اليوم قريب، وأن له أمارات وعلامات أشار إليها، حتى يُدركها المؤمن ويتبينها، وقد اصطلح العلماء المسلمون على تسميتها أشراط الساعة، وآياتها، أشراط صغرى، وأشراط كبرى.

[1] انظر: التذكرة: القرطبي، ص 562.

والأشراط الصغرى سُميت بهذا الاسم لتباعد الزمن بينها وبين قيام الساعة من ناحية ومن ناحية أخرى، لتباعد الزمن بين الواحدة منها والأخرى، ولأن أشراط الساعة الصغرى لا تُحدث تغيراً في النظام الكوني وقوانينه.

أما الأشراط الكبرى، فإذا ظهرت آية منها تتابعت سائر الآيات بالظهور.

وقد تحدث القرآن عن اقتراب يوم القيامة حين قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (سورة القمر: 1)، وقوله تعالى: **﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾** (سورة النحل: 1)، وقوله تعالى: **﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾** (سورة الأنبياء: 1).

أما عن الأحاديث النبوية فكثيرة، نذكر منها البعض للذكر:

ما رواه البخاري عن النبي قوله: "**بُعثت أنا والساعة كهاتين**" [1]، ويُشير بإصبعيه فيمدهما، وما رواه البخاري أيضاً، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: "**إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس**" [2].

وما رواه الإمام أحمد في مسنده، خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: "**أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصُرم، وولت حذّاء، ولم يبق منها إلا صُبابة**

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6503)، كتاب الرقاق، باب: قول النبي (ص) بعثت أنا والساعة كهاتين، ص2039/4

[2] المصدر السابق: رقم (5020)، كتاب: فضائل القرآن الكريم، باب: فضل القرآن على سائر الكلام، ص1618/3.

كصُبابة الإناء يتصابُها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا منها بخير ما يحضرنكم"[1].

ويتساءل الناس عن حكمة إخفاء وقت قيام الساعة، ولا شك أن لإخفائها حكمة عند رب العزة، لعل منها ما يدفع الإنسان إلى ترقبها، والنظر إلى إصلاح نفسه، وتهيئتها لذلك اليوم الموعود المرتقب، وهو يوم مجهول.

يقول الأستاذ سيد قطب:

"والمجهول عنصر أساسي في حياة البشر، وفي تكوينهم النفسي، فلا بد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه، ولو كان كل شيء مكشوفاً لهم، وهم بهذه الفطرة لوقف نشاطهم، وأسنت حياتهم، فوراء المجهول يجرون، فيحذرون، ويأملون، ويُجربون، ويتعلمون، ويكشفون المخبوء من طاقاتهم وطاقات الكون من حولهم، وتعليق قلوبهم ومشاعرهم بالساعة المجهولة الموعد يحفظهم من الشرور، فهم لا يدرون متى تأتيهم الساعة، فهم من موعدها على حذر دائم، وعلى استعداد دائم، ذلك لمن صحت فطرته، واستقام، فأما من فسدت فطرته، واتبع هواه فيغفل، ويجهل، فيسقط ومصيره إلى الردى "[2].

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (17505)، ص421/13 – حم174/4.
[2] انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، ص2331/4.

المبحث الأول

أشراط الساعة الصغرى

تنقسم أشراط الساعة الصغرى إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وقع واستحكم وكثر وشاع، واستشرى وذاع.

القسم الثاني: وقع ولكن لم يستحكم، وهو قليل.

القسم الثالث: لم يقع وهو أقل الأقسام الثلاثة.

أولاً: علامات الساعة الصغرى التي وقعت: وهذا القسم كلما مرَّ الزمان واقتربت الساعة ازداد استحكاماً، وأخذ صورته النهائية، **ومن هذه العلامات:**

1. **بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم:** لقوله عليه السلام: **"بُعثت أنا والساعة كهاتين"**[1] .

2. **وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم:** ما رواه البخاري عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلّم في غزوة تبوك وهو في قبة آدم فقال: " **أعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ منكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال، حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هُدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتوكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً** " [2] .

3. **انشقاق القمر:** صرّح به القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ (سورة القمر: 1)، قال ابن كثير: وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صلى الله عليه وسلّم، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات [3]، وقد كان ذلك في مكة.

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6503)، كتاب الرقاق، باب: قول النبي (ص) بعثت أنا والساعة كهاتين، ص2039/4.
[2] المصدر السابق: رقم (3176)، كتاب الجزية والموادعة، باب: ما يُحذر من الغدر، ص980/2.
[3] انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص469/6.

4. **خروج نار من أرض الحجاز:** عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تُضيءُ أعناق الإبل بِبُصرى"**[1].

وقد دلت الروايات التاريخية على ظهور هذه النار سنة 654هـ، وقد عاصرها الإمام النووي، حيث قال: وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقي، وراء الحرة، تواتر العلم بخروجها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة[2].

5. **فتح بيت المقدس:** وقد تم فتح بيت المقدس على يد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة الخامسة عشرة من الهجرة، ودل عليه حديث عوف بن مالك السابق ذكره في رقم (5).

6. **داء ينزل في الأمة يقتل الكثير من الناس، دل عليه حديث عوف بن مالك.**

7. **فتنة تدخل كل بيت مُسلم، دل عليه حديث عوف بن مالك السابق.**

8. **كثرة القتال على الدنيا:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج"، قالوا: وما الهرج يا رسول الله: قال: "القتل، القتل"**[3].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (7118)، كتاب الفتن، باب: خروج النار، ص225/4.
[2] انظر: صحيح مُسلم: شرح النووي، ص351/6.
[3] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2288)، كتاب الفتن، باب: إذا تواجه المُسلمان بسيفيهما، ص339/6.

9. **لا يدري القاتل فيما قَتل، ولا المقتول فيم قُتل:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قَتل، ولا المقتول فيما قُتل" قيل: كيف يكون ذلك؟ قال: "الهرج: القاتل والمقتول في النار"** [1].

10. **إسناد الأمر إلى غير أهله:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"إذا وُسد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة"** [2]. أي أن يكون زعيم القوم أرذلهم، ورئيس القبيلة أفسقهم.

11. **الفُحش والتفحش:** وهذا نسمعه ليل نهار، في الشارع، وفي المدرسة، والسوق، والمنتديات، ووسائل الإعلام.

12. **قطيعة الرحم:** وهذا أصبح أمراً ظاهراً لا يخفى.

13. **تخوين الأمين.**

14. **وائتمان الخائن:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"من أشراط الساعة، الفُحش، والتفحش، وقطيعة الرحم، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن "** [3].

15. **أخذ الأمة الإسلامية بأخذ القرون قبلها:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **" لا تقوم الساعة حتى تأخذ أُمتي أخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، قيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ قال: "ومن من الناس إلا أولئك"** [4].

---

[1] المصدر السابق: رقم (2908/56)، كتاب الفتن، باب: علامات قيام الساعة، ص 355/6.
[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (59)، كتاب العلم، باب: من سُئل علماً، ص 45/1.
[3] أخرجه السيوطي في صحيح الجامع الصغير، 213/5.
[4] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (7319)، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي: "لتتبعن سنن من كان قبلكم "، ص2285/4.

16 . **عن حُذيفة بن اليمان قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة، إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا، واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدماء، واستعلوا بالبناء، وباعوا الدين بالدنيا وتقطعت الأرحام، ويكون الحكم ضعفاً، والكذب صدقاً، والحرير لباساً، وظهور الجور، وكثر الطلاق، وموت الفُجأة، وائتمان الخائن، وخون الأمين، وصدق الكاذب، وكذب الصادق، وكثرة القذف، وكان المطر قيظاً، والولد غيظاً، وفاض اللئام فيضاً، وغاض الكرام غيضاً، وكان الأُمراء فجرة، والوزراء كذبة، والأُمناء خونة، والعُرفاء ظلمة، والقُراء فسقة، إذا لبسوا مسوك الضأن، قلوبهم أنتن من الجيفة، وأمرُّ من الصبر، يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظلمة، وتظهر الصفراء (يعني الدنانير)، وتُطلب البيضاء، ويكثر الخطباء، ويقل الأمر بالمعروف وحُليت المصاحف، وصُورت المساجد، وطُولت المنابر، وخرجت القلوب، وشُربت الخمور، وعُطّلت الحدود، وولدت الأمة ربتها، وترى الحُفاة العُراة قد صاروا مُلوكاً، وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وحُلف بغير الله، وشهد المرء من غير أن يُستشهد، وسَلّم للمعرفة، وتفقه لغير دين الله، وطلب الدنيا بعمل الآخرة، واتخذ المغنم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وكان زعيم القوم أرذلهم، وعق الرجل أباه، وجفا أمه، وبر صديقه، وأطاع امرأته، وعلت أصوات الفسقة في المساجد، واتخذت القيان والمعازف، وشُربت الخمور في الطرق، واتخذ**

الظلم فخراً، وبيع الحكم، وكثرت الشُرط، واتخذ القرآن مزامير، وجلود السباع صفاقاً، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليترقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، وخسفاً وقذفاً وآيات" [1] .

17 . **ظهور الفتن:** ومنها أن يُقاتل الزبير بن العوام علي بن أبي طالب.

ومنها: "أيتكن صاحبة الجمل الأدبب يُقتل حولها قتلى كثيرة، وتنجو بعدما كادت" .

ومنها عمّار تقتله الفئة الباغية.

ومنها قتل علي بن أبي طالب.

ومنها إخباره عن الصلح بين الناس على يد الحسن بن علي رضي الله عنهما .

ومنها زوال خلافة النبوة.

ومنها قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وغير هذه الفتن كثير.

18 . **القتال بين فئتين عظيمتين من المسلمين:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة"** [2] .

وهذا القتال وقع بين علي ومن معه رضي الله عنهم، وبين معاوية ومن معه رضي الله عنهم في معركة صفين، وقُتل من خيار الصحابة العدد الكبير.

19 . **تباهي الناس في المساجد**: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **" لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد"** [3] .

[1] أبو نعيم الأصفهاني – حلية الأولياء – ص 41/3.
[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (1721)، كتاب الفتن، باب: خروج النار، ص 2225/4.
[3] أخرجه أبو داود في سُننه: رقم (449)، كتاب الصلاة، باب: في بناء المساجد، ص 311/1.

20. **التقارب في الزمان:** لقوله عليه السلام: **"لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان"** [1].

والتقارب هنا له شكلان:

الشكل الأول: نزع البركة من الوقت وهذا يدركه كل عاقل.

الشكل الثاني: التقارب الحسي، فتكون السنة كالشهر، والشهر كالأسبوع، والأسبوع كاليوم.

21. **ظهور الخوارج:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يأتي في آخر الزمان قوم حُدثاء الأسنان، سُفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يُجاوز إيمانهم حناجرهم، فاقتلوهم فإنّ قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة"** [2].

22. **تمني الموت:** كما قال النبي صلى الله عليه وسلّم: **" لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول، يا ليتني مكانه"** [3].

23. **أسعد الناس التافه ابن التافه:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:**" لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع"** [4].

أي أن يكون أسعد الناس بالدنيا التافه ابن التافه، قليل الأدب، حقير النسب، كأهل اللهو واللعب، حتى أننا في بلداننا العربية والإسلامية نعتبر الراقصة والمغني أعلى مرتبة من مرتبة العالم والوزير.

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (10885)، ص 611/9 – حم 538/3.

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (3611)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ص 1113/3.

[3] المصدر السابق: رقم (7115)، كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يُغبط أهل القبور، ص2224/4.

[4] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (23196)، ص 585/16 – حم 389/5.

24. **أن تمتلئ الأرض ظلماً**: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " **لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً**" [1] .

ثانياً: علامات الساعة الصغرى التي وقعت ولم تستحكم:

1. **مرور أحدهم بالمسجد دون أن يُصلي ركعتين:** عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**من أشراط الساعة أن يمر الرجل بالمسجد فلا يركع ركعتين**" [2] .

2. تحول **خيار أهل العراق إلى الشام**: عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: "**لا تقوم الساعة حتى يتحول شرار أهل الشام إلى العراق، وخيار أهل العراق إلى الشام**" [3] .

3. **هجرة بعض المسلمين الدعاة إلى أوروبا وأمريكا:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**سيخرج ناس إلى المغرب يأتون يوم القيامة وجوههم على ضوء الشمس**" [4] .

معنى هذا أن ناساً من المسلمين سيهاجرون إلى أوروبا وأمريكا ويعملون بالدعوة إلى الله في هذه البلاد فينشرون دين الإسلام، فيأتون يوم القيامة وجوههم على ضوء الشمس، وهذا حدث ومنذ زمن بعيد .

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (11252)، ص 116/10 – حم 36/3.
[2] أخرجه عبد الرازق في مصنفه: رقم (1678)، كتاب الصلاة، باب: إذا دخل المسجد / ص 429/1.
[3] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (22045)، ص216/16 – حم 249/5.
[4] المصدر السابق: رقم (15432)، ص 204/12 – حم 424/3.

4. **ظهور التتار:** عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم، حُمر الوجوه، فُطس الأنوف، صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر"** [1].

ثالثاً: علامات الساعة الصغرى التي لم تقع: هذه العلامات التالي ذكرها لم تقع، ولكنها ستقع قبل العلامات الكبرى، أو أثنائها، ومنها:

1. **عدم الفرح بالغنية وعدم قسمة الميراث:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لا تقوم الساعة حتى لا يُقسم ميراث، ولا يُفرح بغنيمة"** [2].

قال بعض أهل العلم أن هذا يكون عندما يظهر المهدي المنتظر وينزل عيسى عليه السلام، ويفيض المال حتى إن الرجل يمر بصدقته فلا يقبلها منه أحد، أما عن قسمة الميراث فهذا حادث ولكن دون شيوع.

2. **غدر الروم:** وقد مرَّ معنا سابقاً حديث عوف بن مالك، ومنه: **" ثم يكون بينكم وبين بني الأصفر هدنة، فيغدرون، فيسيرون إليكم في ثمانين غاية، تحت كل غاية اثني عشر ألفاً"** [3].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم (3590)، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ص1109/3.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2899/37)، كتاب الفتن، باب: تقوم الساعة والروم أكثر الناس، ص 347/6.

[3] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (3176)، كتاب الجزية والموادعة، باب: ما يُحذر من الغدر، ص980/2.

3. **أن يكون للرجل خمسين امرأة:** وذلك لكثرة النساء، وقلة الرجال، فيقوم الرجل على مؤنة ورعاية خمسين امرأة، لقول النبي صلى الله عليه وسلّم: **"إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويُشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد"** [1].

والمقصود من قول النبي عليه السلام: أن نسبة وجود الرجال للنساء يساوي واحد إلى خمسين، والله أعلم.

4. **أن يُكلّم الرجل عذبة سوطه (الجزء المطوي منه).**
5. **يُكلّم الرجل شراك نعله.**
6. **يُخبره فخذه بما حدث من أهله (زوجته) في غيابه.**
7. **تكليم السباع للإنسان:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى تُكلّم السباع الإنس، وحتى يُكلّم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويُخبره فخذه بما يحدث من أهله بعده"** [2].
8. **انحسار الفرات عند جبل ذهب:** عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يُوشك الفرات أن يحسر عند جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه**

[1] المصدر السابق: رقم (5577)، كتاب الأشربة، باب: قوله تعالى: "إنما الخمر والميسر"، ص1791/4.
[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده، رقم (11731)، ص264/10 – حم 84/3.

شيئًا"[1]، وللحديث بقية عند الإمام مُسلم: **"فيقتتل عليه الناس، فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو"** [2].

9. **مطر يُدمر البيوت والمدن:** عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم: **" لا تقوم الساعة حتى تُمطر السماء مطراً لا يكِنُّ منه بيوت المدر، ولا يكِنُّ منه بيوت الشعر"** [3].

10. **كثرة الدجالين:** عن أبي هُريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: " **لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كل يزعم أنه رسول الله** " [4].

التاريخ يحفظ لنا أسماء كذابين أمثال: مُسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وسجاح بنت الحارث، والمختار الثقفي، وما زال الكذابون يتلو بعضهم بعضاً.

والأحاديث، والروايات الواردة في علامات القيامة الصغرى كثيرة، تبلغ المئات، ولكنني آثرت أن أذكر ما ثبتت صحته، وتلقاه العلماء بالقبول.

---

1 المصدر السابق: رقم (8370)، ص298/4– حم 7/2

2 أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2894/29)، كتاب الفتن، باب: علامات الساعة، ص 344/6.

3 أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (7554)، ص328/7 – حم 262/2.

4 أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (3609)، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ص 1113/3.

المبحث الثاني

أشراط الساعة الكبرى

العلامات الأولى والثانية والثالثة: الخُسوفات الثلاثة.

العلامة الرابعة: خُروج الدجال، وظُهور المهدي.

العلامة الخامسة: نُزول المسيح عليه السلام.

العلامة السادسة: خُروج يأجوج ومأجوج.

العلامة السابعة: طُلوع الشمس من مغربها .

العلامة الثامنة: خُروج الدابة.

العلامة التاسعة: الدُخان.

العلامة العاشرة: النار.

حين تبدأ أشراط الساعة الكبرى بالظهور فإنه إيذان بقرب الساعة، إذ هذه الآيات يتلو بعضها بعضاً، ومنها ما يخرج بعضه في إثر بعض سريعاً، وربما اشتركت معها في زمن لا فاصل بينهما إلا في شمس يوم واحد أو دونه، وهذه الأشراط قد ثبتت بطريق ثابت، فمنها ما ورد ذكره في القرآن الكريم، ومنها ما حملته إلينا السُنة الصحيحة، مما يجعلها قطعية الثبوت، ومن ثم فالإيمان بها يكون واجباً .

أخرج الإمام مُسلم في صحيحه عن حُذيفة بن أُسيد الغفاري قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلّم علينا ونحن نتذاكر فقال: **"ما تذاكرون، قالوا: نذكر الساعة، قال: إنه لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدُخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطُلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس" .**

وفي رواية أخرى: في العاشرة: نُزول عيسى بن مريم، وريح تُلقي الناس في البحر [1] .

وهذه الآيات والعلامات العشر المذكورة، وردت فيها أقوال مختلفة في ترتيب ظهورها حسب تعدد الروايات، وكل عالم من العلماء اختط لنفسه سبيلاً في ترتيبها، ما بين مُقدم آية على أخرى، أو

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2901/40) – كتاب الفتن، باب: الآيات التي تكون قبل الساعة، ص 350/6.

مُؤخر آية عن أختها، اجتهاداً من عند نفسه لما ظهر له من تتبع الأحداث، وما قد أوصله له فهمه [1].

وبعد هذا الجمع بين كل الروايات، والترجيح يتبيّن لنا كما قال ابن حجر وغيره من العلماء أن خُروج الدجال هو أول العلامات، والآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم على وجه الأرض، وينتهي هذا التغيير في أحوال الأرض بنُزول عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، لقتل الدجال، وللدعاء على يأجوج ومأجوج.

وطُلوع الشمس من مغربها أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أحوال العالم العُلوي، وينتهي ذلك بخُروج الدابة فعلى الراجح أن الدابة تخرج في نفس اليوم، الذي ستطلع فيه الشمس، من مغربها، لأن الشمس إذا طلعت من جهة المغرب، لا تُقبل توبة التائبين، ومن ثم تخرج الدابة في نفس اليوم لتسم المؤمن بصفة الإيمان، وتسم الكافر بصفة الكفر من باب التتمة للتمييز بين أهل الإيمان وأهل الكفر[2].

ما هي أولى علامات الساعة الكبرى.

ذهب بعض العلماء إلى القول بأن طُلوع الشمس من مغربها هو أول العلامات الكبرى، مستندين في ذلك إلى الحديث المروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً إلى النبي صلى الله

[1] انظر: عالم الغيب بين الوحي العقل: د. يحيى مراد، ص214.
[2] انظر: أحداث النهاية: محمد حسان، ص426.

عليه وسلّم قال: "**إن أول الآيات خُروجاً طُلوع الشمس من مغربها، وخُروج الدابة على الناس ضُحى، فأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً**" [1].

وهذا القول ليس بصواب على علاته، وإنما يسبق طُلوع الشمس من مغربها ست علامات هي:

3+2+1 – الخسوفات الثلاثة.

4 – خُروج الدجال.

5 – نُزول عيسى ابن مريم.

6- خُروج يأجوج ومأجوج.

لأنه بطُلوع الشمس من مغربها يُغلق باب التوبة، ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً، والسبب في هذا أن عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلّم سيدعو الناس إلى الإسلام، وسيُؤمن به أقوام من اليهود والنصارى، يقول عز وجل: ﴿**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**﴾ (سورة النساء: 159).

فلو كان طُلوع الشمس من مغربها قبل ظُهور الدجال، أو نُزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلّم لم ينفع من آمن إيمانه، يقول ابن حجر: إن مدة لبث الدجال إلى أن يقتله عيسى ثم لبث عيسى، وخُروج يأجوج ومأجوج كل ذلك سابق على طُلوع الشمس من المغرب، فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خُروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض،

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2941/118)، كتاب الفتن، باب: قصة الجساس، ص 384/6.

وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طُلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العُلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة [1] .

عُمر علامات الساعة الكبرى: من الواضح أن علامات الساعة الكبرى إذا وقعت فإنها تتتابع، وتنقضي على جناح السرعة، ولا يطول زمانها .

جاء عن أبي العالية أنه قال: بين أول الآيات وآخرها ستة أشهر يتتابعن كتتابع الخرزات في النظام [2] .

وعن أبي هُريرة: "في ثمانية أشهر" .

وجاء عن عبد الله بن عمرو " الآيات خرزات منظومات في سلك فإذا انقطع السلك فيتبع بعضها بعضاً" .

وقول أبي العالية يُحمل على ما بعد طُلوع الشمس من مغربها ، لأن الدجال سيمكث حوالي 439 يوماً ، وعيسى ابن مريم عليه السلام يمكث سبع سنين، أو أربعين عاماً .

وأخرج عبد بن حُميد في تفسيره بسند جيد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: يبقى الناس بعد طُلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة [3]، ولعل كلام عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يُراد به أنها تمر مروراً سريعاً كمقدار مرور عشرين ومائة شهر من قبل ذلك، أو دون ذلك، كما ثبت في صحيح مُسلم عن أبي هُريرة رفعه: "لا تقوم الساعة حتى تكون السنة

---

[1] انظر: فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، ص 157/13.
[2] المصدر السابق، ص 158/13.
[3] المصدر السابق: ص 157/13.

كالشـهر"، والتحقيـق أنـه بعـد طلـوع الشـمس مـن مغربهـا تتـوالى العلامـات والآيـات علـى جنـاح السرعة[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"إن الساعة لا تكون حتى تروا عشر آيات"**:

1. خسف بالمشرق.
2. خسف بالمغرب.
3. وخسف بجزيرة العرب.
4. الدُخان.
5. الدجال.
6. دابة الأرض.
7. يأجوج ومأجوج.
8. طُلوع الشمس من مغربها.
9. نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس.

وفي رواية:

10. نُزول عيسى.

[1] انظر: مصطفى مراد: رحلة الخلود، ص 502.

العلامة الأولى: خسف بالمشرق.

العلامة الثانية: خسف بالمغرب.

العلامة الثالثة: خسف بجزيرة العرب.

أما الخسف في المشرق فقد قيل إنه وقع بعراق العجم زلازل، وخُسوفات هائلة هلك بسببها خلق كثير.

أما الخسف في المغرب، قال القرطبي: قد وقع ذلك عندنا بشرق الأندلس فيما سمعنا من بعض مشايخنا بقرية يُقال لها: (قطر طندة) من قطر داينة، سقط عليها جبل هناك فأذهبها [1].

أما خسف جزيرة العرب: وهذا الخسف كما يُستنتج من أحاديث عدة تكلمت عنه، يكون في زمن المهدي المنتظر، وعند الإمام القرطبي أن هذا الخسف قد وقع.

العلامة الرابعة: خُروج الدجال:

الأحاديث التي تكلمت عن الدجال وذكرته هي من الأحاديث المتواترة التي وردت في السُنة، وفتنته أعظم فتنة في تاريخ البشرية، جاء خبره في كتب البخاري ومُسلم وأصحاب السُنن، والمستدركات، حتى أن الأنبياء السابقين حذروا شعوبهم منه، وحذرنا النبي محمد صلى الله عليه وسلّم منه ومن فتنته، وكان يتعوذ منه، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلّم في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر

[1] انظر: القرطبي: التذكرة، ص 586.

الدجال، فقال: **"إني لانذركموه وما من نبي إلا أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، إنه أعور وإن الله ليس بأعور"**[1] .

عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلّم: **"ما بُعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر"** [2] .

لماذا سُمي الدجال بهذا الاسم.

1. الدجال أي الكذاب، والداجل المموه الكذاب، لأن الكذب تغطيه.
2. أن الدجال مأخوذ من الدجل وهو طلاء البعير بالقطران، إذا أُصيب بالجرب، ودجل البعير إذا طلاه به.
3. أنه من التغطية، لأنه يُغطي الأرض بجموعه الكثيرة، وقيل: لأنه يُغطي على الناس بكفره، والدجل التغطية، وسُميت دجلة بهذا الاسم لأنها غطت الأرض بمائها حين فاضت.
4. سُمي دجالاً لقطعه الأرض إذ يطأ جميع البلاد إلا مكة والمدينة، والدجالة الرفقة العظيمة، ورفقة دجالة: عظيمة تُغطي الأرض بكثرة أهلها، وقيل: هي الرفقة تحمل المتاع للتجارة.
5. سُمي دجالاً، لأنه يُغرِ الناس بشره، وأصل الدّجل الخلط، يُقال: دَجَلَ إذا لبّى، وموه.

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (7127)، كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال، ص2227/4.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2933/101)، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ص 372/6.

6. الدجّال: المخرّق، والتخرق: الكذب، وفي التنزيل: ﴿**وجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبحانه وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ (سورة الأنعام: 100)، ومعناه أنهم فعلوا ذلك كذباً، وافتراءً، وكفراً.

7. الدجال: المموه، يُقال: دجلت السيف إذا موهته، وطليته بماء الذهب.

8. الدجال: ماء الذهب الذي يُطلى به الشيء فيحسن باطله، وداخله خزف، أو عود أو خشب، سُمي الدجال بذلك لأنه يُحسِّن الباطل.

9. الدجال: فرند السيف، والفرند: وشي السيف (تزيين السيف)، وقيل: هو جوهر السيف، وماؤه الذي يجري فيه.

وقيل لُقب الدجال بالمسيح وليس المسيخ.

وكلمة المسيح تطلق على المسيح الدجال، وتطلق على سيدنا عيسى ابن مريم، وللتفريق بينهما إذا أردنا بالمسيح عيسى عليه السلام نقول: المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، أو مسيح الهُدى، وسُمي الدجال مسيحاً لأنه ممسوح العين اليمنى طافئة لا شعاع فيها، ممسوح الحاجب الأيمن، أو لأنه يسيح في الأرض كلها فيمسحها في أربعين يوماً.

والدجال كان موجوداً في عصر الرسول صلى الله عليه وسلّم، ورآه تميم الداري، وبعض أصحابه، ويشير إليه حديث الجساسة الطويل الذي يرويه الإمام مُسلم في صحيحه (كتاب الفتن، باب: قصة الجساسة، رقم "2942/19").

عن عامر بن شراحيل الشعبي شعب همدان أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول فقال حدثيني حديثا سمعتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلّم لا تسنديه إلى أحد غيره فقالت لئن شئت لأفعلنَّ فقال لها أجل حدثيني فقالت نكحت ابن المغيرة وهو من خيار شباب قريش يومئذ فأُصيب في أول الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم فلما تأيمت خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم وخطبني رسول الله صلى الله عليه وسلّم على مولاه أسامة بن زيد وكنت قد حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال من أحبني فليحب أسامة فلما كلمني رسول الله صلى الله عليه وسلّم قلت أمري بيدك فأنكحني من شئت فقال انتقلي إلى أم شريك، وأم شريك امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان فقلت سأفعل فقال لا تفعلي إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان فإني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم وهو رجل من بني فهر، فهر قريش وهو من البطن الذي هي منه فانتقلت إليه فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله صلى الله عليه وسلّم ينادي الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلّم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال ليلزم كل إنسان مصلاه ثم قال أتدرون لم جمعتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي

كنت أحدثكم عن مسيح الدجال حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قِبَله من دبره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما أنت فقالت أن الجساسة قالوا وما الجساسة قالت أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق قال لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خَلقاً وأشده وثاقاً مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما أنت قال قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم قالوا نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قِبَله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت فقالت أنا الجساسة قلنا وما الجساسة قالت اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة فقال أخبروني عن نخل بيسان قلنا عن أي شأنها تستخبر قال أسألكم عن نخلها هل يثمر قلنا له نعم قال أما إنه يوشك أن لا تثمر، قال أخبروني عن بحيرة الطبرية قلنا عن أي شأنها تستخبر قال هل فيها ماء قالوا هي كثيرة الماء قال أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال أخبروني عن عين زغر قالوا عن أي شأنها تستخبر قال هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا له نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها، قال أخبروني عن نبي الأميين ما فعل قالوا قد خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فأخبرناه

أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال لهم قد كان ذلك قلنا نعم قال أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان علي كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعني المدينة ألا هل كنت حدثتكم ذلك فقال الناس نعم فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو وأومأ بيده إلى المشرق قالت فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلّم .[1]

من هذا الحديث نستنتج ما يلي:

1 . أن تميماً الداري، رضي الله عنه رأى الدجّال قبل أن يُسلم.

2 . وعليه يكون الدجّال موجوداً في عهد النبي صلى الله عليه وسلّم، وهو محبوس في دير، وأنه سيخرج من هذا الدير عندما يُؤذن له في الخروج.

3 . الدجّال حي في هذا الدير منذ حبسه فيه، ولعله يموت فيه، ثم يحييه الله تعالى ويُظهره من هذا المكان.

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2942)، كتاب الفتن، باب: قصة الجساسة، 385/6.

4. لعل هذا الدير موجوداً في أصبهان التي سيخرج منها الدجّال في آخر الزمان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلّم.

الحكمة من ظهور الدجال: إنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى، من إحياء للميت الذي يقتله، ومن ظُهور زهرة الدنيا، والخصب معه، وجنته، وناره، ونهرياه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تُمطر فتُمطر، والأرض أن تُنبت فتُنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يُعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل، ولا غيره، ويبطل أمره، وزعم منكروه أنه لو كان حقاً، لم يُوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله عليهم، وهذا غلط من جميعهم، لأنه لو يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الألوهية، وهو في نفس دعواه مُكذِب لها بصورة حاله، ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العور في عينيه، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق، أو تقية وخوفاً من أذاه ، لأن فتنته عظيمة جداً، تدهش العقول، وتحير الألباب، مع سرعة مروره في الأمر فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله، ودلائل الحدوث فيه، والنقص فيصدقه من صدقه في هذه الحالة، ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله عليهم من فتنته ، ونبهوا على نقصه ، ودلائل إبطاله. أما أهل التوفيق فلا يغترون به، ولا يُخدعون لما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذّبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يُحييه: "ما ازددت فيك إلا بصيرة" [1].

[1] انظر: النووي: شرح صحيح مُسلم، ص 371/6.

لماذا لم يُذكر الدجال في القرآن الكريم:

جاء ذكر الدجال، وفتنته فيما يزيد عن ثلاثين حديثاً نبوياً، لكنه لم يُذكر في القرآن الكريم رغم عظم فتنته التي حذر منها كل الأنبياء عليهم السلام، ورغم أنه ذُكر في القرآن الكريم ما هو أقل منه فتنة كيأجوج ومأجوج، والدابة، والدُخان.

1. قيل أنه ذُكر في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا**﴾ (سورة الأنعام: 158)، فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي هُريرة عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: الدجال، والدابة، وطُلوع الشمس من مغربها"** .[1]

وهذا الجواب كما ترى لا يرقى أن يكون مقنعاً، إذ أنه لا يُوجد في الآية أي ذكر للدجال.

أنه قد وقعت الإشارة في القرآن إلى نزول عيسى ابن مريم في قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ (سورة الزخرف:61)، وصح أنه الذي قتل الدجال، فاكتفى بذكر أحد الضدين على الآخر، ولكونه يُلقب (المسيح) كعيسى لكن الدجال (مسيح الضلالة)، وعيسى (مسيح الهُدى)

وهذا الجواب كما ترى غير وافٍ إذ أن الأولى أن يُذكر الدجال الذي حذر منه كل الأنبياء.

قيل إنه ترك ذكره احتقاراً، وهذا القول فيه نظر، فقد تُعقب، لأنه ذكر يأجوج ومأجوج، وليست الفتنة بهن بدون الفتنة بالدجال، والذي قبله.

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (9714)، ص 301/6 حم 446/2.

والقول السديد في ذلك، أن الدجال لم يُذكر في القرآن الكريم لبيان حجية السُنة، وأنها المصدر الثاني من مصادر التشريع، وأن منكرها كافر، وأنه لا يُكتفى بالقرآن وحده، لأنه سيظهر أقوام يؤمنون بالقرآن ويكفرون بالسُنة النبوية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم، "**يُوشك أحدكم متكئ على أريكته يقول: عليكم بكتاب الله، فما وجدتم فيه حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه حرام فحرّموه، ألا إن ما أحله رسول الله مثل ما أحله الله، ألا إن ما حرّمه رسول الله مثل ما حرّمه الله**"[1] .

- **مَنْ والد الدجال ومن أُمه؟** وصف النبي صلى الله عليه وسلّم أبوي الدجال فقال: "**يمكث أبوا الدجال ثلاثين عاماً لا يُولد لهما، ثم يُولد لهما غلام أعور**" [2] .

وفي رواية: "**ثم يُولد لهما ابن مسرور مختون أضر شيء، وأقله نفعاً، تنام عيناه، ولا ينام قلبه**"[3] .

ثم نعت النبي صلى الله عليه وسلّم أبويه فقال: "**أبواه رجل طوال مضطرب اللحم**" [4] .

وفي رواية: "**أبوه رجل طوال مضطرب اللحم**"، وفي رواية: "**رجل طوال ضرب اللحم طويل الأنف كأن أنفه منقار** " [5] .

أما أُم الدجال فقال النبي صلى الله عليه وسلّم: "**وأُمه امرأة فرضاخية، عظيمة الثديين**" [6] .

[1] المصدر السابق: رقم (17128)، ص 296/13 – حم 4/ 132.
[2] المصدر السابق: رقم (20297)، ص209/15 – حم 5/ 40.
[3] المصدر السابق: رقم (20297)، ص209/15 – حم 5/ 40.
[4] المصدر السابق: رقم (20297)، ص209/15 – حم 5/ 40.
[5] المصدر السابق: رقم (20297)، ص209/15 – حم 5/ 40.
[6] المصدر السابق: رقم (20297)، ص209/15 – حم 5/ 40.

- **وصف الدجال:** من خلال الروايات التي ذكرت الدجال نخلص إلى أنه: عظيم الجسم، أسمر اللون، جعد الشعر، قصير، بعيد ما بين الساقين والفخذين، عريض الصدر، أصلع الجبهة، مقطوع الأذن، مكتوب بين عينيه كافر، عينه اليمنى عوراء لا ضوء فيها، وعينه اليسرى ناتئة طافية كأنه نخامة في حائط.

والدجال لا يُولد له، ولا يدخل المدينة ولا مكة.

تلك الأوصاف كلها ذميمة، تَبين لكل ذي حاسة سليمة، ولكن من قضى الله عليه بالشقاوة تبع الدجال فيما يدّعيه من الكذب والغباوة، وحُرم إتباع الحق، وأحاديث النبي في وصف الدجال تُبيّن للعقول القاصرة، أو الغافلة على أن من كان ناقصاً في ذاته، عاجزاً عن إزالة نقصه، لم يصح أن يكون إلهاً لعجزه، وضعفه، ومن كان عاجزاً عن إزالة نقصه كان أعجز عن نفع غيره، وعن مضرته.

- **ماذا قبل ظهور الدجال:** يقول النبي صلى الله عليه وسلّم: **"لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره، وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر"** [1].

وقال النبي صلى الله عليه وسلّم: **"يخرج الدجال في خفقة من الدين وإدبار من العلم"** [2].

معنى ذلك: أن الناس تنسى ذكر الدجال، ولا يتكلم العلماء والخطباء عنه على المنابر، وعند خُروجه يضعف الدين، ويقل أهله، ويكثر أهل الباطل، ويرتفعوا على أهل الحق، ويفشو الشر وأهله، وقبل ظُهوره يكثر الاختلاف، والفُرقة بين الناس.

[1] المصدر السابق: رقم (16619)، ص 112/13 – حم 72/4.
[2] المصدر السابق: رقم (14895)، ص 33/12 – حم 367/3.

روى ابن ماجه عن أبي أُمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"قبل خُروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يُصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثُلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثُلث نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثانية فتحبس ثُلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثُلثي نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة أن تحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله، فلا تنبت خضراء، فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت، إلا ما شاء الله"**[1].

- **أما عن طعام المؤمنين زمن الدجال:** روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ذكر جهداً يكون بين يدي الدجال، فقالوا: أي المال خير يومئذ قال: **"غُلام شديد يسقي أهله الماء، وأما الطعام فليس" قالوا: فما طعام المؤمنين يومئذ قال: "التسبيح والتقديس والتحميد والتهليل"، قالت عائشة: فأين العرب؟ قال: "العرب يومئذٍ قليل"**[2].
- **متى يظهر الدجال:** عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سُبَوا منا نقاتلهم، فيقول المُسلمون: لا والله لا نُخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثهم**

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4077)، كتاب الفتن، باب: فتنة الدجال، ص 1353/2.
[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (24352)، ص 341/17 – حم 75/6.

أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يُفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج . ." [1] .

وقـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلّم: **"خُـروج الملحمـة فـتح القسـطنطينية، وفـتح القسطنطينية، خُروج الدجال"** [2] .

فالدجال يظهر بعد معركة القسطنطينية، والتي تكون بين الروم (أوروبا وأمريكا)، وبين المسلمين، وبعد أن ينتصر المسلمون، ويقتسمون الغنائم، وإذا بالدجال قد خرج، فالدجال إنما يظهر، وجند المسلمين تحت قيادة المهدي في بلاد الشام (سوريا وفلسطين والأردن ولبنان) .

- **أين يظهر الدجال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يخرج الدجال من قِبل المشرق"** [3] .

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: **"إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يُقال لها: خُراسان يتبعه قوم كأن وجوههم المجان المطرقة"** [4] .

وجاء عنه صلى الله عليه وسلّم: **"إنه يخرج من يهودية أصبهان"** [5] .

فهذه الأحاديث وغيرها تخبرنا أن خُروج الدجال يكون من يهودية أصبهان التابعة لخُراسان وهي بالقرب من الحدود الروسية الإيرانية الآن.

---

[1] أخرج مُسلم في صحيحه: رقم (2897)، كتاب الفتن، باب: نزول عيسى – ص 346/6.
[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (21922)، ص 170/16 – حم 232/5.
[3] المصدر السابق: رقم (9139)، ص 124/9 – حم 397/2.
[4] المصدر السابق: رقم (12)، ص 171/1 – حم 14/1.
[5] المصدر السابق: رقم (24348)، ص 340/17 – حم 75/6.

فالأسرة يهودية والنشأة يهودية والمنطقة يهودية.

- **سبب خُروج الدجال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**إن أول ما يبعثه على الناس غضبة يغضبها**" [1].

وسبب هذه الغضبة النساء كما ورد عند الطبراني في الأوسط، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**أول من يتبعه النساء فيؤذونه، فيرجع غضبان حتى ينزل الخندق**" [2].

- **أتباع الدجال:**
- النساء.
- اليهود.
- الأعراب.
- كل الكافرين من الوثنيين والمجوس وغيرهم.
- المنافقون.
- الفاسقون.

قال عليه الصلاة والسلام: "**أول من يتبعه النساء**" [3].

وقال صلى الله عليه وسلّم: "**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة**" [4].

وقال عليه السلام: "**فلا يبقى منافق أو منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه**" [1].

---

[1] المصدر السابق: رقم (26305)، ص 220/18– حم 283/6.
[2] أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الوسيط: رقم (5465)، ص 5 /331.
[3] المصدر السابق.
[4] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2944)، كتاب الفتن، باب: الدجال، ص 390.

وفي رواية عند البخاري: **"فيُخرج الله كل كافر ومنافق"** [2].

هذه الأحاديث تُبيّن ما هي الفئات التي تلحق وتتبع الدجال عليه لعنة الله، وعلى رأسهم النساء وهن بواعث الفتنة على مدار الحياة، ثم اليهود وهم أشد الناس عداوة للمؤمنين وللإيمان، لهذا لا غرابة أن يكون أتباعه كثير، من أهل الأديان الباطلة والنحل الضالة، وأهل الفسق والفجور والضلال ورجال الإعلام الضال والفاسد وأهل الهوى من كل مِلّة ومن يبيعون ذممهم بالبخس من المال.

إذاً أتباع الدجّال فرق متعددة:

الفريق الأول النساء: فأوّل من يتبعه النساء، حتى أننا نرى المسلمين في هذا اليوم العصيب يربطون أمهاتهم، وبناتهم، وأخواتهم، وعماتهم، وخالاتهم، مخافة خروجهم إلى الدجّال، وهذا لما يُحدثه هذا الشيطان من الفتن، والنساء أكثر أهل الأرض استقبالاً للفتنة واستجابة لها لهذا هن أكثر أهل النار.

والفريق الثاني ممن يلحق الدجّال اليهود، فهم الذين يوالونه، ويناصرونه، ويحاربون معه، يقول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلّم: **"يتبع الدجّال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة"**[3].

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده رقم (18877)، ص 340/14 – حم 338/4.
[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (1881)، كتاب فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة، ص 556/1.
[3] سبق تخريجه.

والدجّال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف مُعلى، وساج، واليهود هم دُعاة الفتنة والضلال في كل الأزمان والأسقاع، فلما يظهر الدجال تكون فرصة عظيمة ينتهزونها للإفساد في الأرض، ظانين أنهم من خلال ذلك سيسيطرون على العالم.

والفريق الثالث من أتباع الدجّال الأعراب، وهم أشد الناس كفراً، ونفاقاً.

والفريق الرابع هم المجوس، والوثنيون، والنصارى.

والفريق الخامس هم المنافقون والمنافقات:

ففي الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"ليس من بلد إلا سيطؤه الدجّال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب، إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق"** [1].

الفريق السادس من أتباع الدجّال الفاسقون، والفاسقات:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يجيء الدجّال فيصعد أُحداً، فيتطلع فينظر إلى المدينة فيقول لأصحابه: ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض؟، هذا مسجد أحمد، ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب منها ملكاً مُصلتاً، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه"** [2].

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (1881) كتاب فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة، ص 1 / 556.

[2] أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم (18877)، ص14 / 340. – حم 4 / 338

هذا الحديث عن مدينة النبي، صلى الله عليه وسلّم، التي أكثر أهلها من المؤمنين وأقلهم من الفاسقين، فما بالنا بالمدن الكثيرة التي أكثر أهلها من الفاسقين و أقلهم من المؤمنين.

وعلى هذا فإن الدجّال عندما يظهر بفتنته يجمع الجموع الغفيرة من أهل الأديان الباطلة المحرفة، والنحل الضالة، وأهل الفسق، والنفاق، ولا يبقى إلا المؤمن قوي الإيمان، فهو الذي ينضم لحزب الرحمن أتباع المهدي محمد بن عبد الله [1].

- **أسلحة الدجال:** أعطى الله هذا الكافر الكذّاب من الأسلحة ما لا يُبقي أمامه إلا المؤمن المستقيم، فقد أقدره الله على خوارق العادات، وفي ذلك استدراج لهذا الكافر، وفي نفس الوقت امتحان للمؤمنين الصادقين واختبار لهم، ويُحتمل أن يكون ذلك من جملة المحنة والفتنة، فيرى الناظر إلى ذلك من دهشته النار فيظن أنها الجنّة والعكس.

ومن ضمن جنود الدجال الشياطين: تؤيده، وتنصره وتعمل على فتنة الناس:

قال صلى الله عليه وسلّم: **"يبعث الله معه شياطين تُكلم الناس"** [2].

وقال عليه السلام: **"وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك، فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بُني اتبعه فإنه ربك"** [3].

ن ضمن أسلحة الدجال: أن معه جبال خبز، ولحم، ونهر ماء:

قال عليه السلام: **"أن معه جبال خبز، ولحم، ونهر من ماء"** [4].

---

[1] أنظر، عقيدة المسلم: د. مصطفى مراد، ص 429.

[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (14895)، ص 33/12 – حم 367/3.

[3] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4077)، كتاب الفتن، باب: فتنة الدجال، ص 1353/2.

[4] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (7122)، كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال، ص 2226/4.

ومن ضمن أسلحته السحر: قال عليه السلام: **"إنه يجيء ومعه مثل الجنّة والنار، فالتي يقول بأنها جنة هي النار"** [1].

يأتي النهر فيأمره أن يسيل إليه فيسيل، ثم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمر أن ييبس فييبس، ويأمر الجبال أن تنتطح فتنتطح، ويأمر الريح أن تُثير سحاباً من البحر فتمطر الأرض، ويخوض في البحر في يوم ثلاث خوضات فلا يبلغ وسط جسمه، إحدى يديه أطول من الأخرى، فيمد الطويلة في البحر فتبلغ قُعره فيُخرج من الحيتان ما يريد .

ذكر العلماء أن المسيح الدجال يظهر من أصفهان، وهي ما بين روسيا وإيران، يبدأ حملته القذرة للقضاء على المسلمين والإسلام، ليكون هو الإله الواحد، إله اليهود المنتصر.

وقد أعطى الله تعالى هذا الكافر الكذاب من الأسلحة ما لا يُبقي أمامه إلا المؤمن المستقيم، فقد أقدره الله تعالى على أشياء من خوارق العادات، فإن قلت: لِمَ يُعطه الله هذه القدرة على خوارق العادات مع أنه كافر؟

إن هذا من باب الاستدراج لهذا الكافر ولغيره من أمثاله، فإن الله تعالى يُعطي الكافر والفاسق، ويُعطيه ويُعطيه، حتى إذا أخذه لم يُفلته.

وفي نفس الوقت هذا الأمر لامتحان المؤمنين، واختبارهم: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** ﴾ (سورة محمد: 31).

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2936)، كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال، ص 374/6.

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (سورة العنكبوت: 2-3) .

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ، أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران: 141 – 142) .

وهذا كله يرجع إلى اختلاف المرئي بالنسبة إلى الرائي، فإما أن يكون الدجّال ساحراً فيُخيّل الشيء بصورة عكسية، وإما أن يجعل الله باطن الجنة التي يُسخّرها للدجّال ناراً وباطن النار جنّة، وإما أن يكون ذلك كناية عن النعمة والرحمة بالجنة، وعن المحنة والنقمة بالنار، فمن أطاعه فأنعم عليه بجنته يؤول أمره إلى دخول نار الآخرة، وبالعكس، ويُحتمل أن يكون ذلك من جُملة المحنة، والفتنة فيرى الناظر إلى ذلك من دهشته النار فيظنها جنة، والعكس.

ويبعث الله مع الدجّال شياطين تُؤيده، وتنصره، وتفتن الناس:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يبعث الله معه شياطين تكلم الناس"** [1] .

وفي الحديث كما ذكرتُ سابقاً: **"وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بُني اتبعه فإنه ربك"** [2] .

[1] سبق تخريجه.
[2] سبق تخريجه.

ومن خطورة الفتنة أنه يُبرئ الأكمه والأبرص، ويُحيي الموتى، يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلّم: **"إنه يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى"** [1].

وعن جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يخرج الدجّال في خفقة من الدين، وإدبار من العلم، فله أربعون ليلة يسيحها في الأرض اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً، فيقول للناس: أنا ربكم، وهو أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه كافر ك ف ر، مهجّاة يقرؤه كل مؤمن كاتب، وغير كاتب، يرد كل ماء ومنهل، إلا المدينة ومكة، حرّمهما الله عليه، وقامت الملائكة بأبوابها، ومعه جبال من خبز، والناس في جهد إلا من تبعه، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه، نهر يقول : الجنة، ونهر يقول : النار، فمن أُدخل الذي يُسميه الجنة فهو النار، ومن أُدخل الذي يُسميه النار فهو الجنة، قال : ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس، ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفساً ثم يُحييها، فيما يرى الناس، لا يُسلط على غيرها من الناس، ويقول : أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب عز وجل، قال : فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً ثم ينزل عيسى ابن مريم فينادي من السحر فيقول : يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جنّي فينطلقون، فإذا هم بعيسى بن مريم، فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه، قال:**

[1] رواه الهيتمي في مجمع الزائد: ص 7 / 336.

فحين يرى الكذّاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشي إليه فيقتله حتى إن الشجرة والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله" [1] .

ومعه جبل خبز، كما في حديث المغيرة رضي الله عنه: **"أنَّ معه جبال خبز، ولحم، ونهر من ماء"**[2] .

بل إنك لتعجب العجب العُجاب إذا ما علمت أن السماء تُنفّذ أمره، وأن الأرض تُقيم طلبه، والسحاب يُطيعه، ويُعطى من القدرة أن يجعل الغني فقيراً، والفقير غنيّاً، والضعيف قوياً والقوي ضعيفاً، والمريض سليماً، والسليم مريضاً، **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾** (سورة البقرة: 214) .

فهل تثبت أمام الدجّال أم ترتدّ القهقري، وترجع عن دينك، سل نفسك هذا السؤال، ونسأل الله تعالى ألا نشهد هذه الأيام وإن شهدناها أن يُثبتنا على الإيمان.

يظهر الدجّال بالمشرق فيُعطى الملك، ثم يُظهر السحر، ثم يدّعي الألوهية، فتتفرق الناس عنه، فيأتي النهر فيأمره أن يسيل إليه فيسيل، ثم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمره أن ييبس فييبس، ويأمر جبل الطور، وجبل زيتا أن ينتطحا فينتطحا، ويأمر الريح أن تُثير سحاباً من البحر فتمطر الأرض، ويخوض في البحر في يوم ثلاث خوضات فلا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيمد

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم (14895) ص 12 /33. حم 3 / 367.
[2] سبق تخريجه.

الطويلة في البحر فتبلغ قعره فيُخرج من الحيتان ما يُريد، ومع الدجّال نار وجنة، فالجنة نار والنار جنة كما ذكرنا سابقاً.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"أنا أعلم بما مع الدجّال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تتأجّج، فإما أدركن أحد فليأت الذي يراه ناراً وليغمض، ثم ليطأطيء رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد"** [1].

وفي الحديث أنه يجيء ومعه مثل الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة هي النار، وفي الحديث الصحيح: **"إن معه ماءً وناراً، فناره ماء بارد، وماؤه نار فلا تهلكوا"** [2].

ورد في الحديث: **"تمسك السماء قطرها كله في السنة الثالثة، والأرض نباتها كله، ولا تبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلكت، وإن من أشد فتنته أن يأتي الأعرابي فيقول: أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أني ربك؟ قال: فيقول: بلى فتمثل له الشياطين نحو إبله كأحسن ما تكون ضروعاً وأعظمه أسنمة، قال: ويأتي الرجل قد مات أبوه ومات أخوه فيقول: أرأيت إن أحييت لك أباك وأحييت لك أخاك ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى"** [3].

وجاء في الحديث الصحيح: **"يأتي القوم فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذرى، وأسبغ ضروعاً وأمده خواصر، ثم يأتي على القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين، ليس**

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (105 / 2934)، كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال، ص 6 / 373.
[2] المصدر السابق: رقم (106 / 2934) ص 6 / 374.
[3] سبق تخريجه.

بأيديهم شـيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل. . . " [1].

وانظر إلى هذا المشهد الخطير من أفانين الدجّال، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يخرج الدجّال فيتوجه قِبله رجلٌ من المؤمنين فتلقاه المسالح، مسالح الدجال، فيقولون له: تعمد ؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا ؟ فيقول ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجّال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس، هذا الدجّال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلّم، قال: فيأمر الدجّال به فيُشبّح، فيقول: خذوه، وشجّوه، فيوسع ظهره، وبطنه ضرباً، قال: فيقول: أو ما تؤمن بي قال: فيقول: أنت المسيح الكذّاب. قال: فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يُفَرّق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجّال بين القطعتين ثم يقول له: قم، فيستوي قائماً، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يَفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجّال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبتيه إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذه بيديه ورجليه، فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما أُلقي في الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين"** [2].

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (110 / 2935) كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال، ص 6 / 374

[2] المصدر السابق: رقم (113 / 2938)، ص 6 / 381.

- **مدة مكث الدجال في الأرض:** سُئل النبي عن مكث الدجال في الأرض فقال: **"أربعون يوماً، يوم كسنة، يوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم"** [1] .

وعند الإمام أحمد: عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يخرج الدجال في خفقة من الدين، وإدبار من العلم، وله أربعون ليلة يسبحها في الأرض، اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً"** [2] .

هذا دجال آخر الزمان، لكننا نعيش في زمن ظهر فيه دجاجلة كثيرون، ولكن على هيئة وشكل دول وكيانات سياسية، تدعي أنها هي رب هذا الكون والمتحكمة فيه، الخير كل الخير معها، والشر والخسران كل الخسران لمن عصى أمرها وخالف نهجها، ونجد الكثير من حكامنا ودولنا يتبعوها طامعين في نعيمها وخيرها، فإذا بحالهم وحال شعوبهم تنقلب جحيماً، وإذا الجنة ناراً وفقراً وتمزيق وحدة الشعب. والأمثلة كثيرة أمامنا في عالمنا العربي والإسلامي.

كيف ننجو من الدجال؟

1. **حفظ آيات من سورة الكهف:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **" من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من فتنة الدجال"** . **وفي رواية: "من حفظ عشر آيات من آخر**

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2937)، كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال، ص 374/6.
[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (14895)، ص 33/12 - حم 637/3.

سورة الكهف، أو من خواتيم الكهف" [1]، فحفظ هذه الآيات: الأوائل والأواخر كلتاهما تُنجي من فتنة الدجال.

2. **الالتحاق بمكة أو المدينة المنورة والاعتصام والإقامة فيهما:** قال صلى الله عليه وسلّم حاكياً عن الدجال: **"وإني أوشك أن يُؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاهما، وكلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً، يصدني عنها، وإنّ على كل نقب منها ملائكة يحرسونها"** [2].

وفي رواية: **"يبلغ سلطانه كل منهل، لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة، ومسجد الرسول، ومسجد الاقصى، والطور"** [3].

3. **الاستغاثة، والإستعاذة بالله تعالى من الدجال، ومن فتنته:** عن عائشة رضي الله عنها قالت: **"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يستعيذ في صلاته من فتنة المسيح الدجال"** [4].

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (809)، كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل الفاتحة، ص 417/2.
[2] المصدر السابق: رقم (2942)، كتاب: الفتن، باب: الجساسة، ص 385/6.
[3] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (22984)، ص 520/16 – حم 364/5.
[4] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (833)، كتاب، الأذان، باب: الدعاء قبل السلام، ص 253/1.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم كان يتعوذ في دُبر صلاته من أربع فيقول: **"أعوذ بالله من عذاب القبر، وأعوذ بالله من عذاب النار، وأعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأعوذ بالله من فتنة الأعور الدجال"** ([1]) .

بهذه الأشياء يستطيع الإنسان المؤمن أن يحمي نفسه، وينجو بنفسه من الدجال، وفتنة الدجال، فلا يقع تحت سلطان سحره وغوايته.

- **نهاية الدجال:** ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"فبينما هم يُعدُّون للقتال، يُسوون الصفوف، إذ أُقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيُريهم دمه في حربته"** ([2]) .

ينفرد إذن المسيح بن مريم عليه السلام بقتل المسيح الدجال، ويتقدم إليه ومعه حربته، فيقضي عليه على مشهد من المؤمنين.

في حينها ينهزم الجيش الإسرائيلي اليهودي وينتصر المسلمون على قلتهم على عدوهم مع كثرتهم وكثرة عتادهم.

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (2667)، ص 193/3 حم 293/1.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2897)، كتاب الفتن، باب: نزول عيسى، ص 346/6.

وفي رواية أخرى عند الإمام مُسلم، عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلّم الدجال ذات غداة، إلى أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"فيطلبه حتى يُدركه بباب لُدٍ فيقتله"**[1] .

ولا تعارض بين الروايات.

وهكذا تنتهي أعظم فتنة وأخطرها على البشرية في تاريخها كله، يتم القضاء عليها بأيدي المؤمنين، أصحاب الأيدي المتوضئة.

ظُهور المهدي المنتظر: في هذا الخضم الهائل من الفتن والابتلاءات، وذُيوع الفساد والطغيان، وتكالب أعداء الإسلام على دولة الإسلام، وشعوبها، يظهر المهدي المنتظر، الذي يُمثل باب الأمل الأخير لعودة العزة والقوة للإسلام والمسلمين.

فمن هو المهدي المنتظر: هو محمد بن عبد الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يبعث فيه رجلاً مني، أو من أهل بيتي، يُواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً، وعدلاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً"** [2] .

وفي رواية: **"لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلاً من أهل بيتي، يُواطئ اسمه اسمي"** [3] .

أما كنيته: فأبو عبد الله، وقيل: أبو القاسم.

أما لقبه: فالمهدي، والجابر: قيل لأنه يَجبر قلوب أُمة العرب.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2937)، كتاب الفتن، باب، ذكر الدجال، ص 374/6.
[2] أخرجه أبو داود في سُننه: رقم (4282)، كتاب المهدي، ص 104/4.
[3] أخرجه أبو داود في سُننه: رقم (4282)، كتاب المهدي، ص 104/4.

أما نسبه: فهو من ولد فاطمة بنت محمد رضي الله عنها، وصلى الله وسلم على أبيها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"المهدي من عترتي من ولد فاطمة"** [1] .

وفي رواية أخرى عند ابن ماجه: **"المهدي من أهل البيت، يُصلحه الله في ليلة"** [2] .

أما مولده: فإنه يُولد بالمدينة المنورة.

أما عن صفته: أورد الطبراني في المعجم الكبير قال: **"فإنه آدم، ضرب من الرجال، ربعة، أجلى الجبهة أقنى الأنف، أشمه، أزج، أبلج، أكحل العينين، براق الثنايا، أفرقها، في خده الأيمن خال أسود، يُضيء وجهه كأنه كوكب دريّ، كث اللحية، في كتفه علامة للنبي صلى الله عليه وسلّم، أذيل الفخذين، لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي، عليه عباءتان قطوانيتان، وفي لسانه ثقل، وإذا أبطأ عليه الكلام ضرب فخذه الأيسر بيده اليمنى، ابن أربعين سنة"** [3] .

علامات ظهور المهدي: لظهور المهدي علامات يُعرف بها:

1 . **ينشف الفرات فينحسر عن جبل من ذهب:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل عليه الناس فيقتل تسعة أعشارهم"** وفي رواية **"حتى يُقتل من كل مائة تسعة وتسعون"** [4] .

[1] المصدر السابق: رقم (4284)، كتاب المهدي، ص 104/4.
[2] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4085)، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، ص 1367/2.
[3] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: رقم (7495).
[4] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2894)، كتاب الفتن، باب: علامات الساعة، ص 344/6.

2. **قتل النفس الزكية:** روى ابن أبي شيّبة عن مجاهد قال: "إذا قُتلت النفس الزكية، غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض، فيأتي الناس المهدي فزفوه كما تُزق العروس إلى زوجها ليلة عُرسها"[1].

والنفس الزكية هنا ليس هو النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي رضي الله عنهما الذي قُتل زمن أبي جعفر المنصور.

3. **خسف عند جبل ذهب:** عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"تخرج معادن مختلفة، معدن منها قريب من الحجاز، يأتيه أشرار الناس، يُقال له فرعون، فبينما هم يعملون فيه، إذ حُسر عن الذهب فأعجبهم معتمله، فبينما هم كذلك إذ خُسف به وبهم"** [2].

4. **خسف في قرية بالغوطة غربي دمشق تسمى حرستا:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لا يخرج المهدي حتى يُخسف بقرية بالغوطة تسمى حرستا"** [3].

5. **خسف بالصحراء:** ومن علامات ظُهور المهدي وقوع خسف بالصحراء العربية بأرض الحجاز.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"العجب أن ناساً من أُمتي يأتون البيت لرجل من قريش قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم،**

[1] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: رقم (37653).
[2] أخرجه الحاكم في المستدرك: رقم (8415).
[3] ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق:

فيهم المنتصر المجبور وابن السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون شتى، يبعثهم الله على نياتهم"(1).

وهناك علامات كثيرة تظهر قبل وأثناء ظُهور المهدي منها:

- طُلوع النجم ذي الذنب.
- نداء من السماء.
- انكساف الشمس والقمر في رمضان.
- طُلوع القرن ذي السنين.
- خُسوف القمر في رمضان مرتين.
- طُلوع الرايات السود من قبل خُراسان.
- إخراج الأرض أفلاذ كبدها من الذهب والفضة.
- لا يفرح بميراث ولا تقسم غنيمة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يقتتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلا إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله، فإذا رأيتموه فبايعوه، ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي"** (2).

وفي رواية لابن ماجه: "يخرج ناس من المشرق فيُوطئون للمهدي، يعني سلطانه" (3).

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2884)، كتاب الفتن، باب: نزول الفتن، ص 336/6.
[2] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4084)، كتاب الفتن، باب: خروج المهدي، ص 1367/2.
[3] المصدر السابق: رقم (4088)، ص 1368/2.

- **مدة مُلك المهدي:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يكون في أُمتي المهدي، إن قَصُر فسبع، وإلا فتسع، فتنعم فيه أُمتي نعمة لم تنعم مثلها قط، تُؤتي أُكلها، ولا تدخر منهم شيئاً، والمال يومئذٍ كُدُوس، فيقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني فيقول: خذ"** [1].

ويقول عليه السلام: **"لتُملأَن الأرض جُوراً وظُلماً، فإذا مُلئت جُوراً وظُلماً، يبعث الله رجلاً مني، اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملؤها عدلاً وقسطاً، كما مُلئت جُوراً وظُلماً، فلا تمنع السماء شيئاً من مطرها، ولا الأرض شيئاً من نباتها، يمكث فيكم سبعاً، أو ثمانياً، فإن كان أكثر فتسعاً"** [2].

هذه الأحاديث وغيرها تُصرّح بأن مدة مُلك المهدي تكون ما بين سبع سنين وتسع سنين.

- **فكرة المهدي عبر التاريخ:**

حينما نتصفح كتب السابقين على الإسلام نجد أن التوراة والإنجيل ورد فيهما ذكرٌ للمُخلّص الذي ينزل في آخر الزمان، وكلٌ يدعي أنه يتبعه، ويخرج من ملته، وصفة هذا المخلّص تكاد تتشابه إلى حد كبير مع المهدي المنتظر من حيث أنه ينزل في زمن ظُلم وفتنة، ينشر العدل والسلام، ويرفع الظُلم عن المظلومين.

ففي العهد القديم (التوراة) تحدث سفر أشعياء فقال: "ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه شعوب، وتسير أمم كثيرة ويقولون هلم

[1] المصدر السابق: رقم (4083)، ص 1366/2.
[2] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير.

نصعد إلى جبل الرب والى بيت إله يعقوب فيُعلمنا من طُرقه ونسلك في سُبله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب، فيقضي بين شعوب كثيرين ينصف لأمم قوّية بعيدة فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل، لا ترفع أُمة على أُمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد" [1].

وقال في سفر زكريا: "ابتهجي جداً يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم، هو ذا مَلكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع، وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان، وأقطع المركبة من أفرايم والفرس من أورشليم وتقطع قوس الحرب، ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض، وأنت أيضاً فإني بدم عهدك قد أطلقت أسراك من الجب الذي ليس فيه ماء، ارجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء، اليوم أيضاً أُصرح أني أردُّ عليك ضعفين" [2].

ويقول في نفس السفر: " ويكون الرب مَلكاً على كل الأرض، في ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده، وتتحول الأرض كلها كالعربة من جبع إلى رمّون جنوب أورشليم، وترتفع وتعمر في مكانها من باب بنيامين إلى مكان الباب الأول إلى باب الزوايا ومن برج حننئيل إلى معاصر الملك، فيسكنون فيها ولا يكون بعد لعنٌ فتعمر أورشليم بالأمن.

"وهذه تكون الضربة التي يضرب بها الرب كل الشعوب الذين تجندوا على أورشليم، لحمهم يذوب وهم واقفون على أقدامهم وعيونهم تذوب في أوقابها ولسانهم يذوب في فمهم، ويكون في ذلك اليوم أن اضطراباً عظيماً من الرب يحدث فيهم فيمسك الرجل بيد قريبه وتعلو يده على يد

1 العهد القديم: سفر إشعياء – الإصحاح الثاني، 4/2 – ص 944.
2 المصدر السابق: سفر زكريا، الإصحاح التاسع، 9-12، ص 1348.

قريبه، ويهوذا أيضاً تُحارب أورشليم وتُجمع ثروة كل الأمم من حولها ذهب وفضة وملابس كثيرة جداً، وكذا تكون ضربة الخيل والبغال والجمال والحمير وكل البهائم التي تكون في هذه المحالّ، كهذه الضربة.

"ويكون أنّ كل الباقي من جميع الأمم الذين جاءوا على أورشليم يصعدون من سنة إلى سنة ليسجدوا للملك رب الجنود وليعيّدوا عيد المظال، ويكون أن كل من لا يصعد من قبائل الأرض إلى أورشليم ليسجد للملك رب الجنود لا يكون عليهم مطر، وألا تصعد ولا تأت قبيلة مصر ولا مطر عليها تكن عليها الضربة التي يضرب بها الرب الأمم الذين لا يصعدون ليعيّدوا عيد المظال، هذا يكون قصاص مصر وقصاص كل الأمم الذين لا يصعدون ليعيّدوا عيد المظال.

" في ذلك اليوم يكون على أجراس الخيل قدسٌ للرب والقدور في بيت الرب تكون كالمناضح أمام المذبح، وكل قدر في أورشليم وفي يهوذا تكون قدساً لرب الجنود وكل الذابحين يأتون ويأخذون منها ويطبخون فيها، وفي ذلك اليوم لا يكون بعد كنعانيٌ في بيت رب الجنود" [1].

وكلها تبشر بظهور مُخلّص ينشر المحبة بين الناس، ويُقيم بينهم شريعة العدل، ويُعلي ميزان الصلاح والمحبة على ميزان التفاضل في المال الذي يدفع إلى العداوة والشحناء، وهذا المخلص الموعود كان هو السيد المسيح الذي انتظره اليهود ليُخلصهم مما أغرقهم من طوفان البلاء والإذلال.

أما عند النصارى: فقد كان الحديث عن المخلّص في إنجيل متى:

[1] نفس المصدر: الإصحاح التاسع، 10-21، ص 1353.

" الشعب القابع في الظُلمة، أبصر نوراً عظيماً، والقابعون في أرض الموت وظلاله، أشرق عليهم نور، من ذلك الحين بدأ يسوع يُبشر قائلاً: توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات " [1].

وقال في موضع آخر: "صلوا أنتم مثل هذه الصلاة، أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك على الأرض كما هي في السماء، خبزنا كفانا، أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا، كما غفرنا نحن للمذنبين إلينا، ولا تُدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشَرّير " [2].

وقال في موضع آخر: " ليس كل مَنْ يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات، بل من يعمل بإرادة أبي الذي في السماوات " [3].

وبهذه النبوءات وأمثالها أخذت فكرة المجيء الثاني تحتل مكاناً ممتازاً في المسيحية، وكانت موضوعاً للرؤى التي اختتم بها العهد الجديد، ولهذا نجد على مدار تاريخ الكنيسة الممتد ترويجاً كبيراً، ولا يخلو زمن من ظُهور اساقفة يدعون لمثل هذه الأفكار.

على مستوى الفكر الإسلامي: فقد ادعى كثير من الأشخاص هذا الأمر، ممن كان لهم سُلطان سياسي أو علمي أمثال: محمد بن الحنفية، فقد ادعى أنه المهدي المنتظر وخصوصاً فرقة الكيسانية.

وممن ادعى الناس أنه المهدي المنتظر موسى بن طلحة بن عبيد الله، ومحمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية)، والمهدي بن المنصور ثالث خلفاء بني العباس.

[1] العهد الجديد: إنجيل متى – الإصحاح الرابع – 18/16، ص 4.
[2] المصدر السابق: الإصحاح السادس، 9-13، ص 7.
[3] المصدر السابق: الإصحاح السابع، 21-22، ص 9.

ومن ادعاها: الحارث بن شريح، ومحمد بن الحسن العسكري، وعبيد الله بن ميمون القداح، وابن تومرت: محمد بن عبد الله البربري، وتمرتاش بن النوين جوبان، وأحمد بن عبد الله بن هاشم المعروف بالملثم، ومحمد بن يوسف الحسيني الجونبوري، ومحمد بن عبد الله الكردي، وأحمد بن عرفان البريلوي وقد ادعاها الناس له، ثم محمد أحمد بن عبد الله (مهدي السودان)، ومحمد بن عبد الله القحطاني، ومن قبله القدياني والبهائي، وسيستمر ظهور من يدعي المهدوية حتى ظهور المهدي الحقيقي [1].

- **أهم المعارك التي يخوضها المهدي المنتظر:**
  - غزوة جزيرة العرب.
  - غزوة فارس.
  - غزوة الروم.
  - فتح القسطنطينية.
  - قتال الأتراك.
  - فتح روما.

أكتفي بهذا القدر من الحديث عن المهدي المنتظر، لأن هذه القضية محط خلاف بين علماء المسلمين، منهم من يقبل، ومنهم من يرفض، لقد أكثر الناس من الحديث في هذا الموضوع، على مستوى الخاصة من أهل العلم و الاختصاص، وعلى مستوى العامة من الناس، حتى أنه لتطغى

[1] انظر: المهدي المنتظر: عبد القادر عطا، ص 19.

هذه القضية على الكثير من القضايا الحيوية والملحة في دنيا الناس وحياتهم، وهذه القضية تمثل ملاذاً أو قل مهرباً للكثير ممن لا يرغبون في العمل و بذل الجهد، ويميلون إلى التواكل والكسل، ويحلمون بالمهدي ليجلب لهم الأمن والعدل والغنى والسعادة وتحرير الأرض من المحتل الغاصب، وتخليص القدس وبيت المقدس من دنس اليهود . .

حتى أننا وجدنا كثير من أهل السياسة يقتحمون هذا المعترك من أجل مصالحهم السلطوية، في عملية تخدير الشعوب وتغييبها عن ملامسة الواقع والتفكير في مجريات الأمور.

وغير هذا ما يحدث من مطارحات عقائدية وفكرية بين أهل السُنة والشيعة حول قضية المهدي المنتظر، والكل يطرح القضية من زاويته الخاصة به، وأنا لا أحب أن أخوض في هذا الجدال الآن في هذه الدراسة، لأن مكانها دراسة أخرى.

العلامة الخامسة: نُزول عيسى بن مريم عليه السلام:

لماذا سُمي عيسى بن مريم بالمسيح ؟؟

هناك أقوال كثيرة قيلت في هذا الخصوص، أكتفي بذكر بعضها:

1 . أنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا بريء، ولا ميتاً إلى حُيي بإذن الله.

2 . لأنه صِدّيق.

3 . لأنه كان أمسح الرِجل، ليس لجِرله أخمص أي قدماه مستوية.

4 . لأنه خرج من بطن أُمه كأنه ممسوح الدهن.

5. لأنه حين ولادته مُسح بالدهن.

6. هذا اسم خصه الله به.

7. لأن زكريا عليه السلام مسح عليه.

8. سُمي به لأنه كان حسن الوجه.

9. لأنه كان يُشبه الفضة في لونها أبيض مشرباً بحُمرة.

10. المسيح: عرق الخيل، والمسيح إذا طأطأ رأسه قطر: أي نزل منه الماء.

11. المسيح معناه الجماع، لاجتماع الناس حوله.

12. المسيح معناه السيف.

13. المسيح معناه المكاري: الأجير.

14. المسيح معناه قاطع الأرض.

15. المسيح: السائح في الأرض.

16. لأن الله مسح ذنوبه.

17. لأن جبريل مسحه بالبركة.

وكل ما سبق يطلق على المسيح عليه السلام.

ونُزول المسيح عيسى بن مريم من العلامات التي دلت عليها آيات القرآن والأحاديث النبوية، وهي من **الأحداث الهامة التي تقع بين يدي الساعة.**

قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ، وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ، إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ، وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ (سورة الزخرف: 57-61) .

والضمير في قوله تعالى: (وإنه) عائد على عيسى بن مريم عليه السلام، فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ أي قبل موت عيسى عليه السلام وقول مجاهد: (وإنه لعلم للساعة)، أي آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة [1] .

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا، وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾ (سورة النساء: 157-159) .

في هذه الآيات حجة قاطعة، ودلالة بينة على نزوله عليه السلام ومحل الشاهد قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ إذ المعنى ولا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ويُؤمن بعيسى بعد نُزوله وقبل موته، ولا خلاف في رجوع الضمير في قوله تعالى: ﴿ **قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ إلى

[1] انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 235/6.

عيسى ابن مريم المذكور في صدر الآيات السالفة الذكر، فيكون ذلك نصاً في أن عيسى عليه السلام حيٌ لم يمت بعد .

يقول ابن كثير: ولا شك أن هذا هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى بن مريم وصلبه، وتسليم من سلّم لهم من النصارى الجهلة بذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شُبه لهم، فقتلوا الشبه، وهم لا يُبينون ذلك، فأخبر الله رفعه إليه، وأنه باقٍ حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذٍ لا يتخلف عن التصديق به واحد منهم [1] .

أما عن الأحاديث التي ذكرت نزول عيسى ابن مريم فكثيرة، نذكر منها:

ما رواه مُسلم عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"والذي نفسي بيده ليُوشكن أن ينزل ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، لا يقبلها من كافر، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها"** [2] .

[1] المصدر السابق: ص 435/2.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (155)، كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم، ص 343/1.

وروى مُسلم أيضاً عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم متحدثاً عن الدجال: **"بينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق بين "مهر" و"دتين"، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، وإذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه تنتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يُدركه بباب لُدّ فيقتله، ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنّة"** [1] .

حين ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام يُوافق ذلك اصطفاف المسلمين لصلاة الفجر، وقد تقدم الإمام للصلاة، وعندما يلمح عيسى يتراجع ليطلب من المسيح أن يتقدم للإمامة، فيأبى، ثم يقول له: تقدم فصل، فإنها لكم أُقيمت فيصلي بهم إمامهم.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: **"لا تزال طائفة من أُمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم: تعال، صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أُمراء، تكرمة الله هذه الأمة"** [2] .

والسبب في عدم تقدم عيسى بن مريم للإمامة هو الدلالة على أنه جاء تابعاً لهذا النبي صلى الله عليه وسلّم، حاكماً بالقرآن لا بالإنجيل، فإن شريعة القرآن ناسخة للشرائع قبلها، فعيسى ينزل

[1] المصدر السابق: رقم (2937)، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ص 374/6.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (156)، كتاب الإيمان، باب، نزول عيسى، ص 346/1.

تابعاً لرسولنا صلى الله عليه وسلّم، مُحكماً لشرعية القرآن، ولذلك فإنه يُصلي خلف ذلك الرجل الصالح.

وقيل لو تقدم عيسى إماماً لوقع في النفس إشكال.

بعد أن ينصرف عيسى من صلاة الفجر يتوجه إلى بيت المقدس، حيث يكون الدجال محاصراً عصابة المسلمين فيأمرهم عيسى بفتح الباب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"فإذا انصرف، قال عيسى افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وشاج، فإذا نظر إلى الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً، فيُدركه عند باب لُدّ الشرقي، فيقتله فيهزم الله اليهود"** [1].

وفي زمانه يخرج يأجوج ومأجوج فيُفسدون في الأرض كما أشار القرآن الكريم، فيدعو عيسى بن مريم ربه فيستجيب له، ويُصبحون موتى لا يبقى منهم أحد [2].

- **مدة بقاء عيسى ابن مريم:** عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يُتوفى، ويُصلي عليه المسلمون"** [3].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"فيكون عيسى بن مريم في أُمتي حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وتُرفع الشحناء والتباغض، وتُنزع حُمة كل ذات حُمة حتى يُدخل الوليد يده في الحية فلا تضره،**

1 أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4077)، كتاب الفتن، باب: فتنة الدجال، ص 1359.
2 انظر: عالم الغيب: د..يحيى مراد، ص 432.
3 أخرجه أبو داود في سُننه: رقم (4324)، كتاب الملاحم، باب: خروج الدجال، ص 115/4.

وتضر الوليد الأسد، فلا يُضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتُملأ الأرض من السلم، كما يُملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يُعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتُسلب قريش مُلكها، وتكون الأرض كفاثورة الفضة، تُنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب، فيُشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتُشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بدريهمات.." [1].

ويحج عيسى بن مريم إلى البيت الحرام، وفي المدينة المنورة يموت عليه السلام، وبها يُدفن، قيل إن قبره يكون بجوار قبر النبي وصاحباه، فيكون قبره رابعاً.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"والذي نفسي بيده، ليُهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً، أو ليثنيهما"** [2].

العلامة السادسة: خُروج يأجوج ومأجوج:

قال تعالى: **﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾** (سورة الكهف: 94).

وقال تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾** (سورة الأنبياء: 96).

---

[1] خرجه ابن ماجه في سُننه: رقم (4077)، كتاب الفتن، باب: فتنة الدجال، ص 1359/2.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (1252)، كتاب الحج، باب: جواز التمتع في الحج، ص 379/3.

وقد تقدم حديث النبي صلى الله عليه وسلّم: **" لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات: طُلوع الشمس من مغربها، والدُخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، ونُزول عيسى ابن مريم، وثلاث خُسوفات، ونار تخرج من قعر عدن أبين"** [1].

والأحاديث عن ذكرهم كثيرة، سأذكرها في حينها.

أما عن نسبهم: ذكر الإمام العسقلاني في فتح الباري أنهم من بني آدم من بني يافث بن نوح [2].

وقيل هم من الديلم، وقيل من الترك.

وذكر العهد القديم (التوراة): "وهذه مواليد بني نوح، سام وحام ويافث وولد لهم بنون بعد الطوفان، بنو يافث جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس، من هؤلاء تفرقت جزائر الأمم بأراضيهم كل إنسان كلسانه حسب قبائلهم بأممهم" [3].

وذكر سفر (حزقيال)، في الأصحاح الثامن والثلاثين، والتاسع والثلاثين تفصيل كثير عن يأجوج ومأجوج، خلاصتها أنهم سيقومون بغزو أرض إسرائيل في آخر الزمان وسيقتل على الجبال في مذبحة هائلة. [4] سأذكر ذلك في نهاية الحديث عن يأجوج ومأجوج.

ويقول قاموس الكتاب المقدس: "يأجوج شخصية سرية شبيه بجوج المذكور في نبوة حزقيال ستظهر قبل نهاية العصر الحاضر، وربما تعمل ضد الكنيسة وتشدد النكير عليها " [5].

---

[1] سبق تخريجه

[2] انظر: فتح الباري: العسقلاني، 106/13.

[3] العهد القديم: سفر التكوين، 20 / 1 - 5، ص 16.

[4] انظر: المصدر السابق: سفر حزقيال، ص 1237 – 1241.

[5] انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص 277.

أما في العهد الجديد (الإنجيل) فقد ورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي، الإصحاح العشرون ما نصه: "ثم متى تمت الألف السنة يُحَلُّ الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج وماجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر، فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم، وإبليس الذي كان يُضلهم طُرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذّاب وسيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين " [1].

وهناك تفصيل أكثر وأوضح ذكره كتاب "قاموس الكتاب المقدس" صفحة (827).

أما عن وصفهم وعددهم:

عن أرطأة بن المنذر قال: يأجوج ومأجوج على ثلاثة أثلاث:

1. ثلث على طول الأرز: وهو شجر كبير.
2. ثلث مربع طوله وعرضه واحد، وهم أشد.
3. وثلث يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى [2].

وذكر القرطبي: أنهم يأكلون جميع حشرات الأرض من الحيات والعقارب، وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق ينمى كنمائهم في العام الواحد، ولا يزداد كزيادتهم، ولا يكثر

[1] العهد الجديد: رؤيا يوحنا اللاهوتي، 20 / 7 – 10، 418.
[2] انظر: القرطبي: التذكرة، ص 621.

ككثرتهم، يتداعون تداعي الحمام، ويعوون عواء الكلاب، ويتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا، ومنهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة، يأكلون اللحوم نيئة [1] .

أما عن عددهم: فهم من الكثرة بمكان، حيث أنهم يبلغون تسعة أعشار الناس، فقد ذكر عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "الجن والإنس عشرة أجزاء، فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج، وجزء سائر الناس" [2] .

ومما يدل على كثرة عددهم أنهم ينجبون كثيراً من الأولاد، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إن يأجوج ومأجوج قل ما يترك أحدهم من صُلبه ألفاً من الذرية" [3] .

روى الإمام البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلّم: **"يقول الله تبارك تعالى يوم القيامة: يا آدم: فيقول: لبيك، وسعديك، والخير بين يديك، فيقول: أخرج بعث النار من ذريتك، فيقول: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، ويبقى واحد، فعند ذلك يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سُكارى وما هم بسُكارى، ولكنّ عذاب الله شديد، فشق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعين ويبقى واحد، من ذلك الواحد، فقال صلى الله عليه وسلّم: "أبشروا فإن منكم رجلاً ومن**

[1] انظر: القرطبي: التذكرة، ص 621.
[2] انظر: الطبري: التفسير، ص 89/17.
[3] رواه بن حبان في صحيحه: رقم (6828).

يأجوج ومأجوج ألف، ثم قال: والذي نفسي بيده، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنّة، فكبرنا فقال: ما أنتم إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود" [1].

- **خُروجهم وإفسادهم:** لما كثر فساد يأجوج ومأجوج في الأرض، وتضايق منهم الخلق أشد المضايقة، لجئوا إلى ذي القرنين، هذا العبد الصالح، فقالت له جماعة صالحة من الناس، إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، يقتلون الخلق، ويسفكون الدماء، ويقطعون الطريق، ويظلمون، ولا يتركون نوعاً من الفساد إلا أتوا به، فيقيم بينهم وبين يأجوج ومأجوج ردماً وهو أعظم من السد، مكان هذا الردم يقع بين جبلين ما بين أرمينية وأذربيجان.

قال تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا، قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا، قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا، آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا, فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا, قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا** ﴾ (سورة الكهف: 93 – 98).

روى الإمام البخاري عن قتادة أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلّم: رأيت السد، قال: " **وكيف رأيته** " قال: مثل البرد المُحَبّر قال: "**رأيته**".

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (3348)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج، ص 1032/1.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً، فيُعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت عدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، واستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم الذي اجفظ، فيقولون قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفاً في أقفائهم فيقتلهم بها**".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكراً من لحومهم**" [1].

في هذا الحديث ثلاث آيات:

الأولى: أن الله منعهم أن يُوالوا الحفر ليلاً ونهاراً.

ثانياً: منعهم أن يُحاولوا الرقي على السد بسلم أو آلة.

ثالثاً: أنه صدهم عن أن يقولوا: (إن شاء الله) حتى يجيء الوقت المحدد.

يقول ابن حجر: "وفيهم أهل صناعة، وأهل ولاية وسلطة، ورعية تطيع من فوقها، وأن فيهم من يعرف الله، ويُقر بقدرته، ومشيئته، ويُحتمل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسان ذلك الوالي من غير أن يعرف معناها، فيحصل المقصود ببركتها".

---

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه، رقم (4080)، كتاب الفتن، باب: فتنة الدجال، ص 1364/2.

أخرج مُسلم عن النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلّم: " **ثم يأتيه يعني عيسى ابن مريم عليه السلام، قوم قد عصمهم الله من الدجال، فيمسح وجوههم ويُحدثهم بدرجاتهم في الجنّة، فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: أن قد أخرجت عباداً لي لا يُدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس، فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم يمر بالنهر فيشربون ما فيه، حتى يتركوه يبساً، حتى أن من مرَّ من بعدهم يمر بذلك النهر فيقول: قد كان ههنا ماء مرة ، حتى إذا لم يبقى من الناس أحد إلا أُخذ في حصن أو مدينة، ويمرون ببحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون، لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصر عيسى نبي الله وأصحابه، حتى يكون رأس الثور، ورأس الحمار لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيُصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيُرسل الله طيراً كأعناق البُخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يُرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مُدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزّلفة، ثم يُقال للأرض انبتي ثمرتك ورُدي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويُبارك الله في الرِّسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفآم من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله**

ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مُؤمن وكل مُسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة" [1].

هؤلاء هم يأجوج ومأجوج، الذين أفسدوا في الأرض ما لم يُفسد غيرهم، وطغوا ما لم يطغ غيرهم، حتى أنهم ما تركوا إنساناً، ولا حيواناً، ولا نباتاً، ولا جماداً، إلا نسفوه ودمروه، حتى إذا استيقنوا أنهم قد أهلكوا أهل الأرض، ومن عليها، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، وبقي أهل السماء، فقال: يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء فترجع إليهم مخضبة دماءً للبلاء والفتنة.

أعاذنا الله من شرهم وفتنتهم.

والآن أنقل ما ذكرته التوراة عن يأجوج ومأجوج في سفر حزقيال، الإصحاح الثامن والثلاثون:

"وكان إليّ كلام الرب قائلا: يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج أرض ما جوج رئيس روش ماشك وتوبال وتنبا عليه . قل. هكذا قال السيد الرب. هائنذا عليك يا جوج رئيس روش ماشك وتوبال . وأرجعك وأضع شكائم في فكيك وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرساناً كلهم لابسين افخر لباس جماعة عظيمة مع أتراس ومجان كلهم ممسكين السيوف . فارس وكوش وفوط معهم كلهم بمجن وخوذة . وجومر وكل جيوشه وبيت توجرمة من أقاصي الشمال مع كل جيشه شعوباً كثيرين معك .استعد وهيئ لنفسك أنت وكل جماعاتك المجتمعة إليك فصرت لهم موقراً . بعد أيام كثيرة تفتقد . في السنين الأخيرة تأتي إلى الأرض المستردة من السيف المجموعة من شعوب

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2937)، كتاب، الفتن، باب: ذكر الدجال، ص 380/6.

كثيرة على جبال إسرائيل التي كانت دائماً خربة للذين أخرجوا من الشعوب وسكنوا آمنين كلهم. أصعد وتأتي كزوبعة وتكون كسحابة تغشي الأرض أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرون معك . هكذا قال السيد الرب.ويكون في ذلك اليوم أن أموراً تخطر ببالك فتفكر فكراً رديئاً . وتقول إني أصعد على أرضٍ أعراء .آتي الهادئين الساكنين في أمن كلهم ساكنون بغير سور وليس لهم عارضة ولا مصاريع . لسلب السلب ولغنم الغنيمة لرد يدك على خرب معمورة وعلى شعب مجموع من الأمم المقتني ماشية وقنية الساكن في أعالي الأرض . شبا و ددان وتجار ترشيش وكل أشبالها يقولون لك هل لسلب سلب أنت جاء .هل لغنم غنيمة جمعت جماعتك لحمل الفضة والذهب لأخذ الماشية والقنية لنهب نهب عظيم . لذلك تنبأ يا ابن آدم وقل لجوج.هكذا قال السيد الرب.في ذلك اليوم عند سكنى شعبي إسرائيل آمنين أفلا تعلم . وتأتي من موضعك من أقاصي الشمال أنت وشعوب كثيرون معك كلهم راكبون خيلاً جماعة عظيمة وجيش كثير . وتصعد على شعبي إسرائيل كسحابة تغشي الأرض.في الأيام الأخيرة يكون.وآتي بك على أرضي لكي تعرفني الأمم حين أتقدس فيك أمام أعينهم يا جوج . هكذا قال السيد الرب.هل أنت هو الذي تكلمت عنه في الأيام القديمة عن يد عبيدي أنبياء إسرائيل الذين تنبأوا في تلك الأيام سنيناً أن آتي بك عليهم . ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء جوج على أرض إسرائيل يقول السيد الرب إن غضبي يصعد في أنفي . وفي غيرتي في نار سخطي تكلمت انه في ذلك اليوم يكون رعش عظيم في أرض إسرائيل. فترعش أمامي سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل والدابات التي تدب على الأرض وكل الناس الذين على وجه الأرض وتندك الجبال وتسقط المعاقل وتسقط كل الأسوار إلى الأرض . واستدعي

السيف عليه في كل جبالي يقول السيد الرب.فيكون سيف كل واحد على أخيه.و أعاقبه بالوبا وبالدم وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة برد عظيمة وناراً وكبريتا . فأتعظم وأتقدس وأعرف في عيون أمم كثيرة فيعلمون أني أنا الرب.[1]

وورد في الإصحاح التاسع والثلاثون ما نصه:

" وأنت يا ابن آدم تنبأ على جوج وقل. هكذا قال السيد الرب. هائنذا عليك يا جوج رئيس روش ماشك وتوبال . وأردك و أقودك وأصعدك من أقاصي الشمال وآتي بك على جبال إسرائيل .أضرب قوسك من يدك اليسرى واسقط سهامك من يدك اليمنى.فتسقط على جبال إسرائيل أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك.أبذلك مأكلاً للطيور الكاسرة من كل نوع ولوحوش الحقل . على وجه الحقل تسقط لأني تكلمت يقول السيد الرب . أرسل ناراً على ماجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين فيعلمون أني أنا الرب . وأعرف باسمي المقدس في وسط شعبي إسرائيل ولا أدع اسمي المقدس يُنجس بعد فتعلم الأمم أني أنا الرب قدوس إسرائيل . ها هو قد أتى وصار يقول السيد الرب.هذا هو اليوم الذي تكلمت عنه .ويخرج سكان مدن إسرائيل ويشعلون ويحرقون السلاح والمجان والأتراس والقسي والسهام والحراب والرماح ويوقدون بها النار سبع سنين. فلا يأخذون من الحقل عوداً ولا يحتطبون من الوعور لأنهم يحرقون السلاح بالنار وينهبون الذين نهبوهم ويسلبون الذين سلبوهم يقول السيد الرب . ويكون في ذلك اليوم أني أُعطي جوجاً موضعاً هناك للقبر في إسرائيل ووادي عباريم بشرقي البحر فيسد نفس العابرين وهناك يدفنون جوجاً وجمهوره كله ويسمونه وادي

[1] العهد القديم: سفر حزقيال، 38 / 1 ــ 23 ص 1237.

جمهور جوج . ويقبرهم بيت إسرائيل ليطهروا الأرض سبعة أشهر . كل شعب الأرض يقبرون ويكون لهم يوم تمجيدي مشهوراً يقول السيد الرب . ويفرزون أُناساً مستديمين عابرين في الأرض قابرين مع العابرين أولئك الذين بقوا على وجه الأرض تطهيراً لها . بعد سبعة أشهر يفحصون. فيعبر العابرون في الأرض وإذا رأى أحد عظم إنسان يبني بجانبه صوة حتى يقبره القابرون في وادي جمهور جوج .ـ وأيضاً اسم المدينة هَمُونةُ ـ فيطهرون الأرض . وأنت يا أبن آدم فهكذا قال السيد الرب. قل لطائر كل جناح ولكل وحوش البر اجتمعوا وتعالوا احتشدوا من كل جهة إلى ذبيحتي التي أنا ذابحها لكم ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل لتأكلوا لحماً وتشربوا دماً . تأكلون لحم الجبابرة وتشربون دم رؤساء الأرض كباشٌ وحملانٌ و أعتدةٌ وثيرانٌ كلها من مسمنات باشان . وتأكلون الشحم إلى الشبع وتشربون الدم إلى السكر من ذبيحتي التي ذبحتها لكم . فتشبعون على مائدتي من الخيل والمركبات والجبابرة وكل رجال الحرب يقول السيد الرب. وأجعل مجدي في الأمم وجميع الأمم يرون حُكمي الذي أجريته ويدي التي جعلتها عليهم . فيعلم بيت إسرائيل أني أنا الرب إلههم من ذلك اليوم فصاعدا . وتعلم الأمم أن بيت إسرائيل قد أُجلوا بإثمهم لأنهم خانوني فحجبت وجهي عنهم وسلمتهم ليد مضايقيهم فسقطوا كلهم بالسيف . كنجاستهم وكمعاصيهم فعلت معهم وحجبت وجهي عنهم . لذلك هكذا قال السيد الرب. الآن أرد سبي يعقوب وأرحم كل بيت إسرائيل وأغار على اسمي القدوس . فيحملون خزيهم وكل خيانتهم التي خانوني إياها عند سكنهم في أرضهم مطمئنين ولا مخيف .عند إرجاعي إياهم من الشعوب وجمعي إياهم من أراضي أعدائهم وتقديسي فيهم أمام عيون أمم كثيرين . يعلمون أني أنا الرب إلههم بإجلائي إياهم إلى الأمم ثم جمعهم إلى

أرضهم.ولا أترك بعد هناك أحداً منهم . ولا أحجب وجهي عنهم بعد لأني سكبت روحي على بيت إسرائيل يقول السيد الرّب .[1]

هذا ما ورد في العهد القديم بخصوص يأجوج و مأجوج، و أنا هنا لا أناقش مصدوقية ومصداقية هذا الكلام أو عدم مصدوقيته، فهنا ليس مكانه، ولكنني أحببت أن أُدلل على فكرة ثبوت هذه القضية عند أهل الأديان جميعاً .

ماذا يحدث بعد موت عيسى عليه السلام:

1. ظهور الفساد وفناء الأخيار: عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق"** [2] .

تتبدل أحوال الناس بعد عيسى عليه السلام، وتبدأ مرحلة جديدة من مراحل ضعف المسلمين وجهلهم بالإسلام ويقوى نُفوذ الشر، ويقل العلم حتى لا يذكر أحدٌ من الإسلام إلا اسمه يتردد على ألسنة من عاشوا زمناً بعيداً، واستشراء الشر وتكاثر الأشرار مُعجّل بظهور الآيات العظام التي تُسرع بالأحداث نحو قيام الساعة.

روى ابن ماجه عن حُذيفة بن اليمان أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يُدرس الإسلام كما يُدرس وشي الثوب، حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة، ولا نُسك، ولا صدقة،**

[1] المصدر السابق، 39 / 1 – 29، ص 1239 .

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2949)، كتاب الفتن، باب: فضل العيادة في الهرج، ص 392/6.

وليسري على كتاب الله في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير، والعجوز، يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله فنحن نقولها" [1] .

ومن مظاهر دروس الإسلام أن ينقطع أداء الشعائر، حتى شعيرة الحج، فلا حج ولا عُمرة.

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **" لا تقوم الساعة حتى لا يُحج البيت"** [2] .

2 . العودة إلى الجاهلية وعبادة الأوثان: عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **" . . . فيبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً، ولا يُنكرون مُنكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون فيقولون: ما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارّة أرزاقهم، حسنٌ عيشهم، ثم ينفخ في الصور"**[3] .

وتعود العرب لأصنامها في الجاهلية: اللات والعزى، وذو الخلصة:

روت السيدة عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلّم: **" لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزّى"** [4] .

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4049)، كتاب الفتن، باب: ذهاب القرآن والعلم، ص 1344/2.
[2] ذكره ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم، ص 203/1.
[3] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2940)، كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال، ص 382/6.
[4] ذكره ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم، ص 229/1.

وروى البخاري عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يذهب الصالحون الأول فالأول، وتبقى حُثالة كحُثالة الشعير أو التمر، لا يُبالهم الله بالة"** [1].

وعن الإمام مُسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال: **" لا تقوم الساعة حتى لا يُقال في الأرض الله الله"** [2].

3. هدم الكعبة: من الآيات المروعة التي تسبق قيام الساعة، هدم الكعبة المشرفة:

روى أبو هُريرة عن النبي صلى الله عليه وسلّم: **"يُبايع لرجل ما بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا يُسأل عن هلكة العرب، ثم يأتي الحبشة فيخربونه خراباً لا يُعمّر بعده أبداً، وهم الذين يستخرجون كنزه"** [3].

وعند الإمام مُسلم عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه قال: **"يُخرّب الكعبة ذو السُويقتين من الحبشة"** [4].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6434)، كتاب الرقاق، باب: ذهاب الصالحون، ص 2021/4.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (148/134)، كتاب الإيمان، باب: بدأ الإسلام غريباً، ص 334/1.

[3] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (7897)، ص 26/8– حم 291/2.

[4] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2909)، كتاب الفتن، باب: علامات قيام الساعة، ص 355/6

قصة ابن صياد:

هو من يهود المدينة، وكان اسمه "صاف"، وقد اجتمعت فيه كثير من صفات الدجال، ولم يتبيّن أمره للرسول مما كان موضع شك لديه، وقد حاول معرفة حقيقته، إذ لم يبلغه من الوحي شيء بشأنه.

ومما يُروى عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم في رهط قِبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أُطم بني مغالة، وقد قارب ابن صياد يومئذٍ الحُلُم، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ظهره بيده، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم لابن صياد: "أتشهد أني رسول الله"، فنظر ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد لرسول الله صلى الله عليه وسلّم: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه رسول الله صلى الله عليه وسلّم وقال: "آمنت بالله وحده"، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "ماذا ترى" قال ابن صياد: "يأتيني صادق وكاذب، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسل: خُلط عليك الأمر، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلّم، إني خبأت لك خبيئاً، فقال ابن صياد: هو الدُخ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلّم: اخسأ فلن تعدو قدرك، فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلّم: إن يكنه فلن تُسلط عليه، وإلا يكنه فلا خير لك في ذلك" [1] .

[1] المصدر السابق: رقم (2930)، كتاب الفتن، باب: ذكر ابن صياد، ص 366/6.

وعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: خرجنا حُجّاجاً أو عُمَّاراً، ومعنا ابن صائد قال: فنزلنا منزلاً فتفرق الناس، وبقيت أنا وهو فاستوحشت منه وحشة شديدة، ممّا يُقال عليه قال: وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي فقلت: إن الحرَّ شديد، فلو وضعته تحت تلك الشجرة، قال: ففعل قال: فرُفعت لنا غنم فانطلق فجاء بعس فقال: اشرب أبا سعد فقلت: إن الحرَّ شديد، واللبن حارٌّ ما بي أنّي أكره أن أشرب من يده، أو قال: آخذ عن يده، فقال: أبا سعيد لقد هممت أن آخذ حبلاً فأعلقه بشجرة ثم أختنق ممّا يقول لي الناس، يا أبا سعيد مَنْ خفي عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ما خفي عليكم معشر الأنصار، ألستَ من أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : هو كافر وأنا مسلم، أو ليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: لا يدخل المدينة ولا مكة، وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة، قال أبو سعيد الخُدري : حتى كدت أن أعذره، ثم قال: أما والله إني لأعرفه، وأعرف مولده، وأين هو الآن، قال: قلت له تبّاً لك سائر اليوم [1] .

وقال سالم بن عبد الله: سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: انطلق بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وأُبيَّ بن كعب الأنصاري إلى النخل التي فيها ابن صياد، حتى إذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلّم النخل طفق يتقي بجذوع النخل، وهو يخْتل [2] أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد فرآه رسول الله وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها

[1] المصدر السابق: رقم (91 /2927)، ص 6 /366.
[2] يخدع ابن صياد ويستغفله ليسمع.

زمزمة [1]، فرأت أم ابن صياد رسول الله وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: يا صاف – وهو اسم ابن صياد – هذا محمد فثار ابن صياد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لو تركته بيّن. ."** قال عبد الله بن عمر: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلّم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجّال، فقال: **" إنَي لأنذركموه، ما من نبي إلا وقد أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكن أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلموا أنه أعور، وأن الله تبارك وتعالى ليس بأعور "** [2].

من هذه الروايات وغيرها نجد أن عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله، وحفصة رضي الله عنهم ذهبوا إلى أن ابن صياد هو الدجّال.

وقد كان عمر بن الخطاب، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحلفان على ذلك.

عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أنّ ابن صائد هو الدجّال، فقال: أتحلف بالله قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلّم، فلم يُنكره النبي صلى الله عليه وسلّم [3].

وممّن ذهب إلى أن ابن صيّاد هو الدجّال الإمام القرطبي وقالوا بأن ابن صيّاد، وإن ظهر في عصر النبي صلى الله عليه وسلّم، وأسلم، ودخل مكّة والمدينة فهو الدجّال، والأحاديث التي

---

[1] صوت لا يكاد يفهم أو لا يفهم.
[2] المصدر السابق: رقم (2931)، ص 6 / 368.
[3] المصدر السابق: رقم (2829)، ص 367/6.

قالت: إنه لن يدخل مكة والمدينة، إنما تعني قبل القيامة، وذهب فريق من العلماء إلى أن ابن صيّاد، ليس هو الدجال وهذا رأي كثير من العلماء.

والنبي صلى الله عليه وسلّم لم يعطِ قولاً بأن ابن صيّاد هو الدجّال أم لا، وذلك لأنه لم يُخبَر من قِبل الوحي. فالله أعلم.

العلامة السابعة: طُلوع الشمس من مغربها:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال يوماً: " **أتذرون أين تذهب هذه الشمس، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخرّ ساجدة فلا تزال كذلك حتى يُقال لها ارتفعي، ارجعي من حيث جئت فترجع فتُصبح طالعةً من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي إلى مُستقرها تحت العرش فتخرّ ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يُقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتُصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مُستقرها ذاك تحت العرش، فيُقال لها ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتُصبح طالعة من مغربها"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن قد آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً** " [1].

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (159/250)، كتاب الإيمان، باب: الزمن الذي لا يُقبل فيه الإيمان، ص 347/1.

هـذه العلامـة هـي أُولى العلامـات الكبرى الـتي تُعلن تغـير أحـوال العـالم العلوي، وبعـدها تـوالى العلامات، وتُسرع إسراعاً .

ونحن نعلم أن الشمس منذ خلقها الله سُبحانه وتعالى لها نظام تسير عليه لا تُخالفه أبداً، تطلع من المشرق، وتغرب في المغرب، وعادتها أنها تستأذن يومياً في الشروق والغروب، حتى إذا جاء هذا اليوم الموعود، فتذهب تستأذن في الطلوع من المشرق كعادتها، فلا يُؤذن لها، بل يُؤذن لها بالشروق من المغرب.

وهذا الطُلوع العكسي للشمس إنما يكون يوماً واحداً، فإذا انتهى هذا اليوم عادت الشمس إلى نظامها المعتاد.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: قال أُبي بن كعب رضي الله عنه أفكيف بالشمس والناس بعد ذلك، قال: "تُكسى الشمس الضوء، وتطلع كما كانت تطلع، ويُقبل الناس على الدنيا، فلو نتج رجل مُهراً لم يركبه حتى تقوم الساعة" [1].

عن ابن مسعود رضي الله عنه: "ويُنادي الرجل تلك الليلة جاره، يا فلان ما شأننا الليلة؟ لقد نمت حتى شبعت، وصليت حتى أعييت، ثم يُقال لها: اطلعي من حيث غربت، وذلك يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن قد آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً " [2].

---

[1] انظر: فتح الباري: العسقلاني، ص 159/13.
[2] المصدر السابق: ص 160/13.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: " **لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها ورآها الناس آمنوا جميعاً، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل**" [1] .

قال العلماء: وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طُلوع الشمس من مغربها، لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال حضرة الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تُقبل توبته، كما لا تُقبل توبة من حضره الموت [2] .

ما الحكمة من طُلوع الشمس من مغربها: قيل إن الحكمة من طُلوع الشمس من مغربها، أن إبراهيم عليه السلام قال لنمرود: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**﴾ (سورة البقرة: 258) .

وإن الملحدين والمنجمين عن آخرهم يُنكرون ذلك ويقولون: هو غير كائن فيطلعها الله تعالى يوماً من المغرب ليرى المنكرون لذلك قدرته من أن الشمس في قدرته إن شاء أطلعها من المشرق وإن شاء أطلعها من المغرب.

وعلى هذا يُحتمل أن يكون رد التوبة والإيمان على من آمن وتاب من المنكرين المكذبين لخبر النبي صلى الله عليه وسلّم، فأما المصدّق فإنه تُقبل توبته وينفعه إيمانه قبل ذلك، والله أعلم [3] .

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6506)، كتاب: الرقاق، باب: طلوع الشمس من مغربها، ص 2040/4.

[2] انظر: التذكرة: القرطبي، ص 630.

[3] المصدر السابق: ص 630.

وعلماء الرياضيات والفيزياء النووية ومعهم علماء الفلك يُقرون في دراساتهم وأبحاثهم إمكانية حدوث ذلك تحت ظروف معينة.

العلامة الثامنة: خُروج الدابة:

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ** ﴾ (سورة النمل: 82).

عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: "**بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدُخان، ودابة الأرض، وطُلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويّصة أحدكم**" [1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلّم حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: "**إن أول الآيات خُروجاً طُلوع الشمس من مغربها، وخُروج الدابة على الناس ضُحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً**" [2].

الحكمة من خُروجها: أنه عند طُلوع الشمس من المغرب يُغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً من المقصود من إغلاق باب التوبة.

مكان خُروج هذه الدابة: تعددت الأقوال في ذلك، قيل: تخرج من مكة، وقيل: تخرج من الطائف، وقيل تخرج من الصفا، وقيل: تخرج من تُهامة.

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (947/159)، كتاب الفتن، باب: الدجال، ص 390/6.
[2] المصدر السابق: رقم (2941)، كتاب: الفتن، باب: الدجال، ص 384/6.

على كل الأحوال هي تخرج وتُكلم الناس بلغتهم التي يفهمونها .

عن أبي أُمامة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يغمدون فيكم حتى يشتري الرجل البعير، فيقول ممن اشتريته فيقول: اشتريته من أحد المخطمين"** [1] .

وفي رواية أخرى عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"تخرج الدابة معها عصا موسى، وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالعصا ، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخِوان ليجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر"** [2] .

صفة هذه الدابة: أنا أذكر هذه الأوصاف مع علمي بضعف الأحاديث التي وردت فيها من باب الاستئناس والاسترشاد ليس إلا .

رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن إبل، وعُنقها عُنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوامها قوام بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً .

أورد أبو داود الطيالسي كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره، عن حُذيفة بن أُسيد الغفاري رضي الله عنه أن النبي عليه السلام ذكر الدابة فقال: **"لها ثلاث خُرجات من الدهر، فتخرج خرجة من أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، يعني مكة، ثم تكمن زمناً طويلاً، ثم تخرج خرجة**

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (22209)، ص 267/16 - حم 268/5.
[2] المصدر السابق: رقم (7924)، ص 57/8 - حم 95/2.

أخرى دون تلك، فيعلو ذكرها في أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية، يعني مكة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حُرّمة، وأكرمها المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن (الحجر الأسود)، والمقام (مقام إبراهيم)، تنفض عن رأسها التراب، فارفض الناس عنها شتى ومعاً، وبقيت عصابة من المؤمنين، وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلها الله كأنها الكوكب الدري، وولت في الأرض لا يُدركها طالب، ولا ينجو منها هارب، حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان الآن تصلي، فيُقبل عليها فتسمه في وجهه، ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار، يُعرف المؤمن من الكافر، حتى إن المؤمن ليقول: يا كافر اقضي حقي، وحتى الكافر ليقول: يا مؤمن اقضي حقي"، هذا كله في زمن عيسى بن مريم، وهو يطوف بالبيت، إلا أن هذا لم يثبت [2].

هذه الدابة، نحن كمسلمين، نؤمن بها إيماناً ثابتاً، لأنها وردت في كتاب الله وصحيح سُنة النبي عليه السلام، فلا نناقش في أمرها البتة، أما من يعتمد على عقله دون قلبه، فللعقل شأن آخر، قد يُصدّق، وقد يُكذّب، إلا أننا في زماننا هذا نملك من شواهد العقل والحاضر ما يجعلنا نطمئن إلى إيماننا بغيبيات عقيدتنا الدينية.

إننا الآن نمتلك بين أيدينا، وفي بيوتنا، وفي كل مناحي حياتنا، من الأدوات والأجهزة الصغيرة، والكبيرة التي تتكلم بين أيدينا، ومن خلالها نشاهد صوراً تتحرك، دون أن تكون هذه الأجهزة

2. ذكره الطيالسي في مُسنده: رقم (1069). وهو ضعيف من هذا الطريق.

والأدوات متصلة بجهات أخرى، كذلك نشاهد من صور الحيوانات التي يقوم الإنسان بتركيبها، ما لها أشكال غريبة وعجيبة، وخصوصاً في الألعاب الالكترونية (ألعاب الأطفال).

ونحن نشاهد الأفلام الكرتونية (أفلام الأطفال)، وفيها من أشكال الحيوانات الأشكال الغريبة والعجيبة، ونستمتع بها ونندمج مع أحداثها كالمصدقين لكل ما نرى ونسمع.

فأمر الدابة من ناحية أوصافها، أو من ناحية وظائفها، العقل لا يستهجنها، ولا يرفضها، خصوصاً أننا نعيش الآن في زمن طفرة الاتصالات، وما يُسمى بالقرية الصغيرة.

العلامة التاسعة: الدُخان:

قال تعالى: ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (سورة الدخان: 10 – 11).

وقد وردت كثير من الأحاديث النبوية الشريفة دالة على هذه العلاقة، ذكرناه سابقاً حين الحديث عن العلامات السابقة، والناس فريقان أمام هذه العلامة:

الفريق الأول: يرى أن الدخان قد وقع، وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه، ومجاهد، وأبي العالية، وإبراهيم النخعي، وعطية العوفي، والضحاك، وهو ما اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره.

ورد عن مسروق تلميذ ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: دخلنا المسجد – يعني مسجد الكوفة – عند أبواب كندة، فإذا رجل يقص على أصحابه: ﴿ **يَومَ تَأْتِ السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٌ** ﴾، تدرون ما ذلك الدُخان؟ ذلك دُخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين، وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام، قال: فأتينا ابن مسعود رضي الله عنه فذكرنا ذلك له، وكان مضطجعاً

ففزع فقعد، وقال: إن الله عز وجل قال لنبّيكم صلى الله عليه وسلّم: ﴿ **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ** ﴾ (سورة ص: 86)، إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، سأحدثكم عن ذلك، إن قريشاً، ما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلّم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدُخان، وفي رواية : فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدُخان من الجهد، قال تعالى: ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (سورة الدُخان: 10 – 11) . فأُتي رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقيل له: استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، فاستسقى صلى الله عليه وسلّم لهم فسُقوا فنزلت: ﴿ **إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ** ﴾ (سورة الدُخان: 15)، قال ابن مسعود رضي الله عنه : فيكشف عنهم العذاب يوم القيامة، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حياتهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ **يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ** ﴾ (سورة الدُخان: 16)، قال : يعني يوم بدر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "فقد مضى خمسة : الدُخان، والروم، والقمر، والبطشة، واللزام" [1] .

وعلى هذا فهم يرون أن الدُخان قد وقع، ولن يقع مرة ثانية كعلامة من علامات الساعة الكبرى، فهي قد وقعت عندهم.

[1] انظر : القرطبي: التذكرة، ص 588.

أما الفريق الثاني: فيرى أن الدُخان لم يقع بعد، وأنه سيقع كعلامة من علامات الساعة الكبرى، وهذا قول بعض الصحابة والتابعين، ومن هؤلاء ابن عباس رضي الله عنهما، معتمدين على مجموعة من الأحاديث والآثار.

عن حُذيفة بن أُسيد رضي الله عنه قال: أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلّم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة، فقال صلى الله عليه وسلّم: **" لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات، طُلوع الشمس من مغربها، والدُخان، والدابة، وخُروج يأجوج ومأجوج، وخُروج عيسى بن مريم، والدجال، وثلاثة خُسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"** [1].

وهذا الحديث يدل على أن الدُخان من علامات الساعة الكبرى، فقد عطف رسول الله صلى الله عليه وسلّم الدخان على علامات الساعة الكبرى.

وفي الحديث أيضاً عن حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"إن أول الآيات الدجال، ونُزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا، والدُخان، قال حُذيفة رضي الله عنه يا رسول الله وما الدُخان؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلّم هذه الآية: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (سورة الدُخان: **10 – 11**)**، يملأ ما بين المشرق**

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2901/40)، كتاب الفتن، باب: الآيات التي تكون قبل الساعة، ص 350/6.

والمغرب، يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيُصيبه منه كهيئة الزكمة، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودُبره" [1] .

ويُؤيد أدلة الفريق الثاني ظاهر لفظ القرآن: ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ ، أي بيّن واضح يراه كل أحد، وعلى ما فسره به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال، رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى: ﴿ **يَغْشَى النَّاسَ** ﴾ ، أي: يتغشاهم، ويعميهم، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿ **يَغْشَى النَّاسَ** ﴾ [2] .

لهذا يُعتبر رأي الفريق الثاني، وما ذهبوا إليه هو الأولى والأقوى.

روى مجاهد عن ابن مسعود أنه كان يقول: هما دُخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا الزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه فتبعث عند ذلك الريح جنوب اليمن، فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى شرار الناس [3] .

بعد أن تأتي ريح الجنوب التي تقبض روح كل مؤمن، ومؤمنة، ويبقى شرار الناس تحدث العلامة الأخيرة من العلامات الكبرى.

العلامة العاشرة: النار: عن حُذيفة بن أُسيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " **وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"** [1] .

---

[1] ذكره ابن كثير في تفسيره، ص 247/6.
[2] المصدر السابق: ص 249/6.
[3] انظر: التذكرة: القرطبي، ص 588.

وفي رواية: **"نار تخرج من قعر عدن، تسوق الناس إلى محشرهم تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا"** [2].

وفي رواية أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب"** [3].

النار هي من علامات الساعة الكبرى، تخرج من قعر عدن أبين بدولة اليمن، فتسوق الناس إلى أرض المحشر ببلاد الشام، وهذه النار هي أول أشراط الساعة التي تعلن فناء العالم، وبداية الآخرة، إنها نقطة البداية للدار الثالثة: الدار الآخرة.

وروى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"ستخرج نار من حضرموت قبل القيامة تحشر الناس، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا، قال: عليكم بالشام"**[4]،

وفي مسند الإمام أحمد عن معاوية بن حيدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"إنكم تُحشرون رجالاً ورُكباناً، وتُجرون على وجوهكم ها هنا، وأومأ بيده نحو الشام"** [5].

وفي صحيح البخاري تفصيل للكيفية التي تحشر فيها النار الناس إلى أرض الشام:

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2901/40)، كتاب الفتن، باب: الآيات التي تكون قبل الساعة، ص 350/6.
[2] ذكره ابن كثير في تفسيره، ص 247/6.
[3] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (12905)، ص 52/11 – حم 289/3.
[4] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2314)، أبواب القدر، باب: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار، ص 337/3
[5] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (19907)، ص 103/15 – حم 3/5.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**يُحشر الناس على ثلاث طرائق، راغِبين راهِبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، فأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم إذا قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتُصبح معهم حيث أصبحوا، وتُمسي معهم حيث أمسوا**" [1].

وآخر من تحشرهم النار راعيين من مُزينة، عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: "**يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العوافي (يريد عوافي السباع والطير)، وآخر من يُحشر راعيين من مُزينة، ينعقان بغنمهما، فيجدانها وحشاً، حتى إذا بلغا ثنية الوداع فرّا على وجوههما**" [2].

يقول ابن كثير: فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا، من أقطار محلة الحشر، وهي أرض الشام، وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة، فقسم يُحشرون طاعمين كاسين راكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون تارة أخرى، وهم يعتقبون على البعير الواحد، اثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير، يعني يتعقبونه من قلة الظهر، كما جاء مفسراً في الحديث الآخر، وتحشر بقيتهم النار، وهي التي تخرج من قعر عدن، فتحيط بالناس من ورائهم وتسوقهم من كل جانب، إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم أكلته.

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6522)، كتاب الرقاق، باب: كيف يحشر الناس، ص 2044/6.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (1389/499)، كتاب، الحج، باب: إخباره (ص) بترك الناس المدينة، ص 3/ 511.

وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخر الدنيا، حيث الأكل والشرب، والركوب على الظهر المستوي وغيره، وحيث يهلك المتخلفون منهم بالنار، ولو كان هذا بعد نفخة البعث، لم يبق موت ولا ظهر يسري ولا أكل ولا شرب، ولا لبس في العرصات [1] .

علاقة فلسطين بالحشر: روى الإمام أحمد في مُسنده عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال له: **"هاهنا تُحشرون، هاهنا تُحشرون، هاهنا تُحشرون (ثلاثاً)، ركباناً ومشاة على وُجوهكم، تُوفون يوم القيامة سبعين أمة، أنتم آخر الأمم، وأكرمها على الله تبارك وتعالى، وتأتون يوم القيامة وعلى أفواهكم الفدام، أول ما يُعرب عن أحدكم فخذه"** [2] .

قال يحيى بن أبي بكر أحد رواة الحديث: فأشار بيده إلى الشام.

وعن ميمونة بنت سعد مولاة النبي صلى الله عليه وسلّم قالت: يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس فقال: **"أرض المنشر والمحشر، ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة سواه، قالت: أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه، قال: فليهد إليه زيتاً يسرج فيه، فإن من أهدى له كان كمن صلى فيه"**[3] .

والمقصود بالحشر الوارد هنا في الأحاديث، هو الحشر الذي يكون في الحياة الدنيا قبل قيام الساعة، ووجه اعتبار الحشر إلى بيت المقدس دليلاً على مكانتها التي تتبوؤها، وهو أنه ما كان الحشر إليها إلا لأنها تكون أكثر أمناً من غيرها، ذلك لأن النار إذا فشت في الأرض، فإن الشام

[1] انظر: ابن كثير: النهاية في الفتن والملاحم، ص 287.
[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (19896)، ص 99/15 – حم 447/4.
[3] المصدر السابق: رقم (7498)، ص 605/18 – حم 462/6.

عموماً، وفلسطين وبيت المقدس على الخصوص أبعد عن تأثير النار فتكون على ما قلنا دار أمن، وجّه الرسول صلى الله عليه وسلّم صحابته رضي الله عنهم إلى الشام فيما إذا لحقوا زمان الحشر.

ولا بد أن نُبيّن أن الحشر المقصود هنا هو حركة بشرية اختيارية تكون مندفعة نحو الشام عامة وفلسطين وبيت المقدس خاصة، من أجل تحصيل الأمن من تلك النار التي تبعث أمواجها العاتية، فينساق الناس بسببها إلى بيت المقدس، وهي ليست حركة لا إرادية تُحرك الناس تحريكاً متجاوزاً إرادتهم.

من العلماء من يرى أن هذه النار التي تحشر الناس إلى محشرهم هي نار الفتنة، وليست النار الحقيقية، كما ذهب إلى ذلك ابن حجر في فتح الباري 187/13 – كتاب الرقاق من باب: الحشر.

وهذا مخالف لظاهر الروايات التي وردت بهذا الخصوص.

إن كون بيت المقدس خاصة وفلسطين عامة أرض المنشر والمحشر هو شكل من أشكال الخير والبركة للراسخين فيها، على المعنى الذي ذكرناه من كونها الأقل فتنة يوم تفشو الفتن أو أنها دار الأمن حين خُروج النار ودفعها الناس إلى محشرهم، فهي المحشر الذي يندفع إليه الناس بفعل النار الخارجة، إذ الغاية من خروج النار أن تسوق الناس إلى بيت المقدس لا إحراق الناس فيها، فلا داعي على هذا إلى دُخول النار في بيت المقدس وفلسطين بعد أن ساقت النار الناس إليها، فهي الغاية التي من أجلها تخرج هذه النار.

إن تخصيص بيت المقدس وفلسطين في حديث ميمونة بأنها أرض المنشر والمحشر، أي الأكثر أمناً على ما فسرنا، وهو في الحقيقة مكمن معنى التفضيل [1].

العلامات الصغرى التي تظهر بعد العلامات الكبرى وأثنائها: تكلم العلماء على بعض العلامات الصغرى التي تظهر أثناء وبعد العلامات الكبرى ومنها:

1. **عبادة الأصنام وترك الإسلام:** عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخَلصة"** [2].

وكانت ذي الخلصة صنماً تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: **" لا يذهب الليل ولا النهار حتى تُعبد اللات والعزّى، فقلت: يا رسول الله، إن كنتُ لا أظن حين أنزل الله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾** (سورة التوبة: 33)، **أن ذلك تاماً، قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فتوفي كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم"** [3].

[1] انظر: القضية الفلسطينية: رؤية إسلامية: حسني العطار، ص 115.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2906/51)، كتاب الفتن، باب: الفتنة تكون من المشرق، ص 353/6.
[3] المصدر السابق: رقم (2907/52)، كتاب الفتن، باب: علامات يوم الساعة، ص 354/6.

2. **خراب الكعبة:** كما مر معنا سابقاً: يتم تدمير الكعبة على يد رجل من الحبشة صغير الساقين:

يقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلّم فيما يرويه عنه أبو هُريرة: **"يخرّب الكعبة ذو السُويقتين من الحبشة"** [1].

وفي رواية أُخرى لأبي هُريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"ذو السُويقتين من الحبشة يخرّب بيت الله عز وجل"** [2].

وفي رواية أُخرى، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لا تقوم الساعة حتى لا يُحج البيت"**[3].

3. **يُرفع القرآن.**
4. **تذهب الصلاة.**
5. **تُمنع الزكاة.**
6. **يُمنع الصوم.**
7. **تبقى شهادة أن لا إله إلا الله عند القليل من الناس.**
8. **ينتشر المنكر، والفساد بكل أشكاله.**
9. **لا يُوجد المعروف، ولا يُؤمر به.**

---

[1] المصدر السابق: رقم (2909/57)، كتاب الفتن، باب: علامات يوم الساعة، ص 355/6.
[2] المصدر السابق: رقم (2509/59)، كتاب الفتن، باب: علامات يوم الساعة، ص 355/6.
[3] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (1593)، كتاب، الحج، باب: قول الله تعالى: (جعل الله الكعبة...)، ص 1/ 475.

10. لا يبقى من الإسلام إلا اسمه.

روى حُذيفة بن اليمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: "**يُدّرس الإسلام كما يُدّرس وشي الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نُسك، وصدقة، وليسري على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة (لا إله إلا الله) فنحن نقولها**"، فقيل له (لراوي الحديث حُذيفة بن اليمان)، ما تغني عنهم، لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا صدقة؟ فأعرض عنهم حُذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يُعرض عنه حُذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: "تنجيهم من النار" [1].

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4049)، كتاب الفتن، باب: ذهاب القرآن، ص 1344/2.

الفصل الثاني

حياة البرزخ وأحداث يوم القيامة

سأتناول في هذا الفصل (بإذن الله) الحديث عن عدة أمور:

- القبر وما فيه من نعيم أو عذاب.
- والبعث والحشر، وما يحدث للإنسان في هذا الموقف من الأحداث والأهوال.

وسيكون ذلك من خلال: توطئة ومبحثين.

المبحث الأول: حياة البرزخ وما فيها من نعيم أو عذاب.

المبحث الثاني: الصعق والبعث والحشر وما فيه من عرض وحساب وميزان وكتب تتطاير يميناً وشمالاً وحوض وصراط، ثم أنتهي بالحديث عن الشفاعة.

توطئة:

تحدث القرآن الكريم، والسُنة النبوية كثيراً عن حياة أخرى بعد هذه الحياة، سماها القرآن تارة (الدار الآخرة) وأحياناً (اليوم الآخر)، واقتصر أحياناً على لفظ (الآخرة)، في مقابل (الأولى) و(الدنيا).

وحديث القرآن عن الآخرة متنوع، ولكن الحقيقة التي تتكرر دائماً، وفي كل موضع تُذكر فيه الآخرة، ويُلح القرآن عليها ويُكرر التذكير بها هي: أن الإنسان في الآخرة مسئول عن أعماله التي عملها في الحياة الأولى، حتى يبدو أن ذلك هو المقصود الأساسي من ذكر الآخرة، وما فيها، من ذكر مقدماتها ونتائجها:

قال تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (سورة القيامة: 13).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ (سورة النجم: 39 – 41).

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة الجاثية: 28 – 29).

إن هذه التبعية الأخروية العظمى، تكون أمام الله وحدة، فالله وحده هو الذي يسأل الناس ويُحاسبهم على أعمالهم، وله وحده الحكم عليهم، وإليه وحده المرجع والمصير، فله تكون العبادة، وله وحدة وفي سبيل مرضاته تكون الأعمال، وهو وحده الذي يُحاسب عليها:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الزمر: 7).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ (الغاشية: 25-26).

وهذه التبعية الأخروية أمام الله تبعية فردية شخصية، فلا يُسأل المرء عن خطأ غيره، ولا يتحمل خطيئة أبيه أو جده أو ابنه أو أخيه، إلا بمقدار ما شارك هو نفسه في هذه الخطيئة، كما دلت على ذلك الآيات الكريمة:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ (سورة لقمان: 33).

وقال تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة البقرة: 141).

وأنّ للإنسان خلال هذا الزمن الممتد حياتين:

هذه الحياة التي نحس بها ونشعر بوجودنا فيها بما يحيط بنا فيها من عالم الحس، ولهذه الحياة مقاييسها، وسُننها التي تجري على المؤمن والكافر، والصالح والطالح، فالنار تحرق، والماء يسقي النبات، وتسخين المعدن يُسبب تمدده، والغرق في الماء يُميت، وهكذا جعل الله للإنسان في هذا الكون الحسي سُنناً يجري عليها، والإنسان مهما تكن نيته وباعثه، ومهما تكن عقيدته يُمكن أن يستثمر هذا الكون ويفيد من هذه السُنن.

وحواس الإنسان هي أدواته، ودليله هو عقله، وبهما يُسخّر ويُسيّر موجودات الكون من حوله، أما نيّة الإنسان ودوافعه إلى العمل، وما يقصده من خير أو شر فذلك مما يلقى بعض نتائجه في هذه الحياة، ولكنه يلقى حسابه الكامل في حياة أخرى.

وهذه الحياة الأخرى تمتد بعد الموت، أي بعد سكون حياته الجسمية الظاهرة، وتتعاقب في مراحل ابتداءً من انفصال الروح الإنسانية عن الجسد حتى حدوث ما سماه القرآن (يوم القيامة) و(يوم البعث) و(يوم الجمع) و(يوم الدين) و(يوم الفصل) و(يوم الخلود) .

وهذه المراحل في مجموعها تُشكل سلسلة من المشاهد المتابعة أو الأهوال، أو الأحداث، سمها بما شئت، تبدأ مُنذ اللحظة الأولى ليوم القيامة، وما يسبقه من مقدمات، إلى الخلود الأبدي: إما إلى جنة، وإما إلى نار [1] .

ماذا يحدث قبل يوم القيامة: أهم ما يحدث قبل يوم القيامة عدة أمور منها:

- **اضطراب النظام الكوني.**
- **البعث من القبور.**
- **النشأة الأخرى.**

أولاً: اضطراب النظام الكوني: يضطرب النظام الكوني، فتُرجّ الأرض رجّاً، وتُدك دكاً، وتُنسف الجبال نسفاً، حتى تصير هباءً منبثاً، وتنفطر السماء، وتتشقق وتتناثر الكواكب، وتُطمس النجوم، ويُخسف القمر، وتُجمع الشمس والقمر، بعد أن بقيا متباعدين في فلكيهما، لا يدرك أحدهما الآخر، إلى غير ذلك من المشاهد والإرهاصات التي تشير إلى اختلال النظام الكوني القائم وتبدله، سواء كان ذلك في الأرض أو السماء .

[1] انظر: المشاهد في القرآن الكريم: د. حامد قنيبي، ص 153.

1. **اخـتلال نظـام الأرض:** تتصدع الأرض ويعمها الاضطراب، وتتغير الأحوال وتتبدل، فلا الإنسان إنساناً، ولا الأرض أرضاً.

قال تعالى: ﴿ **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ، خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ، إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا، وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا** ﴾ (سورة الواقعة: 1-6).

وقال تعالى: ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا، يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴾ (سورة الزلزلة: 1-4).

وقال تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا** ﴾ (سورة طه: 105-107).

وقال تعالى: ﴿ **الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ، يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ** ﴾ (سورة القارعة: 1-5).

2. **اختلال نظام السماء:** إن اضطراب النظام الكوني واختلاله يوم القيامة يملأ نفوس الناس على اختلاف طبقاتهم هيبة ورهبة، وكذلك اضطراب السماء، وتحولها إلى سائل ودورانها وتشققها وانفطارها، وتناثر نجومها، مما يُؤدي إلى انهيار هذا النظام الكوني.

يقول تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَنَرَاهُ قَرِيبًا، يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ، وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا** ﴾ (سورة المعارج: 6-10).

ويقول تعالى: ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ، وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ** ﴾ (سورة الانفطار: 1-5).

وحين يغمر الكون ظلام دامس، ويُصيب الناس الهلع والفزع، يتساءلون، أين المفر ؟؟

قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَر، وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ، كَلَّا لَا وَزَرَ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ** ﴾ (سورة القيامة: 7 –12) .

ثانياً: البعث من القبور: في هذه المرحلة يتم استعمال أدوات وآلات منها: الناقور، والصور، والداعي، والمنادي، الصيحة، والزفرة.

قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ، فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ** ﴾ (سورة المدثر: 8–10).

وقال تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ (سورة يس: 51 –52) .

حينها يستيقظ الناس من قبورهم يمضون سراعاً، وهم في دهشة يتساءلون: ﴿ **مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا** ﴾ فإذا هم أمام الحقيقة ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** ﴾، ثم إذا صيحة أخرى ﴿ **فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ** ﴾، يتراصون ويتهيأون للعرض إثر دعوة الداعي.

قال تعالى: ﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ، خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ، مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ** ﴾ (سورة القمر: 6 –8)

ويقول تعالى: ﴿ **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ، إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ، يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ** ﴾ (سورة ق: 41 – 44).

هذه الإشارات المرعبة، المليئة بالحركة السريعة التي مرت بنا في الداعي والمنادي تشكل الصورة الثانية من صور النفير العام الذي يكون قوامه ذلك الصوت المفزع الذي ينادي الناس ويجمعهم من قبورهم إلى ساحة الحساب.

ثالثاً: النشأة الأخرى: قال تعالى: ﴿ **وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ، مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ (سورة يس: 48 – 52).

ويقول تعالى: ﴿ **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ (سورة الأنبياء: 97).

وقال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ، خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ** ﴾ (سورة المعارج: 43 -44).

وقال تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ** ﴾ (سورة عبس: 33-42).

وقال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (سورة آل عمران: 106 -107).

من خلال هذا السرد لقليل من الآيات الكريمة التي لها علاقة باليوم الآخر، ومن خلال تتبع الآيات التي تكلمت عن هذا اليوم نجد أن القرآن الكريم قد أفاض في الحديث عن يوم القيامة، وما يجري فيه من أهوال وأحداث، وأبان في وضوح تام عن مواقفه ومشاهده في سور كثيرة، يتكرر الخبر وتتغير الصور، وتتبدل المواقف، لتدل في كل مشهد على حدث يرسم إطاراً لذلك اليوم الرهيب الذي وصفه الله في القرآن بأنه: ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد** ﴾ (سورة الحج:2)، وقارئ القرآن يُدرك هذا الاهتمام الكبير الذي ناله اليوم الآخر، حتى تمثل في آياته بهذه المتابعة الملحة التي تضع أمام العين حقائق اليوم الآخر شاخصة يكاد المرء يراها لقوة ما تحمله من تعبير، بل كأنها تمر أمامه وهي مشاهد لها من عجب ودهشة وخوف، وفزع، ويقين وإيمان بحدوث ما يعلنه القرآن الكريم.

والآخرة في الاصطلاح القرآني هي الحياة الآخرة، وهي الحاصلة بعد البعث لإجراء الجزاء على الأعمال، وكما ذكرنا سابقاً لقد تعدد ذكر يوم القيامة في القرآن كثيراً، حتى أن لفظ الآخرة وحده ذكر مائة وخمس عشرة مرة.

يُعلل الإمام القرطبي هذه الكثرة في الأسماء بقوله: وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، وهذا من كلام العرب، فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة [1].

[1] انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي، ص 214.

ولكن قبل الحديث عن أحداث يوم القيامة وما فيه من أهوال، أحب أن أتكلم على عجالة من الأمر، عن موضوع له علاقة وثقى باليوم الآخر، ألا إنه حياة البرزخ (عالم الموت)، وحياة البرزخ هي الصلة ما بين حياة الدنيا والحياة الآخرة، هي نقطة الانتقال.

والبرزخ هو الحاجز والمسافة، وقد يكون البرزخ مادياً، وقد يكون معنوياً، مادياً بمعنى المانع والفاصل، ومعنوياً بمعنى العداوة والكراهية.

والبرزخ الذي نقصده في بحثنا ودراستنا هو ما يكون بعد موت الشخص، وللعلماء في معنى البرزخ اصطلاحاً آراء كثيرة، ما يهمنا منها هو أن البرزخ معناه، الوقت الذي يمر على الشخص بعد موته إلى يوم الحشر، فاصل ما بين دنياه وآخرته.

المبحث الأول

حياة البرزخ وما فيها من نعيم أو عذاب

سأتناول في هذا المبحث نظرة الأمم السابقة والديانات المتعددة

إلى ما يحدث للميت بعد موته،

وما يدعم ذلك من أدلة شرعية

سؤال القبر: اختلفت أقوال العلماء والمذاهب حول هذا الأمر إلى ثلاثة أقوال:

1 . النافون له وهم بعض المعتزلة والشيعة والخوارج.

2. المثبتون له، وهم أكثر أهل الإسلام.

3. ذهب جماعة إلى أن النعيم أو العذاب أمر روحاني، أما الأجساد فلا يصل إليها شيء.

ولكل فريق من هؤلاء أدلته النقلية والعقلية.

فمن الأدلة النقلية من القرآن على إثباته:

قول الله تعالى: ﴿ **وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ، النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ (سورة غافر: 45 -46).

قوله تعالى: ﴿ **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا** ﴾ (سورة نوح:25).

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ** ﴾ (سورة البقرة: 154).

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ (سورة آل عمران: 169 -170).

وهناك الكثير من آيات القرآن مما يدل صراحة أو إشارة على عذاب القبر ونعيمه.

ومن أدلة السُنة النبوية على ذلك

قول النبي عليه السلام في الحديث المروي عنه: عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"المسلم إذا سُئل في القبر، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا وَفِي الْآخِرَةِ﴾** " [1] .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"إن العبد إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كُنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد صلى الله عليه وسلّم، فأمّا المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيُقال له: أنظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنّة، فيراهما جميعاً، وأما المنافق، والكافر فيُقال له: ما كُنت تقول في هذا الرجل: فيقول لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيُقال: لا دريت ولا تليت، ويُضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه من غير الثقلين"** [2] .

وعن عائشة رضي الله عنها، أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن عذاب القبر، فقال: **"نعم عذاب القبر حق، قالت عائشة، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعد صلى صلاة، إلا تعوذ بالله من عذاب القبر"** [3] .

وهناك أحاديث كثيرة غير هذه الأحاديث.

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (4699)، كتاب التفسير، باب: قوله (كشجرة طيبة ...)، ص 1450/3.
[2] المصدر السابق: رقم (1374)، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، ص 408/1.
[3] المصدر السابق: رقم (1372)، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، ص 407/1.

ومن الأمور التي تحدث في القبر للميت ما يتعلق بمُنكر ونكير.

وقد أنكر هـذا الأمـر بعـض العلمـاء خُصوصـاً علمـاء المعتزلـة، وإنكارهم ليس مبنيـاً على استدلالات نقلية من القرآن أو السُنة.

أما المثبتون لهذا الأمر فأدلتهم من السُنة أظهر وأقوى، وقد مر معنا حديث البراء بن عازب، وحديث أنس بن مالك، المثبتان لهذا الأمر بشكل واضح.

وهُناك من الأحاديث غيرها كثير كحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: **"استغفروا لأخيكم ثم سلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل"** [1].

ما سبب تسمية هذين الملكين بمُنكر ونكير:

أجاب القرطبي: أنهما سُميّا بذلك لأن خَلقهما لا يشبه خلق الآدميين، ولا خَلق الملائكة، ولا خَلق البهائم، ولا خَلق الهوام، بل هما خَلق بديع لا يأنس بهما أحد من الناظرين، ولكن الله يخلق عندهما اللطف والرحمة والستر للمؤمنين فضلاً منه تعالى، فيتشكلان لكل إنسان بشاكلة عمله واعتقاده [2].

[1] رواه البغوي في شرح السنة: رقم (1523)، كتاب الجنائز، باب: السؤال في القبر، ص 418/5.
[2] انظر: القرطبي: التذكرة، ص 117.

وصف الملكين: وُصف الملكان بصفات كثيرة، منها الفتنة، وسُود العيون، وزرقتها، وكبر حجم تلك العيون، وتشبيهها بقدور النحاس، وإن لهما قُروناً كقُرون البقر، كما وُصفا بشدة هدير صوتيهما حتى إنه لشدته يُشبه صوت الرعد .

والأحاديث الدالة على ذلك متعددة منها حديث أبي هُريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**إذا قُبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يُقال لأحدهما: المُنكِر، وللآخر: النكير**"[1] .

وفي رواية أخرى لأبي هُريرة رضي الله عنه قال: شهدنا جنازة مع نبي الله صلى الله عليه وسلّم فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس، قال: "**إنه الآن يسمع خفق نعالكم، أتاه مُنكر ونكير، أعينهما مثل قُدور النُحاس، وأنيابهما مثل صياصي البقر، وأصواتهما مثل الرعد، فيُجلسانه فيسألانه ما كان يعبد ومن كان نبيه**" [2] .

أما عن لُغة الملكين: قيل العربية، وهو ما نأخذه من ظاهر لفظ الحديث، وقيل السريانية، قاله الإمام البلقيني إلا أنه قول مُنكر لا دليل عليه.

موضوع سُؤال الملكين: صرّحت الأحاديث بهذا الأمر، وفيما ذكرنا من أحاديث يُوضح ذلك، فسُؤال الملكين للميت يكون عن دينه وربه، ونبيه، وعن الأساس الذي اعتمد عليه في تلك المعلومات في الإجابة عنها .

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم(1077)، أبواب، الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، ص 2/ 267

[2] رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم (4629)، ص 5/ 44.

نتيجة سُؤال الملكين: وضحت الأحاديث الصحيحة نتيجة ذلك:

ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قول النبي صلى الله عليه وسلّم: **"فيُقال له أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً في الجنّة، فيراهما جميعاً"**.

أما المنافق والكافر: **"يُضرب بمطارق من حديد ضربة، فيَصيح صيحة يسمعه من يليه غير الثقلين"**.

وفي رواية أبي هُريرة عن المؤمن: **"ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم يُنوّر له، ثم يُقال له: نم، فيقول: ارجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان، نم كنومة العروس الذي لا يُوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك"**.

أما عن الكافر: **"فيُقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك"** [1].

وعند الإمام أحمد من رواية أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم **"يُسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنيناً تلدغه حتى تقوم الساعة فلو أن تنيباً منها نفخ في الأرض ما أنبتت خضراء "** [2].

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (1077)، أبواب، الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، ص 267/2.

[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (11273)، ص 10/ 122 حم 38/3.

يتضح من هذه الأحاديث التي ذكرناها وغيرها كثير أن نتيجة سُؤال الملكين للمؤمنين أن يأتيهم من الجنّة ونعيمها ما يجعلهم في أمن وطمأنينة إلى يوم الدين، وأن نتيجة المنافقين والكافرين لما يسألون ما يأتيهم من حر النار، وألوان العذاب الكثيرة إلى يوم الدين.

هل السُؤال خاص بأُمة محمد صلى الله عليه وسلّم: اختلفت الأقوال في هذا إلى قولين:

1. أنه خاص بهذه الأمة دون غيرها، واعتمدوا على حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه حيث قال: **"إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها"** [1].

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: **"ما كُنت تقول في رجل"** [2].

وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه: **"ما كُنت تقول في الرجل الذي بُعث فيكم"** [3].

2. أنه سُؤال للناس جميعاً: دل عليه القرآن الكريم: **﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾** (سورة إبراهيم: 27)، وقد ثبت أن هذه الآية نزلت في عذاب القبر، حين يُسأل من ربك وما دينك ومن نبيك.

أما استدلالهم من السُنة فحديث أنس بن مالك السابق ذكره، **"إن العبد إذا وُضع في قبره، وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم"**.

وكذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2847)، كتاب: الجنّة وصفة نعيمها، باب: إثبات عذاب القبر، ص 324/6.

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (1374)، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، ص 408/1.

[3] المصدر السابق، رقم (4699)، كتاب التفسير، باب: قوله (كشجرة طيبة ...)، ص 1450/3.

لهذا فإن ما ذهب إليه الجمهور من أن السُؤال عام وليس خاص بأُمة الدعوة، أُمه الإسلام، هو الأكثر قَبولاً، والأولى بالأخذ به، لأنه أساساً عذاب القبر ونعيمه عام للمؤمن والكافر.

أما عن نوع النعيم ونوع العذاب في القبر:

من القرآن الكريم:

1. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ** ﴾ (سورة آل عمران: 169).

الشهداء أحياء لهم من النعيم المقيم والرزق والسُرور والاستبشار.

2. الإحراق بالنار والعرض عليها حتى تقوم الساعة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ** ﴾ (سورة غافر: 45).

وقوله تعالى: ﴿ **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا** ﴾ (سورة نوح: 25).

فهاتين الآيتين بيّنتا نوعاً من العذاب لهؤلاء المجرمين في قبورهم.

أما السُنة النبوية: فقد وردت فيها أحاديث كثيرة بهذا الخصوص ذُكر بعضها سابقاً، ولكنني هنا أُبين ما ورد فيها:

ذكرت الأحاديث أن الميت يُرى مقعده من الجنّة إن كان من أهل الجنّة، ويُرى مقعده من النار إن كان من أهل النار، ومنها اتساع القبر، وإنارته، وفرشه من الجنّة، وتنعيم صاحبه المؤمن فيه إلى يوم القيامة.

وفي الطرف الآخر: ضيق القبر، واختلاف الأضلاع للكافر، وضرب بمطارق من حديد، وصياحه من ذلك الضرب، وهول مطلع الملكين عليه، وفرش قبره من النار، وإتيانه من حرها وسمومها.

أسباب عذاب القبر، ونعيمه: أسباب النعيم: الإيمان والطاعة.

أسباب العذاب: الكفر والمعاصي.

1. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلّم على قبرين فقال: **"إنهما ليُعذبان وما يُعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما هذا فكان يسعى بين الناس بالنميمة، وأما هذا فكان لا يستتر من بوله"** [1].
2. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال: **"إن الميت ليُعذب ببكاء أهله عليه"**، وفي رواية: **"إن الميت يُعذب ببعض بكاء أهله عليه"** [2].

هل عذاب القبر ونعيمه دائم:

حاول بعض علماء المسلمين أن يُبيّنوا ذلك بقولهم إنه دائم على العُتاة من الكفرة، والظالمين كفرعون وأعوانه، وأمثاله، وأنه ينقطع عن بعض العُصاة كل حسب جريمته، وثم يُخفف بالدعاء والصدقة، والاستغفار، أو الحج عنه أو قراءة القرآن ليصل ثوابه إليه.

[1] المصدر السابق: رقم (6052)، كتاب الأدب، باب: الغيبة، ص 1911/4.
[2] المصدر السابق: رقم (1287)، كتاب الجنائز، باب: قول النبي "يعذب الميت ..."، ص 384/1.

أما بخصوص النعيم فكما ورد في أحاديث عدة عن النبي صلى الله عليه وسلّم، فإنه دائم لا ينقطع، وقد مرَّ معنا حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنّة فمن أهل الجنّة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيُقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة" [1].

وما نميل إليه: أن الله سُبحانه وتعالى أخبرنا عن ألوان من النعيم والعذاب الدائم، وذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم ألواناً أخرى من العذاب المنقطع، إلى غير ذلك من هذه الأمور، فهي من العلم الذي استأثر به الخالق سُبحانه وتعالى، وجعله ضمن مشيئته حيث قال: ﴿ **فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (سورة البقرة: 284).

فمن يشاء الله دوام تعذيبه عذبه، ومن يشاء الله تعالى تعذيبه إلى مدة ثم يرفع عنه العذاب كتب له ذلك [2].

هذه الفقرة تتمة فيمن يُعذّب في قبره: تارك الصلاة، ومانع الزكاة، ومُفطر رمضان، والنمام، والكذّاب، والمغتاب، وشاهد الزور، وقاذف المحصن والمحصنة، والقائل على الله ورسوله ما لا علم به، واللّماز، واللّعان، والهمّاز، والمفتي بخلاف ما شرعه الله، والفاحش اللسان البذيء، والمشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه، والذي يحلف بالله كاذباً، والخائض في أعراض الناس، والمجاهر بالمعصية، وشارب الخمر، والسارق، وتارك صلاة الجماعة، والغشاش، والمحتكر، ومانع فضل الماء،

[1] سبق تخريجه.
[2] انظر: عالم الغيب: د. يحيى مراد، ص 383.

والمتبرّجة، والعاصية لزوجها في الحق، والمتكبر، والمغرور، والحاقد، والحاسد، والمرائي، والمُعجب بعمله، والذابح لغير الله، والنادر لغير الله، والسامر، ومُصدّق الساحر، والذي يُقرأ عليه القرآن فلا يُؤثر فيه، والأمير الظالم، وآكل أموال الناس ظُلماً، والمعتدي على الخلق، والمؤذي لهم، وآكل مال اليتيم، والغال من أموال الدولة، والمرتشي، والقاضي الذي لا يقضي بالحق، والعاق لوالديه، وقاطع الرحم، وتارك الحج مع المقدرة، والحاكم بغير ما أنزل الله، والذي لا يرحم المسكين واليتيم ولا الحيوان البهيم.

كل هؤلاء وأمثالهم يُعذبون في قُبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها، وقلتها، وصغرها، وكبرها [1].

[1] انظر: المحكمة الإلهية: د. مصطفى مراد، ص 26.

المبحث الثاني

أحداث يوم القيامة

سأتناول في هذا المبحث بالحديث عن الأهوال التي ستحدث في هذا اليوم:

من نفخ في الصور، وبعث، وحشر، وعرض،

وحساب، وميزان للأعمال،

واستلام للكتب، ومن الحوض، والصراط، ثم الشفاعة.

توطئة:

كثيرة هي أحداث يوم القيامة، والتي يُسميها الكثير من العامة أهوال يوم القيامة، وذلك من شدتها، وصعوبتها وعدم قدرة الإنسان على تصورها، وبالتالي عدم قدرته على احتمال ما يقع فيها من أحداث، وكما ذكرت سابقاً: أن في هذا اليوم تتغير كل الأشياء وتتبدل.

من هذه الأحداث:

1. النفخ في الصور.
2. البعث.
3. الحشر.
4. الوقوف بين يدي الله.
5. الحساب والجزاء.
6. الميزان.
7. الحوض.
8. الصراط.
9. الشفاعة.

وبين كل حدث من هذه الأحداث من الخوف والرجاء، والأمل، واليأس، والطمأنينة والقلق، والثبات والحيرة.

ولقد ورد في القرآن الكريم كثير من الأسماء والصفات لهذا اليوم منها:

الآخرة ــ الخافضة ــ الحاقة ــ الرّاجفة ــ الرّادفة ــ الساعة ــ الصاخّة ــ الغاشية ــ القارعة ــ المعاد ــ الواقعة ــ اليوم الآخر ــ يوم البعث ــ يوم تُبلى السرائر ــ يوم التغابن ــ يوم التلاق ــ يوم التناد ــ يوم الجمع ــ يوم الحساب ــ يوم الحسرة ــ يوم الحق ــ يوم الخُروج ــ يوم الخُلود ــ يوم الدين ــ يومٌ عسير ــ يومٌ عظيم ــ يومٌ عقيم ــ يوم الفتح ــ يوم الفصل ــ يوم القيامة ــ يومٌ كبير ــ يومٌ محيط ــ يومٌ مشهود ــ يومٌ معلوم ــ يومٌ موعود ــ يوم الوعيد ــ يوم الجزاء ــ يوم الندامة ــ يوم الشهادة ــ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أولاً. النفخ في الصور: تحدثنا سابقاً على عُجالة عن النفخ في الصور، وهنا نحاول أن نُفصّل في أمره، حتى تتم الفائدة والمنفعة وحتى تتجلي حقيقته عند الناس.

من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** ﴾ (سورة الزمر: 68).

ويقول تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ** ﴾ (سورة النحل: 87).

ومجموع الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر النفخ في الصور بلغت في مُجمل القرآن الكريم عشر آيات.

وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية هذا الأمر.

وفي السُنة المطهّرة ورد ذكر النفخ في العديد من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلّم:

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"كيف أنعُم وقد إلتقم صاحب القرن، القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر أن يُؤمر ينفخ، فينفخ"** [1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: **"ثم يُنفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى إلِبتاً، ورفع لِيتاً، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيُصعق، ويُصعق الناس، ثم يُرسل الله، أو يُنزل الله مطراً، كأنه الطل، أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم يُنفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون"** [2].

والصور في لغة العرب هو القرن.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلّم فقال: ما الصور؟ قال: **"قرن يُنفخ فيه"** [3].

والمشهود أن صاحب الصور هو إسرافيل عليه السلام الذي يَنفخ في الصور مرتين، والآيات دلت على أن **النفخ مرتان:**

الأولى: يحصل بها الصعق وتُسمى الراجفة.

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2548)، أبواب: صفة القيادة، باب: ما جاء في الصور، ص 42/4.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2940)، كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال، ص 383/6.
[3] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (6805)، ص 317/6 – حم 192/2.

الثانيـة: يُحـي بهـا الله الخلائـق وسُـميت بالرادفـة، قـال تعـالى: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ**﴾ (سورة النازعات: 6-7) .

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وليس في الإنسان شيء إلا بلى، إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة**" [1] .

ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن أجساد الأنبياء لا يُصيبها الفناء كما يُصيب أجساد سائر العباد .

ثانياً . البعث: عندما يُنفخ في الصور النفخة الثانية، تَهُبُ الخلائق من قبورها سعياً إلى أرض المحشر، حيث يقفون جميعاً بين يدي الله، جبار السماوات والأرض، كل حسب عمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، يومئذٍ يبهت الكافرون والمعاندون حينما يجدون ما أنكروا حاضراً أمامهم.
قال تعالى: ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ (سورة التغابن: 7) .

وقال تعالى: ﴿**أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (سورة المطففين: 4-6)

إن القرآن الكريم ينقل لنا أحداث القيامة كأنها كتاب مفتوح، وتملى مضمون الكلمات من واقع ما يمر بنا من أحداث الحياة، فنتمثلها بخيالنا القاصر حسب ما نعرفه من مشاهداتنا في بعض

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2955)، كتاب الفتن، باب: ما بين النفختين، ص 394/6.

الأحيان، في الوقت الذي لا نستطيع تصور بعض الحقائق دون تقريب، وتوضيح، وتبسيط، وتفسير، وذلك ما يُجلّيه الحديث الشريف من خلال سُؤال يُوجه للرسول صلى الله عليه وسلّم، فلا يكون الجواب خاصاً بفرد، إنما تفهمه الأمة على امتداد تاريخها، ومضيفة إلى رصيدها هذا الفهم الذي يكون حُجة لها، ونبراساً تهتدي به في ظلمات الحياة.

لا بد لنا أن ننظر في القرآن الكريم نظرة تُبيّن لنا هذه المشاهد المروعة التي تبعث الفزع في القلوب، وتقشعر لهولها الأبدان، وتحار في إدراكها العقول، فلا تملك إلا التسليم المطلق إزاء العظمة الربانية، وتسجد لخالق الأرض والسماء، وتُسبّح بحمده، تسأله العفو والغفران، وأن يكون ذلك اليوم، يوم فرح مع المؤمنين، ويوم نجاة مما يُصيب الكافرين.

هذه صُورة من صُور البعث في القرآن الكريم: ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ، وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ، وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ (سورة الحاقة: 13-18)، وهُنالك مظاهر أُخرى من مشاهد ذلك اليوم، وقد أصابها ما أصابها من أمر ربك: ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ، وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ** ﴾ (سورة الانفطار: 1 - 5).

والجبال الراسيات التي تحفظ توازن هذه الكرة المعلقة، ما شأنها، يفغر الناظر فاهه وهو يراها تمر من أمامه كأنها لم تكن يوماً ذات أوتاد: ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** ﴾ (سورة النمل: 88).

ويستمر القرآن في تبديد حيرتهم، وهم يستمعون إلى آياته في سير الجبال، ومرها مرَّ السحاب، فيقول: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا** ﴾ (سورة طه: 105 – 106)، وتستمر أهوال اليوم العصيب، وتتخلع قلوب الكافرين لما يشاهدون من تحقيق أمر الله الذي أنكروه طويلاً، فإذا هو واقع بهم، يحسونه بكل جارحة من جوارحهم، وينظرونه رأي العين، ولا يجدون لهم نصيراً، أو ملجأ يأوون إليه، فكل شيء حولهم مضطرب، متصدع لا ثبات له، وكل ما أملوه من قوة في المخلوقات المحسوسة قد تلاشى.

فالسماء بارتفاعها وسُموها قد انفطرت، والكواكب التي كانت مثار إعجابهم وتقديسهم قد انتثرت، والبحار التي كانت تحت أبصارهم خلقاً يخافون منه، قد فُجّرت، والقمر الذي تغنوا به دهراً طويلاً، وأنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يكون قد انشق كما أخبرهم بمكة، يرونه مخسوفاً لا أثر لنوره، والشمس هذا المخلوق الكبير الذي طالما سبّحت له خلائق من قبل واتخذوه رباً، ها هو ذا في كُسوفه وذهاب ضُوئه، يتبع الأمر الإلهي بانقضاء أجله، فيأوي إلى المكان الذي اختاره له ربه، ليس هذا فقط، فالأرض التي يقف الإنسان عليها قد اضطربت وماجت، فها هي تهتز هزات عنيفة، يتصدع من هول زلزالها القلب، وترتجف قوته حتى يعود ضعيفاً آيساً، ولا يبقى في الأرض شيء إلا أخرجته، ما عرفته البشرية في تاريخها، وما لم تعرفه، فيذهل الرائي لما يرى حتى يُردد من فزعه : مالها ؟.

ذلك يوم تُحدّث الأرض من كان ضالاً مُنكراً لرسالة ربه أنَّ هذا هو الحق الذي كان يمارس فيه حياته، إن الأرض تخبره أن الله القادر أوحى لها أن تُري البشر ما كانوا يُنكرون، ويشتدون في

الإنكار، ويُكذبون المرسلين، ويردون دعوتهم، وهم يتلون آيات ربهم محذرين ومنذرين، إن للكافرين المعاندين أن يروا فعل ربهم وخالقهم، إنها أوامره سُبحانه وتعالى، أن يُحدث هذا الذي يحدث، وأن يقفوا على ضلالهم وكفرهم ومتابعتهم للشيطان وأتباعه، إنه اليوم الذي طالما حُذروا منه، وبذل الأنبياء في سبيل إنقاذهم منه ما استطاعوا من جهد وعمل، ولكنهم صدوا وسخروا فاليوم يشهدون ما كانوا به يكذبون.

والتصوير القرآني لأهوال ذلك اليوم يُقرّب المشاهد المفزعة من صور مألوفة، يلمسها الناس في حياتهم اليومية ويتعاملون معها ويكتظ بها آدابهم وأشعارهم، وتكشف عنها ملاحم الحروب، أو حالات الفرح، فهم أقدر على تمثيلها، واستجلاء مضمونها، ورحمة الله تحيط بالبشر، وهي تُحذرهم من مغبة ذلك اليوم العظيم، فتبدأ الآية بالنداء الرباني العام لبني الإنسان: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد ﴾** (سورة الحج:1).

إن هذه الآية تُصور حالة الذهول والخوف الذي يُصيب الناس، حتى ليكاد المرء يفقد عقله من هول ما يرى، وما بالإنسان من سُكر أو خبال، ولكن وعد الله قد تحقق، والتحذير واضح شديد الوضوح في قوله عز وجل: **﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾**، وحتى يقترب الفهم، ضرب المثل في الأم التي تتخلى عن رضيعها لشدة الموقف، وما كانت الأم لتطرح ولدها وهي التي تفديه بنفسها

عندما تحل الكارثة، أما في هذا الموقف فإنها تذهل عنه لغلبة الشدة التي تعتري كل إنسان فلا يجد أكرم من نفسه إليه.

ويلمس القرآن من الإنسان ما يزيده يقيناً، إذ القلوب هي المحك، فثباتها ثبات للإنسان الذي لم يرتكب جُرماً وإنما أتى ربه بكل عمل أرضاه في الدنيا فهو لاقيه عنده، أما المعاند فإنه لن يعصمه في ذلك اليوم شيء وهنا يُحذر البارئ عز وجل من ذلك الموقف الذي سماه يوم الآزفة **﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ﴾** (سورة غافر: 18)، إن الهلع أخرسها فما عادت تستقر في مكانها، ولم يجدوا من رد يتفوهون به، فكان السكوت علامة الخزي والخذلان.

أما الأبصار فزائغة تتقلب فيما حولها، فلا تجد إلا ما تُنكر، فما ألفت في حياتها الدنيا ما تشهده في ساعتها هذه، إنهم كانوا يسمعون في الدنيا قراءة المؤمنين لكتاب ربهم وهو يقول: **﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾** (سورة النازعات: 8- 9)، ويسمعون: **﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾** (سورة النور: 37)، فما كانت لتعينهم وهم جنود إبليس، دأبهم أن يعارضوا الحق، والشيطان ينفخ في كبريائهم، فيزدادوا شموخاً في الباطل، إنهم في يومهم هذا يرقبون ما يُحيط بهم من هم مقيم، وعذاب لا مرد له، ولن يغني عنهم ما كانوا يتعلقون به في الدنيا من أسباب العنجهية، والتكبر، إن أبصارهم لا تطرف لشدة رعبهم وخوفهم وهلعهم، بل لا يقوون على الالتفات يميناً أو شمالاً، وقلوبهم هائمة لا تعي ولا تعقل، إنهم كفروا بتحذير ربهم لهم فحق عليهم وعلى أمثالهم

وعد الله: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ** ﴾ (سورة إبراهيم: 42- 43) . [1]

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**يطوي الله السماوات والأرض يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليُمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون، ثم يطوي الأرض بشماله، وفي رواية: ويأخذهن بيده الأخرى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون**" [2] .

ثالثاً. الحشر:

أرض الحشر: يقول تعالى: ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ (سورة إبراهيم:48) .

عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقُرصة النقي، قال سهيل: ليس فيها معْلمٌ لأحدٌ**" [3] .

إذن هي أرض غير أرضنا التي نحيا عليها، وهي أرض جديدة يكون عليها حشر العباد، استعداداً للفصل بينهم.

---

[1] انظر: عالم الغيب: د. يحيى مراد، ص 459.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2788)، صفات المنافقين، باب: صفة القيامة، ص 274/4.

[3] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6521)، كتاب الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، ص 2044/4.

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"تكون الأرض يوم القيامة خُبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يُكفأ أحدكم خُبزته في السَّفر نُزلاً لأهل الجنّة"** [1].

وقد سألت عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلّم عن قول الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ**﴾، أين يكون الناس؟ فقال صلى الله عليه وسلّم: **"على الصراط"**[2].

هذه الأرض ليس فيها العلامات التي كنّا نُعلّم بها الطرقات في أرضنا أو في دنيانا، وليس فيها بيت أو شجر أو نهر.

صفة الحشر: عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يُحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف، صنفاً مُشاة، وصنفاً رُكباناً، وصنفاً على وجوههم، قيل يا رسول الله، وكيف يمشون على وُجوههم؟ قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يُمشيهم على وُجوههم، أما إنهم يتقربون بوُجوههم كل حدب وشوك"** [3].

---

[1] المصدر السابق: رقم (6520)، ص 2043/4.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2791)، كتاب صفات المنافقين، باب: البعث، والنشور، ص 276/6.

[3] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (5150)، أبواب تفسير القرآن، باب: من سورة بني إسرائيل، ص 367/4.

وعن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: **"أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يُمشيه على وجهه يوم القيامة، قال قتادة: بلى وعزة ربنا"**[1] .

إن مشهد الحشر على الوجوه فيه من التحقير والإهانة والإذلال يوم القيامة، ما يُقابل ذلك الاستكبار والإعراض عن الحق والتعالي عن الاستماع إليه في الدنيا، إنه مشهد يُمرّغ كبرياءهم أمام الحشود ويُزلزل عنادهم، ويهز كيانهم هزاً، لا يملكون شيئاً آنئذٍ، وقد كفروا من قبل بتحذير الله لهم.

قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾** (سورة الفرقان: 34).

والأصعب والأشد من ذلك أن الحشر لا يكون كما هي أحوال الناس في الدنيا، بل هم يمشون على وجوههم فقط مع ما يجدون من العنت والضيق، وهم على هذا الحال، بل هم أيضاً لا يقدرون على التأوه أو السماع أو النظر.

قال تعالى: **﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾** (سورة الإسراء: 97).

إن أول من يُبعث من الخلائق هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم.

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (4760)، كتاب التفسير، باب: قوله (الذين يحشرون على وجوههم)، ص 1493/3.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مُشفّع"** [1] .

وهذه من الكرامة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يخطب على المنبر، ويقول: **"إنكم تلاقوا الله حُفاة عُراة غُرلاً"** [2] .

وأول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل عليه السلام.

صُور من أهوال الحشر: عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، قال: وأشار النبي صلى الله عليه وسلّم بيده إلى فيه، قال: سليم بن عامر (أحد رُواة الحديث): فو الله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض، أم الميل الذي تُكتحل به العين"**[3] .

وعند مُسلم في صحيحه: **"يُؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها"**[4] .

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2278)، كتاب الفضائل، باب: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ص 438/5.

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6524)، كتاب الرقاق، باب: كيف الحشر، ص 2044/4.

[3] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2864)، كتاب الجنّة، وصفه نعيمها وأهلها، باب: صفات أهل الجنّة، ص 320/6.

[4] المصدر السابق: رقم (2842)، ص 306/6 .

إن المتأمل لنصوص القرآن الكريم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلّم، والتي تتحدث عن اليوم الآخر، وخصوصاً الحشر، يجد من الأهوال العظام، والمواقف التي لا يتحملها العقل البشري العادي، ولا يطيقها صبر إنسان حتى لو كان يُضرب به المثل في صبره، وأناته، لأن الموقف أكبر من أن تتحمله طاقة البشر.

يقول تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ، خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ** ﴾ (سورة المعارج: 43 -44) .

ويقول تعالى: ﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ، خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ، مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ** ﴾ (سورة القمر: 6 -8) .

وغيرها من الآيات قال تعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ** ﴾ (سورة النساء: 41) .

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: لما سُؤِل عن طول يوم الحشر "**إنه ليُخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة**"[1] .

عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: "**سبعة يُظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه مُعلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف**

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (11657)، ص 37/10 – حم 75/3.

الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه"[1] .

رابعاً: الحساب: الحساب هو أن يقف العباد بين يدي الله سُبحانه وتعالى قبل مغادرة الحشر، وأن يُعرّفوا بما عملوا، وتحضر أقوالهم، وما صدر منهم في الحياة الدُنيا من إيمان وكفر، وعصيان، وما يستحقونه من عقاب أو ثواب، ثم ما يتسلمونه من كتب بأيمانهم إن كانوا مؤمنين صالحين، أو بشمالهم إن كانوا من الأشقياء العاصين.

والناس يوم القيامة متفاوتون فمنهم:

من يُعرض عليه عمله ثم يُطلعه الله على سيئاته سراً، ثم يَعفو عنه ويأمر به إلى الجنّة.

ومنهم من يُناقشه ربه في صغيرة وكبيرة، ويشهد عليه الشهود ثم يأمر به الله إلى النار.

ومنهم من يأتي بذنوبه وخطاياه مُقراً مُعترفاً بجرمه، ثم يتوسل إلى ربه طالباً الصفح والمغفرة لما سبق منه أن فرّج عن مُسلم كربة، أو يسَّر على مؤمن عُسراً، فيعفو الله عنه ويُدخله الجنّة.

فالحساب منه العسير ومنه اليسير، منه التكريم ومنه الزجر والتوبيخ، ومنه إسباغ الفضل والعفو والصفح والتجاوز، ومنه من لا ينظر إليهم رب العباد ولا يُكلمهم.

والمُحاسِب في ذلك اليوم هو قيُّوم السماوات والأرض، وهو ما يُلقي على المشهد مظهر العظمة الحقة، والمهابة الكاملة، والجلال التام، ومجيء رب العالمين إلى القضاء بين الناس تعبر عنه الآية

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: رقم (660)، كتاب الأذان، باب: من جلس في المسجد، ص 209/1.

الكريمة: ﴿ **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ** ﴾ (سورة البقرة: 210).

وواضح من الآية أن الملائكة تحضر الحساب، ومعها صحائف أعمال العباد التي أحصت على الخلق أعمالهم، وأقوالهم فكانت حُجة لا تُرد، وهو كتاب وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ (سورة الكهف: 47).

ويجيء الله بالرسل والأنبياء إلى موقف القضاء فيسألهم عن الأمانة التي كُلِّفوا بإبلاغها، ويسألهم عن أُممهم، ويسأل أُمة محمد عن جميع الأمم، وهل أجابت أنبياءها أم لم تفعل، ويشهدون شهادة الحق لمن آمن بالإيمان وعلى من كفر بالكفر.

والأشهاد يوم القيامة هم الملائكة الذين كانوا يحصون الأعمال على العباد، والأنبياء، والعلماء، كما تشهد الأرض والسماء، والأيام والليالي، بل تشهد على الإنسان أعضاؤه وجوارحه [1].

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**يُدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيُقال له هل بلغت؟ فيقول نعم، فيُدعى قومه فيُقال لهم هل بلغكم فيقولون: ما أتانا من نذير أو ما أتانا من أحد، قال: فيُقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته قال:**

[1] انظر: عالم الغيب: د. يحيى مراد، ص 474.

فذلك قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾، قال الوسط العدل، قال فيُدعون فيشهدون له بالبلاغ، قال: ثم أشهد عليكم" (1).

يُؤتى بالمجرمين في هيئةٍ مُزرية بئيسة، مقرنين في أصفادهم، مسربلين بالقطران، قال تعالى: **﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ، سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ، لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾** (سورة إبراهيم: 49-50).

ويُؤتى بالأمم الظالمة جاثية على رُكبها، لا تقوى على الوقوف لهول ما تُشاهد من عظم ذلك اليوم، عبّر عن ذلك قوله تعالى: **﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** (سورة الجاثية: 27).

عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"وعدني ربي عز وجل أن يُدخل الجنّة من أُمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم، ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل"** (2).

مُحاسبة الكافرين: هل يُحاسب الكافر على أعماله، أم يكفيه أنه يُحاسب على كفره، حول هذا الأمر تعددت آراء العلماء، فمنهم من يقول إنهم يُحاسبون على أعمالهم لقوله تعالى: **﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾** (سورة القارعة: 6 -7).

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (11222)، ص 106/10– حم 32/3.

[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (22056)، ص 219/16– حم 250/5.

وهذا الحساب، إنما هو حساب تقريع وتوبيخ، لزيادة المذلة والمهانة، وإلا ما الفرق بين رجل كفرعون وشارون وهتلر، ملأوا الدنيا بظلمهم وجبروتهم، وأفسدوا في الأرض وترتب على إفسادهم هلاك الحرث والنسل، وبين رجل كافر عادي بسيط، ما ظلم ولا قتل ولا أفسد، صحيح أنه ليس بعد الكفر ذنب، ولكن من عدل الله أن لا يتساوى مثل هذين الكافرين.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطي بها في الدنيا، ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم يكن له حسنة يُجزى بها"** [1].

أما القائلون بعدم سُؤال الكافرين عن أعمالهم، فقد استندوا على آيات من القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿ **فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ** ﴾ (سورة الرحمن: 39)، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ (سورة القصص: 78).

والقول الذي أميل إليه وأرجحه وأقول به، هو القول الأول، لأن فيه زيادة تقريع وتوبيخ عليهم، ولزيادة حسرتهم، فإنه قد يكون في أعمالهم، أعمال حسنة وخيرة، لكنهم لا يستفيدون منها في الآخرة بحكم كونهم كافرين.

في هذا الحشر يسأل الله العباد عن الإله الذي كانوا يعبدونه، وعن إجابتهم دعوة الرسل والأنبياء، وعن أعمالهم، وعما أنعم الله عليهم من نعم.

[1] المصدر السابق: رقم (12177)، ص 396/10 – حم 123/3.

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، عن عُمره فيما أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه"**[1] .

قال تعالى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجنّة يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** (سورة غافر: 40) .

عن صفوان بن محرز المازني قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده إذ عرض رجل فقال: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم في النجوى فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: **"إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا، فيقول: نعم، أي رب حتى إذا أقرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين"**[2] .

وعن عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: **"يَحشر الله العباد يوم القيامة"** أو قال: **"الناس عُراة غُرلاً بُهماً"**، قال: قلنا: وما بهماً؟ قال: **"ليس معهم شيء، ثم يُناديهم بصوت يسمعه مَنْ بعُد كما يسمعه من قرُب: أنا الديّان، أنا الملك، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنّة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل**

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2531)، كتاب أبواب صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن الحساب، والقصاص، ص 35/4.
[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (2411)، كتاب المظالم، باب: قوله تعالى: (ألا لعنة الله ...)، ص 732/2.

الجنّة أن يدخل الجنّة ولأحد من أهل النار عنده حق حتّى أقصه منه، حتّى اللطة، قال: قلنا: كيف، وإننا نأتي عُراة غُرلاً بُهما ؟ قال: الحسنات والسيئات"[1] .

هذا اليوم هو يوم الحق، ويوم العدل، يوم القضاء والفصل، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وتجد كل نفس شريرة ما عملت من سوء محضراً، تتمنى لو أنها لا تراه، أو يُباعد عنها، ولكن هيهات، وهو يوم الحساب، وهم بين يدي أعدل القضاة، الملك الحق، رب العزة سُبحانه وتعالى.

أنواع الحساب: عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: **"إن أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صَلُحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضة شيء قال الرب عز وجل: أنظروا هل لعبدي هذا تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك"**[2] .

والحساب يوم القيامة أنواع، يُحاسب الإنسان على ما قدم في الدنيا ، وللناس مواقف وأحوال، يبلوها الناس في الدنيا ، فإذا كان يوم الحساب أظهرها الله على حقيقة ما عملوها ، فالذي اكتسب شهرته في الدنيا بعمل ما ولم تكن طاعة الله غايته، فاليوم يُفضح على رُؤوس الأشهاد ، ويظهر عمله الذي راءى به في الدنيا حتى اكتسب مجده وشهرته، ولا يقدر على إخفائه أمام أعدل الحاكمين.

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في صحيحه: رقم (15985)، ص 428/12– حم 495/3.

[2] المصدر السابق: رقم (7889)، ص 8/ 14– حم 290/2.

عن سُليمان بن يسار قال: تفرق الناس عن أبي هُريرة رضي الله عنه فقال له ناتل أهل الشام "ناتل بن قيس الجذامي الشامي" أيها الشيخ، حدثنا حديثاً سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، قال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: **"إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرّفه نعمه فعرفها ، قال: فما عملت فيها، قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليُقال عالم، وقرأت القرآن ليُقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه، حتى أُلقي في النار، ورجل وسعّ الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال: ما تركت من سبيل تُحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليُقال هو جواد، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه، ثم أُلقي في النار"**[1] .

في ختام مشهد الحساب يتلقى كل عبد سجلاً كاملاً بأعماله التي عملها في الحياة الدنيا، للمؤمن كتاب يتلقاه بيمينه أو من أمامه، يُحاسب بعده الحساب اليسير، المذكور في القرآن ثم ينقلب إلى أهله مرحاً مسروراً .

وأما الكافر والمنافق فإن كُتبهم تُعطى لهم بشمالهم، أو من وراء ظهورهم ولا همَّ له إلا الدعاء بالثبور والويل جزاء ما اقترف وقدم من عمل كفور .

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (1905)، كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء، ص 45/5.

يُقال بعد أن يتسلم كل فريق كتابه: ﴿ **هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ (سورة الجاثية: 29).

القصاص: القصاص هو أخذ الحق من الظالم للمظلوم، ومن الباغي للمبغي عليه.

القصاص يوم القيامة عام بين كل ظالم ومظلوم، ومُعتدٍ ومُعتدى عليه، سواء كان من الإنس أو الجن أو بقية المخلوقات الأخرى.

يقول تعالى: ﴿ **وَعَنَتْ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً** ﴾ (سورة طه: 11).

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلّم: **"من قذف مملوكه بالزنا يُقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال"**[1].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"من ضُرب بسوطٍ ظلماً، اقتص عنه يوم القيامة"** [2].

طريقة قصاص المظالم بين العباد يوم الحشر: عن أبي هُريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمت، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فجُعل عليه"**[3].

[1] المصدر السابق: رقم (1660)، كتاب الأيمان، باب: التغليظ على قذف المملوك، ص 291/4.
[2] أخرجه البيهقي في سُننه: رقم (16004)، كتاب الجراح، باب: شبه العمد ... ص 45/4/ نسخة محققة 82/8.
[3] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6534)، كتاب الرقاق، باب: القصاص يوم القيامة، ص 2047/4.

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"أتدرون من المفلس، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أُمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا منه حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى عليه، أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرِح في النار"**[1].

وعن سالم بن أبي الجعد قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فذكر الحديث، فقال: ولقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلّم يقول: "يجيء المقتول يوم القيامة آخذاً رأسه، إما قال بشماله، وإما قال بيمينه، تشخب أدراجه، في قُبُل عرش الرحمن تبارك وتعالى، يقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني"[2].

هذه الأحاديث تُوضح لنا أن الإنسان يأتي يوم القيامة مُجرداً عن كل ما كان يتمتع به في الدنيا من جاه ومال، وسلطان، وحزب أو تنظيم أو جماعة أو رابطة، وليس له من رأس مال يومئذٍ إلا ما قدّم من خير أو شر، فإن كان خيراً كانت حسناته معه، وإن كان غير ذلك سبقته سيئاته إلى حيث لا يُحب أن يُرى عمله، وما جلب له من خزي.

وعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"يخلص المؤمنون من النار، فيُحبسون على قنطرة بين الجنّة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت**

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2581)، كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم، ص 105/6.
[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (3445)، ص 447/3– حم 364/1.

بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذّبوا ونُقوا أُذن لهم في دخول الجنّة، فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنّة منه بمنزله كان في الدُنيا" [1] .

كذلك يكون القصاص بين البهائم، وهذا من عدل الله ألا يمر شيء كان في الدنيا دون عقاب أو ثواب، حتى لو كان الظالم حيواناً .

عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"لتُؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء"**[2] .

وعنه رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم: **"يقتص الخلق بعضهم من بعض، حتى الجماء من القرناء، وحتى الذرة من الذرة"** [3] .

في نهاية حديثنا عن الحساب نُحب أن نختم بحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"الظلم ظُلمات يوم القيامة"** [4] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"اتقوا الظلم، فإن الظلم ظُلمات يوم القيامة"** [5] .

---

[1] (أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6535) ، كتاب الرقاق ، باب: القصاص يوم القيامة، ص 2047/4.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2582)، كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم، ص 105/6.

[3] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (8741)، ص 410/8 – حم 363/2.

[4] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (2447)، كتاب المظالم، باب: الظلم ظلمات يوم القيامة، ص 734/2.

[5] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2578)، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الظلم، ص 104/6.

خامساً: الميزان: الميزان رمز للعدل، وقد ورد لفظ الميزان في القرآن الكريم ثلاثة وعشرين مرة، منها خمسة عشر مرة متحدثاً عن إقامة العدل في الدنيا وعدم التطفيف أو الخسران، وثمان مرات عن وزن الآخرة.

وهو من عقيدة المسلمين الموحدين، الذي نؤمن به إيماناً راسخاً ثابتاً، وكما قلنا دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

والميزان هو ميزان حقيقي توزن به أعمال العباد، يَنصبه الله يوم القيامة، وهذا مقتضى عدل الله المطلق.

يقول تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ (سورة الأنبياء: 47).

وقوله تعالى: ﴿ **فإذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ** ﴾ (سورة المؤمنون: 101-104).

وقال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ، نَارٌ حَامِيَةٌ** ﴾ (سورة القارعة: 6-11).

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"يُوضع الميزان يوم القيامة، فلو وُزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا، فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سُبحانك ما عبدناك حق عبادتك"** [1].

عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سُبحان الله العظيم، سُبحان الله وبحمده"** [2].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حُسن الخُلق"** [3].

من هذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة يتضح لنا أن الأعمال هي التي تُوزن ويتبين من خلاله رجحان الحسنات على السيئات، أو العكس، فهو يُظهر العدل.

وقد تعددت أقوال العلماء في الشيء الذي يُوزن يوم القيامة على عدة أقوال:

القول الأول: يقول إن الأعمال والأقوال هي التي توزن، وأنها تُجسّم فتُوضع في الميزان، وحديث أبي هُريرة السابق ذكره: "كلمتان خفيفتان " دال على ذلك.

وقد ذكر العلماء أن الأعمال تأتي في صُورة حسنة نيرة، إن كانت صالحة، وفي صُورة سيئة قبيحة إن كانت خبيثة، وأن الله سبحانه وتعالى أعلم بالكيفية التي تتمثل بها تلك الأعمال، وممن قال هذا القول الإمام ابن حجر في كتابه " فتح الباري " .

[1] رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك، ص 586/4.
[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6406)، كتاب الدعوات، باب: فضل التسبيح، ص 4011/4.
[3] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (27390)، ص 575/18– حم 466/6.

القول الثاني: أن العامل نفسه هو الذي يُوزن واستدلوا على ذلك بما ورد عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: " **إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرأوا: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾** (سورة الكهف: 105)، (1) .

روى ابن مسعود رضي الله عنه: أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحد**" (2) .

فهذان الحديثان وغيرهما يُوضحان أن العباد يُوزنون يوم القيامة، وأن الإيمان هو الذي يُرجّح الميزان، لا أوزان الأجسام من ضخامة ونحافة.

وهناك قول ثالث: يقول إن صحائف الأعمال هي التي تُوزن يقول بهذا القول ابن عمر والإمام القرطبي كما ورد في كتابه " التذكرة " .

عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: "**إن الله سيخلِّص رجلاً من أُمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً، أظلمتك كتبتي الحافظون، فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عُذرٌ أو حسنة؟ فيُبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده**

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2785)، كتاب: صفة القيامة، باب: صفات المنافقين، ص 272/6.
[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (3991)، ص 110/4– حم 421/1.

ورسوله، فيقول: احضروه، فيقول يا رب: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم " [1].

يتبيّن من خلال النصوص لكل فريق أن العامل وعمله، وصُحف أعماله كلها تُوزن، ولا يرد حديثٌ حديثاً آخر، أو يُنافيه، لهذا اقتضى الجمع بينهما على أن الوزن يشملهما.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"تُوضع الموازين يوم القيامة فيُؤتى بالرجل فيُوضع في كفة، ويُوضع ما أُحصي عليه، فيُمايل به الميزان، قال: فيُبعث به إلى النار، فإذا أدبر، إذا صائح من عند الرحمن عز وجل يقول: لا يعجلوا، فإنه قد بقي له، فيُؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله، فتُوضع مع الرجل في كفة حتى يميل الميزان"** [2].

هذا الحديث يُبيّن أن العبد يُوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة، وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين الأقوال الثلاثة.

عن أبي سلمى رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: **"بخٍ بخٍ، وأشار بيده لخمس ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولد الصالح يُتوفى للمرء المُسلم فيحتسبه"** [3].

[1] المصدر السابق: رقم (6994)، ص 436/6– حم 213/2.
[2] المصدر السابق: رقم (7066)، ص 481/6 – حم 221/2.
[3] أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب: رقم (3007)، كتاب النكاح، باب: ترغيب من مات له ... ص 123/3.

سادساً: الحوض: الأحاديث الواردة في ذكر الحوض كثيرة، كثرة تبلغ حد التواتر، رواها عن النبي أكثر من خمسين صحابياً كما ذكر ذلك ابن حجر في كتابه " فتح الباري " .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً"** [1] .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم سُئل عن سعة حوضه فقال: **"إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء"**[2] .

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال: **"والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصبحة، آنية الجنّة، من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنّة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طُوله، ما بين عُمان إلى أيلة، ماؤه أشدُ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل"** [3] .

الحوض من نعم الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلّم، أتاه الله إياه يوم القيامة، يرده الطائعون من أُمته كما يُؤتى الرسل أحواضاً يردها المؤمنون الذين اتبعوهم، إلا أن حوض نبينا أكبرها وأعظمها .

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6579)، كتاب: الرقاق، باب: في الحوض، ص 2057/4.
[2] المصدر السابق: رقم (6580)، ص 2057/4.
[3] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2300)، كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا، ص 459/5.

حوض النبي: من يَرده ومن يُردّ عنه: عن سهل بن سعد الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلّم: "**إني فرطكم على الحوض، من مرَّ عليّ شرب، لا يظمأ أبداً، ليردن عليَّ أقوام أعرفهم، ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم**" (1) .

وعن أبي هُريرة أنه كان يُحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه قال: "**يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي، فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**" (2) .

إذن النبي صلى الله عليه وسلّم يتلقى المؤمنين يوم القيامة عند حوضه، مُرحباً مُهللاً بهم، إلا أن هُناك أقواماً يُمنعوا من الوصول إلى حوض النبي والشرب منه، والأحاديث السابقة دالة على ذلك.

روى أبو هُريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: "**بينما أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلتُ: أين قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا بعد على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين، قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمل النّعم**" (3) .

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6583)، كتاب الرقاق، باب: في الحوض، ص 2057/4.
[2] المصدر السابق: رقم (6585)، ص 2058/4.
[3] المصدر السابق: رقم (6587)، ص 2058/4.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلّم ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: **"أُنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾** (سورة الكوثر: 1- 3)، **ثم قال: أتدرون ما الكوثر، فقُلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أُمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أُمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك"** [1].

أول من يرد الحوض هو النبي محمد صلى الله عليه وسلّم، ثم فُقَراء المهاجرين، الدُنس ثياباً، الشُعث رُؤوساً، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تُفتح لهم أبواب السدُّد.

أما المطرودون من ورود الحوض فهم الذين بدلوا دين الله، وأحدثوا فيه ما لا يرضاه الله، وكذلك الظلمة المسرفون في الظلم والجور، والمعلنون بالكبائر، المستخفون بالمعاصي، وكل أهل الزيغ والأهواء، والبدع.

نخلص إلى أن صفة الحوض أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يُمد من شراب الجنّة من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، كلما شُرب منه هو في ازدياد واتساع.

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: رقم (400)، كتاب الصلاة، باب: حجة من قال لا يُجهر بالبسملة، ص 85/2.

وممن لا يَردون حوض النبي كما ورد عند الترمذي: أُمراء يكذبون: من غشي أبوابهم فصدّقهم في كذّبهم وأعانهم على ظلمهم فليس من النبي والنبي ليس منه، ولا يرد حوض النبي صلى الله عليه وسلّم.

سابعاً: الصراط: الصراط هو الطريق الواضح المستقيم.

وفي الشرع: الجسر الذي يُضرب على ظهر جهنم يمر عليه كل الخلائق.

ويكون الصراط بعد أن ينتهي الناس من ذلك الموقف العصيب الرهيب، موقف الحشر والحساب، والميزان، يهرعون إلى الصراط وقلوبهم واجفة، وجوارحهم مرتجفة.

يقول تعالى: ﴿ **وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ** ﴾ (سورة يس: 66).

إنه حال الذل، والتخبط، حتى إن المتأمل في هذا النص القرآني وغيره، يجد في أوصافهم ما يبعث على الرثاء والشفقة، من حركاتهم وسكناتهم، فهم كالعميان، يتسابقون، ويتساقطون، ويتنافسون على الصراط، ليعبروه، فإذا هم يهربون من موقف مُذل مُخزٍ، إلى حال أصعب منها وأكثر خُسراناً، إنها جهنم والعياذ بالله، في هذه اللحظة يفقدون السيطرة على كياناتهم، يفقدون السيطرة على أطرافهم، كأنها شُلت عن الحركة، فيملكهم الهم والغم، خُصوصاً وهم ينظرون إلى المؤمنين، وهم يتسابقون في المضي على الصراط.

يقول تعالى: ﴿ **وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ** ﴾ (سورة يس: 67).

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التحريم: 8).

إن شدة الموقف، وهول ما يصطرع فيه الناس، يعقد الألسنة، ويُفزع القُلوب، ولكن قُلوب المؤمنين وألسنتهم تُلهم الدعاء اللطيف: "ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا".

يقول سيد قطب: "إلهامهم هذا الدعاء في هذا الموقف الذي يُلجم الألسنة، ويُسقط القلوب، هو علامة الاستجابة فما يُلهم الله المؤمنين هذا الدعاء إلا وقد جرى قدره بأنه سيستجيبه، فالدعاء هنا نعمة يمن بها الله عليهم، تُضاف إلى منة الله بالتكريم وبالنور" فتتم الاستجابة من الله .. "يجعل لهم نوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، نوراً يُعرفون به في ذلك اليوم الهائل المائج العصيب الرهيب، ونوراً يهتدون به في الزحام المريج، ونوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم إلى الجنّة في نهاية المطاف" [1].

يقول تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (سورة مريم: 71 -73).

للعلماء في الورود الوارد في الآية معنيان:

المعنى الأول: أن كل الخلائق تمر على النار، البرّ والفاجر، لكن الله يجعل النار برداً وسلاماً على المتقين، كما جعلها على إبراهيم عليه السلام، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.

المعنى الثاني: أن الورود بمعنى المرور، وهذا هو الأقوى والأليق بالرسل والأنبياء والصالحين.

[1] انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 3618/6.

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"ثم يُضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلّم، سلّم، قيل: يا رسول الله وما الجسر، قال: دحضٌ مزلّةٌ فيه خطاطيف، وكلاليب وحسكٌ تكون بنجدٍ فيها شُويكةٌ يُقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناخ مُسلم، ومخدوش مرسلٌ، ومكدوس في نار جهنم"** [1].

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن حُذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلّم، فيقوم فيؤذن له، وتُرسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق، فقال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كالبرق، قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطير، وشد الرحال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلّم، سلّم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أُمرت به فمخدوش ناج ، ومكدوس في النار، والذي نفس أبي هُريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً"** [2] .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة، فقال صلى الله عليه وسلّم: **"يا عائشة أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حين يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب، فإما أن يُعطى بيمينه أو يُعطى بشماله، وحين يخرج عنق النار فينطوي عليهم،**

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (183)، كتاب الإيمان، باب: رؤية المؤمنين ربهم، ص 399/1.
[2] المصدر السابق: رقم (195)، كتاب الإيمان، باب: شفاعته (ص) يوم القيامة، ص 443/1.

ويقول ذلك العنق وُكّلت بثلاثة: وُكّلت بمن أدعى مع الله إلهاً آخر، ووُكّلت بمن لا يُؤمن بيوم الحساب، ووُكّلت بكل جبار عنيد، قال: فينطوي عليهم، أي على ثلاثة، ويرمي بهم غمرات النار، قال: لجهنم جسراً أدق من الشع، وأحدُّ من السيف، عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله تعالى، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب، والملائكة يقولون: يا رب سلّم، سلّم، فناجٍ مُسلم، ومخدوش مُسلم، ومكوّر في النار على وجهه"[1].

انظر إلى حالك، وأنت تزحف عليه، وتصعد إليه في ظُلمات بعضها فوق بعض، لا ترى نوراً إلا لغيرك، وأنت مُثقل الظهر بأوزارك، تلتفت يميناً وشمالاً إلى الخلق، وهم يتهافتون في النار، والرسول صلى الله عليه وسلّم يقول: يا رب سلّم، سلّم، والزفرات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق، فكيف بك لو زلّت قدمك ولم ينفعك ندمك، فناديت بالويل والثبور، وقلت: هذا ما كنت أخافه فيا ليتني قدمت لحياتي، يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً، يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً، يا ليتني نسياً منسياً، يا ليت أمي لم تلدني.

وأنت تنظر إلى من مرّ بجوارك على الصراط فترى من يمر مثل البرق، ومن يمر كطرف العين، ومن يمر كانقضاض الكواكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر سعياً، ومنهم من يمر يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً.

وتكون الأنوار عليهم على قدر أعمالهم واسراعهم، فمن كانت سُرعته كالبرق كان نوره كالجبل الأشم، ومن كانت سُرعته كطرف العين كان نوره مثل النخلة، ومن كانت سُرعته كانقضاض الكواكب

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (24674)، ص 430/17 – حم 110/6.

كان نوره من أعلاه إلى أسفله، ومن كانت سُرعته كالفرس السريع كان نوره إلى ترقوته، ومن كانت سُرعته كشد الرحل كان نوره إلى صدره، ومن كان يسعى سعياً كان نوره إلى حقويه، ومن كان يمشي مشياً كان نوره إلى ركبتيه، ومن كان يزحف على بطنه كان نوره إلى قدميه، ومن كان يزحف فتمسه النار يكون النور على قدم ولا تكون على القدم الآخر، والمنافق يُحرم النور الذي معه قبل المرور إلى الصراط، فلا يرى نوراً، ويمشي في الظلام، فينادي على المؤمن انتظر حتى ألتمس نورك، فيُقال له ارجع وراءك فالتمس نوراً فيرجع فيسقط في النار [1].

ثامناً: الشفاعة: عرّفها أهل اللغة بأنها الوسيلة والطلب والدعاء [2].

وعند أهل الشرع: بأنها سُؤال الخير للغير.

والشفاعة من مظاهر الرحمة الإلهية التي يشمل ويغمر بها الله سُبحانه وتعالى العُصاة والمذنبين من خلق، وهي في نفس الوقت مكرمة للرسول محمد صلى الله عليه وسلّم، في أن يشفع لأمته.

كذلك للأنبياء، وللعلماء، والشهداء، والصالحين، كرامة الشفاعة في أقوامهم وأهلهم من أصحاب الكبائر.

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مُشفّع، ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر"** [3].

---

1 انظر: د. مصطفى مراد: المحكمة الإلهية، ص 151.
2 انظر: ابن منظور: لسان العرب، ص 3/ 333.
3 أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4308)، كتاب الزهد، باب: ذكر الشفاعة، ص 1440/2.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"خُيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أُمتي الجنّة، فاخترت الشفاعة، لأنها أعم وأكفا، أترونها للمتقين، لا، ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين"** [1] .

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لكل نبي دعوة مُستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأُمتي، فهي نائلة من مات منهم لا يُشرك بالله شيئاً"** [2] .

قال تعالى: **﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾** (سورة الإسراء: 79) .

(المراد بالمقام المحمود في الآية، هو مقام الشفاعة العظمى يوم القيامة، ليُريح الناس من الكرب الشديد في موقف الحساب) [3] .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً، كُل أُمة تتبع نبيها، يقولون يا فلان: اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلّم، فذاك يوم يبعثه المقام المحمود" [4] .

---

[1] المصدر السابق: رقم (4311)، ص 1441/2.
[2] المصدر السابق: رقم (4307)، ص 2/ 1440.
[3] التفسير الوسيط للقرآن الكريم: د. محمد سيد طنطاوي، ص 411/8.
[4] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (4718)، كتاب التفسير، باب: (عسى أن يبعثك ...)، ص 1461/3.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلّت له شفاعتي يوم القيامة"** [1] .

وهناك كثير من الأحاديث تناولت أمر الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلّم.

أنواع الشفاعة:

تحدث العُلماء عن أنواع الشفاعة فذكروا أنها مُتنوعة متعددة:

النوع الأول: الشفاعة العُظمى، وهي الخاصة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلّم.

النوع الثاني: شفاعته في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم.

النوع الثالث: شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنّة.

النوع الرابع: شفاعته في أن يُدخل الجنّة أقواماً بدون حساب.

النوع الخامس: شفاعته في تخفيف العذاب عمن يستحقه.

النوع السادس: شفاعته أن يُؤذن للمؤمنين جميعاً بدخول الجنّة.

النوع السابع: شفاعته في أهل الكبائر من أمته.

النوع الأول: عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلّم بلحم فدُفع إليه منها الذراع، وكانت تعجبه فنهس منها نهسة، ثم قال: **"أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مما ذاك، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يُسمعهم الداعي ويُنفذهم البصر، وتدنو**

[1] المصدر السابق: رقم (4719)، ص 1461/3.

الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، ولا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه، ألا ترون ما قد بلغكم؟، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس لبعض، أبوكم آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من رُوحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي، نفسي، نفسي ، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسمّاك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا ، فيقول نوح: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا ، فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثل، وذكر كذباته، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا ، فيقول لهم موسى: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أُؤمر بقتلها ، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، قال: هكذا هو، وكلّمت الناس في المهد، فاشفع لنا

إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، لم يذكر ذنباً، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلّم، فيأتون فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا، فأقوم تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليَّ ويُلهمني على محامده، وحُسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي، فيُقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأقول: يا رب، أُمتي أُمتي، يا رب، أُمتي أُمتي، يا رب، أُمتي أُمتي، فيُقال: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنّة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، لما بين مصراعين من مصارع الجنّة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى"[1] .

النوع الثاني والثالث: يندرجان في النوع الأول.

النوع الرابع: الشفاعة في أقوام يدخلون الجنّة بغير حساب:

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: **"يدخل الجنّة من أُمتي زُمرة هي سبعون ألفاً، تُضيء وجوههم إضاءة القمر"** فقام عُكاشة بن محصن الأسدي يرفع نُمرةً عليه، قال: "أدع الله لي يا رسول الله أن يجعلني منهم" فقال: "اللهم اجعله منهم" ثم قام رجل

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (9589)، ص 262/9 – حم 435/2.

من الأنصار فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"سبقك عُكاشة"** ([1]) .

النوع الخامس والسادس: يدل عليهما الحديث التالي:

النوع السابع: عن معبد بن هلال العنزي قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة، فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه، يسأل لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو قصرِه، فوافقناه يُصلي الضُحى، فاستأذن فأذن لنا وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة، فقال: يا أبا حمزة، هؤلاء إخوانك من أهل البصرة، جاؤوك يسألونك عن حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد صلى الله عليه وسلّم قال: "إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلّم، فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيُؤذن لي، ويُلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخرُّ له ساجداً، فيُقال: يا محمد ارفع وقل يُسمع لك، وسل تُعط، واشفع تُشفّع، فأقول: يا رب أُمتي أُمتي، فيُقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (5811)، كتاب اللباس، باب: البرود والحبرة والشملة، ص 1855/4.

المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً فيُقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسل تُعط، وأشفع تشفع، فأقول: يا رب أُمتي أُمتي، فيُقال: انطلق، فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فانطلق فافعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخرُّ له ساجداً، فيُقال: يا محمد، وقل يُسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أُمتي, أُمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى، أدنى، أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل"، فلما خرجنا من عند أنس، قلت لبعض أصحابنا، لو مررنا بالحسن، وهو متوارٍ في منزل أبي خليفة، فحدثناه بما حدثنا أنس بن مالك، فأتيناه فسلّمنا عليه فأذن لنا، فقلنا له: يا أبا سعيد، جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه فحدثناه بالحديث، فانتهى إلى هذا الموضع، فقال: هيه فقلنا: لم يزد لنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلوا، قلنا يا أبا سعيد فحدثنا، فضحك وقال: خلق الإنسان عجولاً، ما ذكرته إلا وأنا أُريد أن أُحدثكم كما حدثكم به، وقال: "ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيُقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تعطه، واشفع تُشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأُخرجن منها من قال لا إله إلا الله" [1].

ومن كرم الله يوم القيامة أنه يُشفّع غير النبي محمد صلى الله عليه وسلّم، فيقبل شفاعتهم.

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: رقم (7510)، كتاب التوحيد، باب: كلام الرب عز وجل يوم القيامة، ص2342/4.

"فهذا إبراهيم عليه السلام وهو يجوز على الصراط يرى بعض المسلمين يتساقطون في النار، وتخطفهم الملائكة بالكلاليب والخطاطيف، فيقول: يا رباه، فيقول الرب جل وعلا يا لبيكاه، فيقول إبراهيم: يا رب حرّقت بنيَّ، فيقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه ذرة أو شعيرة من إيمان"[1]، رواه حُذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلّم.

وعند الإمام الطبراني: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يُشفّع الله تبارك وتعالى آدم يوم القيامة من ذريته في مائة ألف ألف، وعشرة آلاف، آلاف"** .

وعن عبد الله بن شفيق قال: جلست إلى قوم أنا رابعهم، فقال أحدهم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: **"ليدخُلنَّ الجنّة بشفاعة رجل من أُمتي أكثر من بني تميم"** قُلنا سواك يا رسول الله؟، قال: **"سواي"** قلت: أنت سمعته عن رسول الله قال: نعم، فلما قام، قُلت: من هذا؟، قالوا: ابن الجدعاء، أو ابن أبي الجدعاء [2] .

وعن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: **"ليدخُلنَّ الجنّة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومُضر"** فقال رجل: يا رسول الله أو ما ربيعة من مضر قال: **"إنما أقول ما أقول"** [3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي"**[4].

[1] أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب: رقم (5294)، ص 332/4.
[2] أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب: رقم (5295)، ص 332/4.
[3] أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب: رقم (5296)، ص 332/4.
[4] المصدر السباق: رقم (5300)، ص 333/4.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"أشفع لأُمتي حتى يُناديني ربي تبارك وتعالى، فيقول: أقد رضيت يا محمد، فأقول: أي رب قد رضيت"**[1].

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلّم ذات يوم فصلى الغداة ثم جلس حتى إذا كان من الضُحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلّم وجلس مكانه حتى صلى الأولى (أي صلاة الظهر)، والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبي بكر رضي الله عنه سل رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما شأنه؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط، فقال: "نعم عُرض عليّ ما هو كائن من أمر الدنيا فجُمع الأولون والآخرون بصعيد واحد، ثم يُقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يُقال: ادعوا الأنبياء فيجيء النبي معه العصابة، والنبي معه الخمسة والستة، والنبي ليس معه أحد، ثم يُقال: ادعوا الشهداء، فيشفعون فيمن أرادوا، فإذا فعلت الشهداء ذلك يقول الله جل وعلا أنا أرحم الراحمين، يا ملائكتي أدخلوا جنتي من كان لا يُشرك بي شيئاً، فيدخلون الجنّة ثم يقول الله تبارك وتعالى: أنظروا في النار هل فيها من أحد عمل خيراً قط، فيجدون في النار رجلاً، فيُقال له هل عملت خيراً قط فيقول لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع، فيقول الله: اسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدي ثم يخرج من النار آخر فيُقال له: هل عملت خيراً قط، فيقول: لا غير أني كُنت أمرت ولدي إذا مت فأحرقوني بالنار ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل اذهبوا بي إلى البحر فذروني في الريح،

[1] المصدر السابق: رقم (5299)، ص 333/4.

فقال الله: لم فعلت ذلك، قال: من مخافتك، فيقول: انظر إلى مُلك أعظم مَلِك فإن لك مثله وعشرة أمثاله، فيقول: لِمَ تسخر بي وأنت الملك فذلك الذي ضحكت به من الضُحى" (1) .

حتى العمل الصالح، والعبادة يشفعان للإنسان: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفّعني فيه، قال: فيشفعان"** (2) .

ما المنجيات من أهوال القيامة:

الجواب: ومنهم المتقون المحسنون المخلصون المقربون: قال جل ذكره: ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون، لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون، لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون**﴾ (سورة الأنبياء:**101ـ 103**) .

ومما يُنجي من أهوال القيامة: تفريج الكُرب عن الأخ المسلم: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "من نفس عن مسلم كُربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة " (3) .

ومما يُنجي من أهوال هذا اليوم: إنظار المعسر أو الوضع عنه أو التجاوز عنه: وهذا العمل هو الأولى بالنجاة من هول القيامة.

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (15)، ص 172/1 – حم 5/1.

[2] المصدر السابق: رقم (6626)، ص 6/ 188 – حم 174/2.

[3] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2699) كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل الإجتماع على تلاوة القرآن، ص 6 / 188.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "حُوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يُوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يُخالط الناس، وكان مُوسراً، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: أنا أولى بذلك منك، تجاوزوا عن عبدي" (1).

وعن النبي صلي الله عليه وسلّم أنه قال: "أن رجلاً مات فدخل الجنة، فقيل له: ما كُنت تعمل؟ فقال: إني كنت أبايع الناس، فكنت أنظر المعسر، وأتجاوز في السكة، أو في النقد فغفر له" (2).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أنه طلب غريماً له فتوارى عنه، ثم وجده فقال: إني معسر، قال: آلله، فقال: آلله، قال: فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: " من سره أن يُنجّيه الله من كُرب يوم القيامة فلينفس عن معسر، أو يضع عنه " (3)،

هؤلاء الذين نجتهم أعمالهم الصالحة من الفزع الأكبر.

عن عبد الرحمن بن سُمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال: " إني رأيت البارحة عجباً:

- رأيت رجلاً من أُمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بِرّه بوالديه فردَّ عنه.
- ورأيت رجلاً من أُمتي قد بُسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه، فاستنقذه من ذلك.
- ورأيت رجلاً من أُمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلّصه من بينهم.

[1] المصدر السابق: رقم (1561) كتاب المساقاة والمزارعة، باب: فضل إنظار المعسر، ص 4 / 174.
[2] المصدر السابق: رقم (28 / 1560)، ص 172/4.
[3] المصدر السابق: رقم (1563) كتاب المساقاة والمزارعة، باب: فضل إنظار المعسر، ص 4/ 174.

- ورأيت رجلاً من أُمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم.
- ورأيت رجلاً من أُمتي يلهث عطشاً كلما ورد حوضاً مُنع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه.
- ورأيت رجلاً من أُمتي والنبيون قعود حلقاً، حلقاً كلما دنا لحلقة طردوه، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده بجنبي.
- ورأيت رجلاً من أُمتي من بين يديه ظُلمةٌ، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها، فجاءته حجته وعُمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور.
- ورأيت رجلاً من أُمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم، فقالت: يا معشر المؤمنين وأدخلاه في النور.
- ورأيت رجلاً من أُمتي يتقي شرر النار ووهجها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه وظلاً على رأسه.
- ورأيت رجلاً من أُمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة.
- ورأيت رجلاً من أُمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حُسن خُلقه فأخذ بيده فأدخله على الله.

- ورأيت رجلاً من أُمتي قد جاءته صحيفته من قِبل شماله فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها عن يمينه.
- ورأيت رجلاً من أُمتي قد خفّ ميزانه فجاءته أفراطه [1]. فثقلوا ميزانه.
- ورأيت رجلاً من أُمتي قائماً على شفير جهنم فجاءه وَجَلُه فاستنقذه من ذلك ومضي.
- ورأيت رجلاً من أُمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار.
- ورأيت رجلاً من أُمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حُسن ظنه بالله فسكن رعده وثبت ومضي.
- ورأيت رجلاً من أُمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة لا إله إلا الله، ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة " [2].

وينجيك من هذه الأهوال ستر الناس في هذه الحياة، قال النبي صلي الله عليه وسلم: " لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة " [3].

ثم يكون بعد ذلك الجنّة أو النار.

[1] أولاده الذين ماتوا صغاراً
[2] أخرجه الهيثمى في مجمع الزوائد: ص 7 /179.
[3] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2590)، كتاب البر والصلة، باب: تحريم الغيبة، ص 6 / 110.

الفصل الثالث

الجـنّــة والنـــار

سأتناول في هذا الفصل (بإذن الله) الحديث عن فكرة النعيم والعذاب في الحياة بعد البعث والحساب عند الأُمم السابقة والأديان غير الإسلام، ثم أُفصّل الأمر عند المُسلمين، مُبيناً أن هذه القضية من القضايا الملحة في تفكير الإنسان، حتى يُكافأ المحسن الطائع ويُعاقب المُسيء العاصي.

وسيكون الحديث من خلال: توطئة ومبحثين:

المبحث الأول: عذاب النار.

المبحث الثاني: نعيم الجنّة.

توطئة:

الجنّة والنار: قد يسأل كثير من الناس أنفسهم أو غيرهم هذا السُؤال، لماذا لا يُسوّى حساب الناس هنا في هذه الحياة.

ولماذا يُحالون إلى ذلك الجزاء المعلق الذي ربما لا يقع، وكيف لمن يغرس في مغارس الخير، كيف له بالصبر، وبالبصر الطويل الذي يستنفذ عُمره، ويصحبه في قبره، وينتقل معه إلى موقف الحساب، كيف له بهذا الصبر على فرض أن البعث ملء يقينه، فإذا كان شاكاً في البعث، أو ذاهلاً عنه، وما أكثر الشاكين والذاهلين، فمن أين له الصبر الذي يحمي صدره من أن تنهشه دواعي القلق، والملل، وتطاول الأيام.

ثم كيف لمن يزرع الشر ويُثمر السوء أن يُنتظر به هذه الآماد الطويلة، وتُحال جرائمه إلى هذا اليوم الذي يطول بالناس انتظاره، والذي لا يقع إلا بعد أن يموت الناس ويُبعثوا بعثاً جديداً.

إنه لمن حُسن التربية أن يُبادر بالجزاء على المحسن والقبيح، ليزداد المحسن إحساناً، وليرعوي المسيء عن إساءته، هذا بعض ما يتدافع في كثير من الصدور، ويتردد على كثير من الشفاه، وتتحرك به كثير من الأقلام، عند بعض أهل الكتاب، وعند غيرهم كثير من غير أهل الكتاب، قديماً، وحديثاً.

عُرف عن اليهود أنهم لم يعتقدوا في الجزاء الأُخروي، ولا في حياة أُخرى بعد الموت، وعقابهم وثوابهم مقصورين على الحياة الدُنيا.

وكثير من فلاسفة اليونان وعلى رأسهم "أبيقور" لا يعتقدون بحياة بعد الموت ولا جزاء ولا عقاب، وأن الإنسان كالحيوان يدور دورته في الحياة ثم يُطوى في لفائف العدم.

والفلسفة المادية في كل عصورها القديمة والحديثة قائمة على أنه لا حياة بعد الموت، وأن هذه الحياة تُعطي الناس بقدر ما تأخذ منهم، أي أن أعمالهم تحمل في طبيعتها الجزاء المناسب لكل عمل، فالعمل الطيب يعقبه الرضا والسرور، والعمل الخبيث يُسلّم إلى الحُزن والألم.

وهكذا وقف كثير من الحكماء والفلاسفة بالحياة الإنسانية عند هذه الحياة الدُنيا، وسوّوا حسابهم على هذا التقدير، فلم يرجوا بعد الموت حياة، ولم يتوقعوا حساباً، ولم يطمعوا في جنة أو يخافوا ناراً.

هذا ليس حُكماً عاماً على كل الحُكماء والفلاسفة، لهذا وجدنا كثير من الفلاسفة والحُكماء الماديون يهربون، ولكن إلى قضايا أكثر تعقيداً، منهم من هرب إلى فكرة تناسخ الأرواح، الذي تنتقل فيه الأرواح من جسد إلى جسد، فتنال الجزاء فيه نعيماً أو عقاباً، وهُناك من يهرب إلى فكرة وعقيدة الرجعة كما تقول الشيعة الإمامية الذين يُخالفون بهذا القول ما عليه جُمهور المُسلمين مُخالفة صريحة، وهذه العقيدة قائمة على أن الله سُبحانه وتعالى يُعيد أقواماً مُعينين وليس كل الناس من الموت إلى الحياة الدُنيا، في نفس صورهم التي كانوا عليها، فيُعز فريقاً ويُذل فريقاً، يُعيد الحق إلى أهله، فينتقم من الظالمين لحساب المظلومين، هذا يكون في أشخاص معينين، لا في كل الناس، وإلا كان بعثاً.

نعود مرة أُخرى إلى سؤالنا، لم لا يُسوّى حساب الناس في هذه الدُنيا؟

يقول تعالى: ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الأعراف: 169) .

ويقول أيضاً: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت: 64) .

ويقول السيد المسيح: لا تكنزوا لكم كُنوزاً على الأرض، حيث يُفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل اكنزوا لكم كُنوزاً في السماء حيث لا يُفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون، لأنه حيث يكون قلبك، يكون كنزك أيضاً [1] .

إنه لو لم يكن هذا اليوم واقعاً لتمنى الناس وقوعه، إذ به تصح أوضاع الناس في الحياة، ويعتدل ميزان العدل بينهم.

فهذه الصفوف الطويلة العريضة التي تملأ وجه الأرض من أولئك المرضى والزّمنى الذين رمتهم الحياة بالآفات منذ وُلدوا، ومن أولئك المحرمون والمقهورين والمظلومين الذين استبد بهم الأقوياء وتسلط عليهم الظالمون، هذه الصفوف لا تجد في حياتها ملاذاً تلوذ به، ولا مالاً تتحول إليه، ولولا أنها ترمي بأبصارها إلى ما بعد هذه الحياة، ولولا أنها تأمل فيما تلقى من تعويض في هذا اليوم، يوم القيامة لاستبدّ بها اليأس، ولجثم على صدرها همٌّ ثقيلٌ، وبلاءٌ عظيمٌ.

ولكن ماذا لو وقع الجزاء في الدُنيا ؟

ونحن نسأل على أي وجه يُسوّى هذا الحساب؟

الفقير ينال نصيبه من الغني، والمريض يُلبس ثوب العافية، والمقتول يعود إلى الحياة ليقتل قاتله، والمظلوم يُصبح ظالماً، والمغلوب يُمسي غالباً .

[1] الإنجيل: إنجيل متى، الإصحاح السادس، 22/19، ص 7.

فأي حياة هذه الحياة، إنها ليست الحياة التي يصلح فيها شأن الناس، ويتحرك فيها وجودهم.

ماذا يكون لو أن المحسن وجد جزاء إحسانه حاضراً فورياً، إنه يتحول من محسن يُقدر الإحسان ويحترم الفضيلة ويعشق الخير إلى تاجر يبيع بالدراهم والدنانير.

وكذلك المسيء الذي يرتكب المنكرات، من قتل، وسرقة، واعتداء على الناس، واستباحة دمائهم وأموالهم، إنه لو وجد عقابه فورياً لما أقدم على شيء من هذا، لأنه يعلم أن عين السماء تراه، وأن يدها لا تقصر عنه، وأنه لو كان عقابها معجلاً لبادره العقاب بعد أن يفرغ من جُرمه وقبل أن يبرح مسرح جريمته.

ما الحياة، وما طعمها، إذا خلت من الشرور، إنها لن تكون حياة الناس، ولا دنيا البشر، بل هي حياة الملائكة، أو عالم الجماد، والناس ليسوا ملائكة ولا جماداً، وإنما هم بشر، فيهم المسيء، وفيهم المحسن، ومنهم الطيب، ومنهم الخبيث، الإنسان ذاته يُحسن ويُسيء، وليس في الناس الطيب المحصن ولا الخبيث الخالص، وإنما الناس هذا وذاك، والإنسان من هذا ومن ذاك.

إن الجزاء الفوري هو مناولة يد بيد، فليس فيه مخاطرة كالتي تقع في بيع العاجل بالآجل، وكون الآجل أضعافاً مضاعفة للعاجل، لا يُرفع عنه خطر المخاطرة، وخاصةً ذلك الآجل الطويل الذي يمتد أزماناً لا يعرف المرء مداها، والذي تقع فيه أحداث مذهلة لا يمكن التنبؤ بعواقبها، وخاصة أنه حساب يقتضي المرء حسابه عند الموت، وبعد البعث من الموت.

إن الإيمان وحده هو الذي يكفل للجزاء الآجل قيمة، ويجعل له وجوداً يتعامل الإنسان على حسابه، وبغير هذا الإيمان لا يُمكن أن يقبل عاقل بيع درهم عاجل بقناطير آجلة، لأنه لا مُحصّل

لها بعد هذا الآجل الطويل، وبعد هذه الأحداث العجيبة إلا إذا كان هناك إيمان وثيق بالبعث وبالجزاء.

والجزاء المؤجل ثواباً أو عقاباً إنما يتعامل به العقلاء الذين يحكمهم عقلهم أكثر مما تتحكم فيهم شهواتهم، فالطفل يُعطيك كل ما معه حتى ملابسه في سبيل قطعة الحلوى، لأن قطعة الحلوى هذه صالحة لأن تُؤكل في الحال، والصبي غير الطفل، إنه تستبد به شهوة الحلوى الحاضرة كل هذا الاستبداد، فهو يُساوم ويُنازع فيما يأخذ ويُعطي، وهكذا كلما درج الإنسان في مدارج الرشد كلما رجع إلى عقله، وطال النظر والتقدير فيما يعود عليه من ربح أوفر في العاجل أو الآجل.

وإنك لو أُتيح لك أن تتفحص أمر هؤلاء وهؤلاء، وجدت أن أولئك الذين آثروا العاجل على الآجل هم دون من آثروا الآجل على العاجل عقلاً وتقديراً للأُمور، إنهم ما زالوا في دور الطفولة، وإن كانوا في صورة الرجال.

أنظر إلى الرسالات السماوية الثلاث، تجد دعوتها إلى العمل للآخرة، وانتظار الجزاء الحسن فيها للأعمال الصالحة، وتوقي العذاب باجتناب مواقع السوء في الدُنيا، تجد أن هذه الدعوة تختلف باختلاف الزمن، وتقدم الحياة الإنسانية، وتدرج العقل نحو الرشد والكمال.

فالديانة الموسوية لم تكن تذكر إلا لمحات خاطفة عن الحياة الآخرة، وعن الثواب والعقاب فيها، حتى لقد كانت التوراة لا تتحدث إلا حديثاً عابراً عن الحياة الآخرة، وما فيها من نعيم وعذاب.

تعلق اليهود بالماديات تعلقاً كبيراً، حتى تحولت حياتهم إلى مادة بدون روح، على كل المستويات.

حتى جاء المسيح عليه السلام في ظل هذه الحياة المادية الغليظة، فكانت دعوته، دعوة صارمة في التخفف من الدُنيا، والزُهد في زخارفها، والاتجاه إلى الله وادخار الأعمال الصالحة عنده ليوم الوقت المعلوم.

دعوة تختلف تماماً عن منهج التوراة، فالتوراة كل ما فيها تعامل "فوري" وجزاءً عاجل، والإنجيل كل ما فيه تعامل مع الجانب الروحي، وجزاء مؤجل يلقاه يوم القيامة، لهذا وجد اليهود في دعوة المسيح هدماً لكل ما شيدوه على مدار التاريخ، فقاوموا دعوته أشد مقاومة، ووقفوا في وجهها وقفة شرسة، وما زالوا بالمسيح يطاردونه، ويرمونه بالزور والبُهت حتى دفعوا به إلى يد الجلاد وساقوه إلى ساحة الموت [1] لولا عناية الله به.

نعود مرة أخرى إلى الحديث عن الجنّة والنار، إنهما كلمتان تثيران في النفس كثيراً من المشاعر، وتبعثان في الذهن صُوراً وأحداثاً شتى، تتفاوت بقدر مفهوم اللفظين، فمن النعيم الوارف والنسيم الهفاف، والبرودة، والنشوة، وحرارة الحياة، ولذة العيش، إلى مخيم النيران، وأصوات المستغيثين، وصراخ المعذبين، وروائح المحترقين، ولفح اللهيب، والإحساس بالألم المضني، وانشغال المرء في التفكير في كيفية الخلاص من هذا الوضع الرهيب.

الجنّة والنار دار قرار العباد، بعد أن خلص الحساب وانتهى، وقضى الرحمن فيمن صدّق رُسله واستجاب لدعوته، وآمن به، وبين من حارب رُسله، وأنكر دينه، وكفر به.

[1] انظر: قضية الألوهية: عبد الكريم الخطيب، ص 344.

من الأمور العجيبة، والملفتة للنظر، والداعية للتفكير:

أن لفظ الجنّة بكل مفرداتها وردت في القرآن الكريم 154 مرة.

وأن لفظ النار بكل مفرداتها وردت في القرآن الكريم 154 مرة.

وأن لفظ الحياة وردت في القرآن الكريم 145 مرة.

ولفظة الموت بكل مفرداتها وردت في القرآن الكريم بنفس العدد 145 مرة.

وأن لفظة البعث والصراط وردت كل واحدة منها في القرآن 45 مرة.

وأن الجحيم والعقاب وردت كل واحدة منهما في القرآن الكريم 26 مرة.

وأن لفظة الدُنيا والآخرة وردت كل منهما في القرآن الكريم 115 مرة.

وأن لفظة الجزاء وردت في القرآن الكريم 117 مرة.

أما لفظة المغفرة فقد وردت في القرآن ضعف لفظة الجزاء أي 234 مرة.

هل هذا كله وغيره ذات دلالات أم لا؟ إنه لأمر عجيب، والباحث في القرآن الكريم سيجد عجباً، لقد أقام القرآن الكريم صرحاً عظيماً في دعوته للناس، تحذير وترهيب، ودعوة وترغيب، حذرهم من النار ورغّبهم في الجنّة، أظهر لهم ألوان العذاب، وبين لهم صُنوف النعيم، إلا أن جبلة البشر تأبى الانصياع للحق في كثير من الأحيان، فيهوون العناد ويتمسحون بالباطل، دحضاً للحق، حتى إذا وقع الحق ورأوه رأي العين قالوا: ربنا أرجعنا نعمل صالحاً، هيهات.

يقول تعالى: ﴿ **وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ، فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ، لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ، وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ، إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ**

إِنْشَاءً، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا، عُرُبًا أَتْرَابًا، لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ، ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ، وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ، فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ، لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ، وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ، قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ، لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ، فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ، هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (سورة الواقعة: 27-56) .

ويقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ، خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ، لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (سورة الحاقة: 19-37) .

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ، عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ، تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً، تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ، لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ، فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ (سورة الغاشية: 1-16) .

لقد صورت الديانات نعيم الآخرة بأنه فوق أن يصف الواصفون، أو تُحيط به الظنون، كذلك فإنها صورت عذاب الآخرة بأنه العقاب الذي لا يُحيط به وصف، ولا يدركه خيال.

إن الآخرة غير الدُنيا، وما في الآخرة غير ما في الدُنيا .

في الحياة الدُنيا تتحرك الأشياء كلها في تثاقل وبُطء، حتى كأن كل شيء مشدود إلى قيد، لأن عالم المادة عالم سدود وقيود، تقوم فيه الحواجز الكثيفة من شرق وغرب، وشمال وجنوب، ومن فوق ومن تحت، فالهواء وهو أكثر أشياء الأرض حرية وانطلاقاً تُمزقه الحواجز، وتلطمه الجبال وناطحات السحاب، والماء المتدفق السيال إن سال من منحدر فلا يستطيع أن يقف أو يتحرك إلى الوراء، حتى النفس وخواطرها، وخيالاتها، وحتى الأحلام يقظة ونوماً، تنطلق لحظة وكأنها مطلقة من كل قيد، ثم لا تلبث أن تصطدم بالواقع، وتقع بين يديه.

هذا هو واقع الحياة الدُنيا .

أما الآخرة، فلا حُدود، ولا قُيود، إنها عالم الروح الذي لا يحويه زمان أو مكان، كل شيء ينطلق كيف يشاء إلى ما يشاء.

على هذا كان نعيم الجنّة، وكان عذاب النار، لا حدود للنعيم، ولا حدود للعذاب، كل ما يقع وما لا يقع في الوهم من ألوان النعيم أو صنوف العذاب، فهو حاضر عتيد، لأهل النعيم وأهل العذاب.

إن ما ذكرته الديانات السماوية الثلاث عن نعيم الآخرة لم يكن محل جدل ولا مثار بحث، فإن الناس في باب الخير يقبلون كل شيء مهما كثر، بل يتطلعون إلى المزيد من هذا الخير الكثير، ولهذا

فقد قبل الناس من نعيم الآخرة كل ما جاء به شراع العقائد من إضافات كثيرة لصور النعيم، وإن بلغت ما بلغت من السذاجة، أو الشراهة والنهم.

عكس هذا كان موقف الناس من صُور العذاب وأهواله، فقد فزع لهذا العذاب الغليظ الذي يلقاه المجرمون يوم القيامة، فزع له كثير من الناس، ووقفوا منه موقف الشك والارتياب، حتى لقد أدى ذلك إلى الكفر والإلحاد في كثير من الأحوال.

المبحث الأول

النار وعذابها

في هذا المبحث سأتناول بالحديث عن فكرة النار وعذابها عند الأُمم السابقة،

وعند أهل الأديان السماوية،

مُنتهياً بالحديث عن نظرة الإسلام إليها

ماذا قالت الكتب السماوية عن جهنم وعذابها .

ذكر جهنم في التوراة:

كما أسلفنا سابقاً، لم يُشغل اليهود كثيراً بأمر الآخرة، لهذا كانت آمالهم وأحلامهم مُتجهة إلى الخلاص الأرضي، إلى أرض الميعاد، والصلوات والدعوات، والتراتيل التي تملأ أسفار التوراة، إنما غايتها خلاص إسرائيل وإعادة مجدها السليب.

ومزامير داود وما فيها من نغم حزين ضارع هي صلاة من أجل إسرائيل، لا تجد فيها إشارة واحدة إلى خلاص النفس في الآخرة، ولا ضراعة إلى الله بالنجاة من عذاب الجحيم.

خذ مثلاً: المزمور السابع والعشرين، يقول داود: "**الرب نُوري وخلاصي ممن أخاف، الرب حصنّ حياتي ممن أرتعب، عندما أقترب إلى الأشرار ليأكلوا لحمي، مُضايقي عثروا وسقطوا، إن نزل على جيش لا يخاف قلبي، إن قامت عليَّ حرب ففي ذلك أنا مُطمئن، واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس، أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي لأنظر إلى جمال الرب، وأتفرس في هيكله، لأنني يُخبئني في مظلته في يوم الشر، يسترني بستر خيمته، على صخرة يرفعني والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي، فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف، أُغني وأُرتم للرب**" [1] .

[1] العهد القديم: مزامير داود، المزمور 27/1-5، ص 850.

ويقول في موضع آخر: "**من يقودنا إلى المدينة المحصنة، من يهديني إلى (أروم) أليس أنت يا الله الذي رفضتنا، ولا تخرج يا الله مع جيوشنا، أعطنا عوناً في الضيق، فباطل هو خلاص الإنسان، بالله نصنع ببأس، والله يدوس أعداءنا**" [1] .

إن العقلية اليهودية لم تكن تنظر إلى الله إلا على أنه (إله الجنود)، فهو يُحارب معهم، ويتولى عنهم لقاء الأعداء، وقد أشار القرآن الكريم إلى شيء من ذلك فيما يقص من أنباء (اليهود) مع نبيهم موسى عليه السلام، ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ (سورة المائدة: 24) .

من أجل هذا كان ما تذكره الشريعة اليهودية عن الحياة الآخرة كلمات مقتضبة على رغم ما في التوراة من هذا الإسهاب المغرق في شرح التفاصيل للبديهيات، إن كتاب التوراة لم يقف كثيراً عند الحياة الآخرة، وعند خلود الثواب والعقاب، ولكن هذه اللمحات الخاطفة التي جاءت في الكتاب المقدس عن اليوم الآخر قد أصبحت ذات شأن كبير في آراء الأحبار، فقد صوروا النار على أنها جهنم أو (شاول) وقسموها كما قسموا السماوات والأرض إلى سبع طبقات، تتدرج في درجات العذاب، ولا يدخلها من المختتنين (يقصد اليهود) إلا أخبثهم، وحتى الآثمون الذين يُداومون على الإثم لا يُعذبون إلى أبد الآبدين، بل إن كل من يُلقون في النار يخرجون منها مرة أخرى إلا ثلاث فئات: الزاني، ومن يفضح غيره أمام الناس، ومن يسب غيره [2] .

[1] المصدر السابق: مزامير داود، المزمور 60/9-12، ص 873.
[2] انظر: قصة الحضارة: ول ديورانت، ص 21/14.

ولم يذهب أحبار اليهود إلى أبعد من هذا في وصف النار، وتهويل العذاب الذي يقع على الآثمين فيها أكثر من هذه الكلمات القليلة.

الجحيم في الديانة المسيحية:

البكاء، وصرير الأسنان هي الكلمات التي عبّر بها المسيح عليه السلام عن أهوال يوم القيامة، فلم يُسمع منه غير هذه الكلمات كما تروي الأناجيل، لكن الذين حملوا دعوة المسيح رسموا هذه الكلمات صُوراً مُجسدة لأدوات التعذيب والتنكيل، وضعوا منها ملاحم تتقاتل فيها زبانية جهنم على تقاذف الناس في أتون النار وإنضاجهم على لهيبها.

لقد وقع في تنكير دعاة المسيحية أن الناس لا يقبلون على الله إلا إذا امتلأت قُلوبهم خوفاً وفزعاً من العذاب الذي سيصبه الله على من لا يُؤمن به، ومن لا يستقيم على شريعته.

جميعنا يعلم أن الدين المسيحي دين رقة ورأفة، ولكن رجال الدين والوعاظ الكاثوليك، والبروتستنت في القرون الوسطى كانوا يشعرون أن من الواجب عليهم أن يُروِّعوا الناس بأهوال الجحيم، وكان في الكنائس في هذا الوقت رموز من نوع ما يُمثل المسيح في صُورة قاضٍ وكان في الكثير منها صُور ليوم الحساب، كمثل ضُروب التعذيب التي يلقاها الملعونون تمثيلاً أشد وضوحاً من النعيم الذي يتمتع به السُعداء المقربون في الجنّة.

كان كثير من متصوفة المسيحية يدّعون أنهم رأوا في أحلامهم صُوراً للنار، وقد وصفوها وصفاً جغرافياً، وصوروا ما فيها من عذاب، ونقل إلينا الراهب (تنديل) من رُهبان القرن الثاني عشر، تفاصيل دقيقة لها، فقال: إن في وسط الجحيم يُرى الشيطان مشدوداً إلى مشواة ملتهبة من الحديد

بسلاسل حمراء من شدة الحرارة لا ينقطع له صراخ من فرط الألم، ويداه طليقتان، يمدها ليقبض بها على العُصاة المذنبين، يُحطمهم بأسنانه كما يُحطم العنب، وأنفاسه النارية تجذبهم إلى حلقه الملتهب، ويقذف أعوانه من الشياطين أجسام المذنبين بخطاطيف من الحديد في النار مرة، وفي الماء الزمهرير مرة أخرى، أو يُعلقونهم من ألسنتهم، أو ينشرون أجسامهم بالمناشير، أو يطرقونها بالمقامع على سندان، أو يُلقونها في النار، أو يعصرونها حتى تُصفّى من قطعة من النسيج، وكان الكبريت يُمزج بالنار حتى تزيد رائحته الكريهة من عذاب الآثمين، ولأنه ليس للنار ضُوء فإن الظُلمة المروعة تُنشئ هذه الآلام المختلفة التي لا يُحصى لها عد .

أما الكنيسة نفسها، فلم يصدر عنها رسمياً قول يُحدد مكان النار، أو يصفها، ولكنها كانت تُعلن سخطها على الذين يرتابون في حقيقة نيرانها المادية.

ولا شك أن العقاب هو أُسلوب الحياة في روع الناس عند ارتكاب الشرور، كما أن الثواب هو أُسلوب الحياة أيضاً في دعوة الناس إلى الخير، وإغرائهم به، فإذا أُضيف الثواب والعقاب إلى قوة عالية قاهرة، لا يفلت منها أحد، ولا تخفى عليها خافية، كانت مفعولية الثواب والعقاب ذات آثار بالغة، وكان سُلطانها على النفوس سُلطاناً متمكناً من الأشرار والأخيار جميعاً .

لقد أفسح الرُهبان للخيال في توليد الصُور الطيبة لما في الجنّة، وفي توليد الصُورة البشعة المُهولة لما في النار، حتى قيل إنها نقلت جهنم بكل ما ألفت من خيال إلى واقع محسوس، يعيش بين الناس، فاغراً فاه لابتلاع الآثمين ومرتكبي الخطايا .

لقد استعان رجال الدين بالفنون الجميلة، وخاصة الرسم والنحت في تزيين أسقف الكنائس، وجدرانها بصُور رائعة مُخيفة من مشاهد العذاب يوم القيامة، وقد استجاب الفن لهذه الدعوة، فأخرج للناس أفجع مأساة عرفتها الإنسانية في تاريخها الطويل [1].

الإسلام وعذاب الآخرة:

إن الإسلام رسم صُورة مجسدة ليوم القيامة، أبرز فيها كل لون مُخيف مُفزع، حتى تنفر منها النفوس، وتضمر الكراهية لها، فتعمل على ما يُبعد عنها ويُجنب الوقوع فيها، ولقد رأينا كيف صنع الإسلام لهذا، فلم يدع من صُور التهويل والتخويف بهذا اليوم شيئًا إلا صورته في دقة ووضح، وإلا وضعته موضع التهييج والإثارة.

ومما عُرف عن أسلافنا الأخيار أنهم كانوا إذا مروا بآية عذاب اضطرب لها كيانهم وتشققت لها صُدورهم، وفاضت أعينهم من الدمع حزناً [2].

قال تعالى: ﴿**لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾ (سورة الليل: 14-16).

وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ، نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ، إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ، فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ**﴾ (سورة الهمزة: 5-9).

وقال تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّهَا لَظَى، نَزَّاعَةً لِلشَّوَى، تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى، وَجَمَعَ فَأَوْعَى**﴾ (سورة المعارج: 15-18).

---

[1] انظر: قضية الألوهية: عبد الكريم الخطيب، ص 374.

[2] المصدر السابق: ص، 43.

وقال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ، وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (سورة المدثر: 26-31).

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (سورة ق: 30).

أما عن طعامها وشرابها:

يقول تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ (سورة النبأ: 24).

ويقول تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ، إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ، ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ، ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ (سورة الصافات:62 -68).

وقال تعالى: ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً، تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ، لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (سورة الغاشية: 4-8).

أما عن أدوات التعذيب فيها:

فيقول تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (سورة غافر: 71).

ويقول تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (سورة الحاقة: 32).

ويقول تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ، وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (سورة الحج: 19-22).

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا، هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (سورة الطور: 13-14).

ويقول تعالى: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ، إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ، يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (سورة القمر: 46-48).

أما عن الموكلون بأهلها:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة التحريم: 6).

ويقول تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ، وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (سورة المدثر: 30-31).

أما عن أهل جهنم فهم:

يقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة الأعراف: 36).

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (سورة البقرة: 160-161).

ويقول تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ** ﴾ (سورة المائدة: 36–37).

ويقول تعالى: ﴿ **انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ، انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ، لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ، إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ، كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ** ﴾ (سورة المرسلات 29–34).

ويقول تعالى: ﴿ **الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ، إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ، فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ، ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ، مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ** ﴾ (سورة غافر: 70–74).

هذه آيات وغيرها كثير وكثير، ذكرها الله في كتابه العزيز، وهي تُمثل ألواناً وصُوراً من مشاهد العذاب، وإنه لعذاب أليم تقشعر من تصوره الأبدان، وترتجف له القلوب.

ولزيادة التنكيل بالمجرمين، ومُضاعفة آلامهم وحسراتهم يفتح الله لهم باب الأمل، ويُطمعهم في شيء من الأمن حتى إذا خُيل إليهم أنهم على خُطوة منه رُدوا على أعقابهم، وحيل بينهم وبين ما يشتهون.

قال تعالى: ﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّة أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ (سورة الأعراف: 50).

ومن البلاء الذي يلقاه أهل النار فوق ما هُم فيه من بلاء، أن جهنم ذاتها لا تقف منهم موقف الحياد، بمعنى أنها تجري معهم على طبيعتها بما فيها من طاقات جهنمية لا تتصورها العقول، إنها تتحول يومذاك بما فيها من طاقات حرارية، وبما تحمل في أحشائها من كريه الطعام ووبيل الشراب، وبما في ساحاتها المستعرة من زبانية وسلاسل وأغلال تتحول بكل هذا إلى عدو مبين تطلب وِتْرها عند هؤلاء المساقين إليها، حتى لكأنها إنما كانت تنتظر يومهم هذا، لتجد فيهم طعاماً لها، وكأنما طال انتظارها واشتدت رغبتها، فلما ساقهم سوء عملهم إليها أعملت فيهم مخالبها وأنيابها في حنق وغيظ، فهي إذ تطبق عليهم وتلعنهم ﴿ **تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ** ﴾، وإذا سألها ربها سُبحانه وتعالى ﴿ **هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ** ﴾ .

إن الجحيم الذي صوره القرآن الكريم، لا يعدله أي جحيم من قبله.

وقد ورد في القرآن الكريم كثير من الأسماء والأوصاف لجهنم منها:

الهاوية ــ الشوّى ــ اللظى ــ النار ــ السموم ــ الساهرة ــ الحُطمة ــ الجحيم ــ بئس المصير ــ بئس القرار ــ بئس المهاد ــ بئس الورد المورود ــ جهنم ــ الحافرة ــ دار البوار ــ دار الفاسقين ــ السقر ــ السعير ــ سُوء الدار.

أما ما ورد في السُنة النبوية فالأحاديث كثيرة، إلا أن ما ورد في القرآن الكريم من حديث عن جهنم وعذابها وأوصافها لم يترك مجال لمستزيد .

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " **ناركم هذه التي يُوقد ابن آدم جُزء من سبعين جزءً من حر جهنم** " قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: " **فإنها فُضّلت عليها بتسعة وستّين جزءً كلُها مثل حرّها**" (1) .

عن أبي هُريرة رضي الله عنه، فيما رواه ابن ماجه: عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: " **أُوقدت النار ألف سنة فابيّضت، ثم أُوقدت ألف سنة فاحمرّت، ثم أُوقدت ألف سنة فاسودّت، فهي سوداء كالليل المظلم** " (2) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**يُرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى ينقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الاخدود، لو أُرست فيه السُفن لجرت**" (3) .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " **إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل تُوضع في أخمص قدميه جمرتان وفي لفظ (جمرة) وفي لفظ، له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً**" (4) .

1 أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2843)، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، باب: صفة أهل الجنّة، ص 307/6.
2 أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4320)، كتاب الزهد، باب: صفة النار، ص 1445/2.
3 المصدر السابق: رقم (4324)، ص 1446/2.
4 أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب: صفة الجنّة والنار، ص 2053/4.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: "**يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صُور الرجال، يغشاهم الذُل من كل مكان، فيُساقون إلى سجن في جهنم يُسمى بولَس، تعلوهم نار الأنيار، يُسقون من عُصارة أهل النار طينة الخبال**" [1] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: " **يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذاباً لو كانت لك الدُنيا وما فيها، أكنت مُفتدياً بها، فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صُلب آدم، أن لا تُشرك (أحسبه قال: ولا أدخلك النار) فأبيت إلا الشرك**" [2] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**يُؤتى بأنعم أهل الدُنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في النار صبغة، ثم يُقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط، هل مر بك نعيم قط؟، فيقول: لا والله يا رب**" [3] .

مما سبق من الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة ينتهي بنا المطاف إلى عدة أمور نلخصها فيما يأتي:

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (6677)، ص 231/6 – حم 179/2.
[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (3334)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته، ص 1024/2.
[3] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2807)، كتاب صفات المنافقين، باب: طلب الكفار الغداء، ص 286/6.

أولاً. خلق الله النار لتكون مثوى الكافرين والمتكبرين، والمعاندين، والطُغاة، وتوعدهم الله سُبحانه وتعالى إن لم يعودوا إلى فطرتهم أن يكونوا ممن تُسعر بهم النار، فإن وقود النار يوم القيامة هي الناس والحجارة، ويُخوفهم الله سُبحانه وتعالى من ورود النار من خلال إتباعهم آلهة غير الله لا تدفع عنهم ولا عن نفسها ضراً أو تجلب نفعاً، وستكون هذه الآلهة معهم لتكون هي وهم وقوداً تُسعّر به جهنم.

ثانياً. هذه النار عليها ملائكة خزنة لها، وصفهم الله كما ورد في الآيات بأنهم غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يُؤمرون، هؤلاء الملائكة مُوكلون بأبواب جهنم السبعة كما جاء في النص القرآني، هذه الأبواب جعلها الله طبقات، أسفلها جهنم، ثم فوقها الحُطمة، وفوق الحُطمة سقر، وفوق سقر الجحيم، وفوق الجحيم لظى، وفوق لظى السعير، وفوق السعير الهاوية، وكل باب من هذه الأبواب السبعة أشد حراً من الذي يليه سبعين مرة.

والنار كما هو معلوم دركات، حرها متفاوت في الشدة، لكل داخل نوع من العذاب، والنار يزداد عذابها كلما نزلنا إلى أسفل خلاف الجنّة تعلو درجاتها كلما علونا إلى أعلى.

ثالثاً. من الآيات السابقة والأحاديث النبوية يتضح لنا أن جهنم واسعة شاسعة، وأنها بعيدة القعر، وأن خلقها عظيم جداً حيث تسع لكل ما يُلقى فيها دون أن يظهر منها ما يدعو إلى امتلائها، فهي نهمة لا تشبع، يُكبكب فيها أهلها جماعات، فيغوصون فيها ويختصمون، تنتظر الأفواج الجديدة، وهي تسأل هل من مزيد.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلّم: "**تحاجت الجنّة والنار، فقالت النار: أُوثرت بالمتكبرين، والمتجبرين، وقالت الجنّة: مالي لا يدخلني إلا ضُعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أُعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ، حتى يضع رجله فتقول: قط، قط، قط، فهنالك تمتلئ ويُزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً، وأما الجنّة فإن الله عز وجل يُنشئ لها خلقاً**" [1].

ومما يدل على غورها العميق، وبُعد قعرها، ما رواه أبو هُريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم إذا سمع وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلّم: "**أتدرون ما هذا؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم: قال: هذا حجر رُمي به في النار من سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**" [2].

رابعاً. هذه النار في اشتداد وازدياد، لا تفنيها الأيام، ولا يخبو لها لهيب، أو يخف وهجها، والكافرون في عذابها يصرخون يطلبون تخفيفاً ولو ليوم واحد، إلا أن الحق يرد عليهم قائلاً: ﴿**فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾ (سورة البقرة: 86)، هذه النار الملتهبة المستعرة المسجرة المنتظرة للعاصين المتمردين على أوامر الله، يزداد ألمها وضيقها مما بها من قوة وشدة وتدافع، فاشتكت إلى خالقها أن يُخفف مما بها.

---

[1] أخرجه الإمام البخاري: في صحيحه: رقم (4850)، كتاب التفسير، باب: قوله (وتقول هل من مزيد)، ص 1540/3.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2842)، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، باب: جهنم أعاذنا الله منها، ص 308/6.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضاً، فجعل لها نفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها، وشدة ما تجدون من الحر من سمومها**" [1].

خامساً. ومن مشتملات النار: شَرار ودُخان، والإنسان لا يطيق حر شمس الدُنيا، فكيف بها نار جهنم؟

وما دُخان الدُنيا الذي يأخذ بخناق الإنسان فلا يستطيع التنفس إلى دُخان جهنم، وهم فيها لا يدركون كيف يكفون النار عن أجسادهم، فإذا بالدُخان يخنقهم، وإذا بالسموم تلفحهم، وكل شيء في جهنم مُضخم وكبير.

إن الهواء في جهنم سموم، والريح حارة حارقة، والماء حميم يغلي لا يُطاق من شدة حره، والظل هو اليحموم، وهو قطع من الدُخان الأسود الكثيف، فهو ظل لا يقي ولا يغني من اللهب، شرر جهنم كأنه القصر أو الجمالة الصُفر، وهذا يُضاعف الألم والعذاب، الشرر في ضخامته كالأشجار الكبيرة أو القصر المشيد المبني، أو هو في حجم الإبل الأسود ضخم الجسم، أو الحبال الغليظة التي تُستعمل في السُفن، كل هذا يبعث على الفزع والرهبة، قبل أن يراها الإنسان فكيف بمن يُواقعه.

هذه النار من يدخلها ويبقى فيها بقاء خلود يُصبح من أهلها، فلا دار لهم غيرها، لهذا وصفهم الله سُبحانه وتعالى بقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا**

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4319)، كتاب الزهد، باب: صفة النار، ص 1444/2.

خَالِدُونَ﴾ (سورة الأعراف: 36)، هؤلاء الكفار **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾** (سورة المائدة: 37).

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يُقال لأهل الجنّة، يا أهل الجنّة خُلود لا موت، ولأهل النار: يا أهل النار، خُلود لا موت"** [1].

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيُوقف بين الجنّة والنار، فيُقال: يا أهل الجنّة هل تعرفون هذا، فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: ويُقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون، وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيُؤمر به فيُذبح، قال: ثم يُقال: يا أهل الجنّة خُلود لا موت، ويا أهل النار خُلود لا موت، قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** (سورة مريم: 39) " [2].

هذه النار وصفها الله سُبحانه وتعالى: **﴿وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾** (آل عمران:151).

وقال تعالى: **﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾** (سورة البقرة: 206).

وقال تعالى: **﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾** (سورة ص: 55-56).

سادساً: أهل جهنم هم المعاندون والضالون الذين رفضوا أوامر السماء، ولبوا داعي الشيطان، فكان الانحراف سبيلهم، زين لهم الشيطان سُوء عملهم فاتبعوه، واتبعوا من سلك طريقه من أهل

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6545)، كتاب الرقاق، باب: يدخل الجنّة سبعون، ص 2050/4.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2849)، كتاب: الجنّة وصفة نعيمها، باب: جهنم أعاذنا الله منها، ص 38/6.

الأرض الذين أغراهم إبليس، وصدّق فيهم ظنه، لهذا كثرت المذاهب الباطلة، والمبادئ الضالة، والأهواء المفرِقة، وإن دلت هذه فإنما تدل على سفاهة عقول متبعيها، حتى غدوا أئمةً للضلال في الأرض.

لا يدخل النار إلا من أفنى حياته في مُحاربة الهُدى ونُصرة الباطل والضلال، وبذل كل ما استطاع في سبيل الصد عن طريق الحق، ووقف للدعاة يمنعهم بسُلطانه، وجاهه وماله وجبروته، كما وقف من قبله أتباع إبليس للأنبياء، فآذوهم، وحاربوهم، وسفكوا دمائهم.

ونحن نُؤمن أن الله سُبحانه وتعالى هو أعدل الحاكمين، وأحكم العادلين، لا يترك لعبد من حسنة إلا وضاعفها حتى تغلب على سيئاته، ولا يصل النار عبدٌ إلا بعد ألا يكون قد قدّم لنفسه حسنة عند ربه، وإنما جاء بقراب الأرض أثاماً وخطايا.

وأخطر الداخلين إلى النار هم:

1. أهل الكفر والشرك:

لأن الله سُبحانه وتعالى يقول: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ (سورة النساء: 4).

لهذا فهؤلاء على رأس القائمة للداخلين إلى النار، وهم عندما يدخلون النار يجدون أنفسهم لا حول لهم ولا قوة، يتمنون العودة إلى الحياة الدُنيا لعلهم يُؤمنون ويعملون صالحاً، بعدما رأوا ما كانوا يكذبون به واقعاً أمامهم، ولكن قُضي الأمر: ﴿ **أَنَّهم إِلَيْهَا لاَ يَرْجِعُونْ** ﴾.

إنهم وهم في النار يلومون أنفسهم حتى أنهم ليمقتون ذاتهم لشدة جُرمهم الذي أودى بهم إلى هذه النهاية المخزية، فيُنادون: إن مقت الله أعظم من مقتكم أنفسكم، وسبب ذلك شركهم وكُفرهم.

2. **قُرناء السوء:**

وهم أعوان المجرمين والطغاة، والحكام الظالمين، الذين يتصدرون المجتمعات، يُرهبون الضُعفاء بما لهم من نُفوذ وسيطرة، هؤلاء الزعماء الذين أضلوا أقوامهم وقادوهم إلى محاربة الأنبياء والرسل ووقفوا لدعاة الحق بالمرصاد، يُؤتى بهم يوم القيامة مقرنين بالأصفاد، عليهم سيم الذل والصغار، ويُجللهم العار أمام كل الناظرين.

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: **"ما بُعث نبي، ولا كان بعده من خليفة إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً، فمن وقي بطانة السوء فقد وقي"** [1].

لهذا نبه النبي أمته على الاهتمام باختيار الصاحب المؤمن، والابتعاد عن قُرناء السوء.

قال صلى الله عليه وسلّم فيما يرويه عنه أبو هُريرة رضي الله عنه: **"المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل "** [2].

3. **المنافقون:**

[1] أخرجه الإمام النسائي في سُننه: كتاب البيعة، باب: بطانة الإمام، ص 158/7.
[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (8398) ، ص 307/8– حم 334/2.

النفاق شر تُبتلى به المجتمعات، وداء تُصاب به الأمم، ومرض خبيث إن تمكن من صاحبه أهلكه.

لهذا لم يسلم رُسل السماء من هذا العبث الشيطاني المتمكن في أخلاق بعض الحاقدين، فأعلنوا إتباعهم للدين، ورفضوه في قرارة أنفسهم، وكادوا له، وأسسوا فرقاً تُحسن التآمر مع الأعداء.

هؤلاء المنافقون توعدهم الله بالدرك الأسفل من النار، وخصهم بجانب ليس بالقليل من الآيات في القرآن الكريم فضحت خفاياهم، وأظهرت سريرتهم، وأبانت صفاتهم.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"إن للمنافقين علامات يُعرفون بها: تحيتهم لعنة، وطعامهم نهبة، وغنيمتهم غلول، ولا يقربون المساجد إلا هجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دُبراً، مُستكبرين لا يألفون ولا يُؤلفون، خُشب بالليل، صُخب بالنهار"** [1].

4. المتكبرون:

والكِبر صفة ذميمة كرهها الإسلام، وذمتها الأديان السماوية، ويبغضها الناس، لأنها تُصادم الفطرة السليمة، ولذلك اتصف بها عامة أهل النار، وما منع الكافرين من الإيمان بالرسل، وجعلهم من الخالدين في النار إلا كبرهم.

قال تعالى: **﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾** (سورة الأحقاف:20)

[1] المصدر السابق: رقم (7913)، ص 36/8 – حم 293/2.

عن حارثة بن وهب الخُزاعي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: "... **ألا أخبركم بأهل النار: كل عُتُلٍ جِواظ مُستكبر**" [1].

عن عياض بن عمار رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم ذات يوم فقال: "**وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْرَ له: الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفي له طمع، وإن دق إلا خانه، وبعلٌ لا يُصبح ولا يُمسي إلا وهو يُخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل، والكذب، والشنظير الفحّاش**" [2].

وممن يدخل النار من يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: "**من تعمد عليَّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار**" [3].

كذلك قاتل النفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحق، لقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ (سورة النساء: 93).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**لن يزال المرء في فُسحة من دينه مالم يُصب دماً حراماً**" [4].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (4918)، كتاب التفسير، باب (عتل بعد ذلك زنيم)، ص 1571/3.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2865)، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، باب: صفات أهل الجنّة، ص 330/6.
[3] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (108)، كتاب العلم، باب: اثم من كذب على النبي، ص 61/1.
[4] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (5681)، ص 181/5– حم 94/2.

نفس الشيء الانتحار مما يُدخل صاحبه النار، لأن حياة الإنسان ليست ملكاً له خاصاً به يتصرف فيها كيفما يشاء، فالإنسان خُلق لعبادة الله وطاعته بعيداً عن اليأس والقُنوط، وبالتالي ليس له الحق في أن يضع حداً لحياته متى أراد، لهذا حرّمت الأديان السماوية الثلاثة وعلى رأسها الإسلام الانتحار، وجعلت صاحبه مُخلّداً في النار.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال: **"من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مُخلّداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسم، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مُخلّداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مُخلّداً فيها أبداً"** [1].

كذلك أكل الربا، وهو من أشد الكبائر التي حرّمها الإسلام، وتوعد صاحبها بالخلود في النار، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾** (سورة آل عمران: 130-131).

وحديث أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هُن يا رسول الله، قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"** [2].

والداخلون في النار كثير وكثير:

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (109)، كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، ص 289/1

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6857)، كتاب الحدود، باب: رمي المحصنات، ص 2139/4.

من يكتم ما أنزل الله، إنما يأكل في بطنه النار.

البخيل: سيُطوق بما بخل يوم القيامة.

آكل مال اليتيم: إنما يأكل في بطنه النار.

شقاق الدين: نُصله جهنم وساءت مصيراً.

الصدُّ عن سبيل الله: بشره بعذاب أليم.

منع الزكاة: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ (سورة التوبة: 35).

من أضاع الصلاة: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (سورة مريم: 46)، وهو وادي في جهنم.

الكاسيات العاريات: صنفان من أهل النار لم أرهما.

الشُرط الذين يسوقون الناس بسياطهم، وهم أعوان الحُكام الظلمة المتجبرين.

الذين يشربون في آنية الذهب والفضة.

القاضي الذي لا يعدل بين المتخاصمين.

الذي يُوالي الكافرين على حساب المؤمنين.

المصورون: "**أشد الناس عذاباً عند الله المصورون**" [1].

النمام: "**لا يدخل الجنّة نمام**" [2].

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (5950)، كتاب اللباس، باب: عذاب المصورين، ص 1885/4.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (105)، كتاب الإيمان، باب: (لا يدخل الجنّة نمام)، ص 285/1.

قاطع رحم: **"لا يدخل الجنّة قاطع رحم"** [1].

المؤذي لجاره: **"لا يدخل الجنّة من لا يأمن جارهُ بُوائقه"** [2].

من اقتطع حق غيره: **" من اقتطع حق امرئ مُسلم بيمينه حرّم الله عليه الجنة، وأوجب له النار"** [3].

في هذا اليوم العصيب، المفزع، وهذه المواقف الشديدة، **﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ، كَلَّا إِنَّهَا لَظَى، نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾** (سورة المعارج: 11-15)، في هذا اليوم: **﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾** (سورة الفرقان:14)، **﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ، فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾** (سورة الملك: 10).

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ، قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (سورة المؤمنون: 106-108).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ، قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (سورة غافر: 49-50).

[1] المصدر السابق: رقم (2557)، كتاب البر والصلة، باب: صلة الرحم، ص 89/6.
[2] المصدر السابق: رقم (46)، كتاب الإيمان، باب: لا يدخل الجنّة، ص 213/1.
[3] المصدر السابق: رقم (137)، كتاب الإيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مُسلم، ص 319/1.

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا، وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب: 66).

ومن شدة حسرة أهل النار أن الله يُري كل واحد منهم مقعده في الجنّة، لو كان آمن وأطاع الله.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: " **لا يدخل النار أحد إلا أُري مقعده من الجنّة لو أحسن، ليكون عليه حسرة**" [1] .

وبعد فقدهم الأمل يُنادون على مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ** ﴾ (سورة الزخرف: 77) .

قال تعالى: ﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجنّة أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنيا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** ﴾ (سورة الأعراف: 50-51) .

وقال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجنّة خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذ** ﴾ (سورة هود: 105-108) .

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6569)، كتاب الرقاق، باب: صفة الجنّة والنار، ص 2054/4.

اللهم جنبنا النار، وباعد بيننا وبينها كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم وفقنا لكل عمل يُباعد بيننا وبين النار، ووفقنا لكل عمل يُقربنا إلى الجنّة.

المبحث الثاني

الجنّة ونعيمها

في هذا المبحث سأتناول بالحديث فكرة الجنّة عند غير المُسلمين،

ثم مُفصلاً لشأنها عند المُسلمين،

مُبيناً لأوصافها وأوصاف أهلها مستدلاً

بالقرآن الكريم وما ثبت من صحيح السُنة

الجنّة عند أهل اللغة: البستان، ومنه الجنات، وتُجمع على جنان.

والجنّة الحديقة ذات الشجر والنخل، ولا تكون الجنّة عند العرب إلا وفيها نخل وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك فهي ليست بجنة إنما حديقة [1].

والجنّة شرعاً هي: دار الثواب التي أعدها الله للمتقين.

وكما ذكرنا سابقاً، وردت لفظة الجنّة بكل مشتقاتها في القرآن الكريم 154 مرة، نفس عدد ورود لفظة النار، وهذا من الإعجاز العددي للقرآن الكريم [2].

فالجنّة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة وهو ثواب مستور عنهم اليوم، وسُميت جنة لأن الشجر فيها يستر بعضه بعضاً [3].

وكما تحدث السابقون على الإسلام (من أهل الأديان الأخرى) عن الجحيم، كذلك تحدثوا عن النعيم.

إن هذا النعيم الأُخروي على ما تصوره الناس على مراحل تاريخ الإنسانية، هو واحة الآمال، والأحلام التي امتلأت بها الصُدور في الحياة الدُنيا، فلم تسعف الأيام بتحقيقها، ولم تسعد الأموال بالحصول عليها.

من أجل ذلك كان هذا النعيم على حسب ما تصوره المؤمنون به نعيماً تتحقق فيه كل أحلام الناس، وآمالهم، ينالون منه كل ما عز عليهم أن ينالوه في الدُنيا، من أجل هذا كانت الجنّة في كثير

[1] انظر: ابن منظور: لسان العرب، ص 815/1.
[2] انظر: من آيات الإعجاز في القرآن الكريم: حسني العطار، ص 236.
[3] انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ص 421/1.

من الديانات صُورة مُشرقة عن صُور الحياة الدُنيا التي رضي عنها الناس، وعملوا لها، وطمعوا فيها.

فمثلاً المصريون القُدماء (الفراعنة) ينظرون إلى الجنّة على أنها دار الجزاء الحسن لمن عملوا الصالحات في الدُنيا، ولم يُسيئوا إلى الناس بالقول أو بالعمل، فإذا ماتوا عُرضوا على (أوزوريس) الذي يجلس بين الآلهة للفصل في قضايا الأموات، فمن رجحت سيئاته على حسناته أُلقي به إلى الوحش (أمام بيت) ليفترسه، ومن رجحت حسناته على سيئاته أُخذ به إلى حيث الآلهة وصعدت رُوحه إلى السماء، وأما إذا تعادلت حسناته وسيئاته فلا يفترسه الوحش، ولا ينضم إلى الآلهة بل يُعيَّن للخدمة.

هذا ونعيم الآخرة في العقيدة المصرية القديمة نعيم أبدي خالد، ومن هنا كان استخفاف الفراعنة بالحياة الدُنيا إلى جانب الحياة الآخرة التي أعطوها كل ما يملكون من ملكات عقلية، ومواهب نفسية، وقدرات جسدية.

إن الثواب عند قُدماء المصريين هو في الصُعود إلى السماء، بعد رحلة جمة المخاطر، ليقيم فيها المثابون مع الإله (رع) في سفينته، وهؤلاء الذي يُثابون بالإقامة في السماء يُسمون (الممجَدون) أو (السعداء) والمكان الذي يُقيمون فيه من السماء هو جانبها الشرقي أو جانبها الشرقي البحري، لأن المصريين لاحظوا في هذين الجانبين نُجوماً ثابتة، فأطلقوا عليها اسم النُجوم الخالدة، وجعلوا عندها مكان النعيم الخالد، للذين يصعدون إلى السماء.

هؤلاء الممجَدون عندهم حقول متنوعة، منها حقل يُسمى (حقل الطعام)، من هذا الحقل يتناول الممجَدون أطعمة شهية مُختلفة تتجدد، ولا تنفذ، ومنها حقل يُسمى (يارو) وشجرة جميز عالية تُسمى (شجرة الحياة) يجلس عليها الآلهة ويأكلون منها، هم والممجَدون.

وهو في الجنّة يأكل الخبز مع الآلهة، ويشرب الخمر، وصحته تزداد تحسناً على مر الأيام، فهي اليوم أحسن منها أمس، وتكون غداً أحسن منها اليوم.

ما يهمنا من هذا الكلام هو التقاء تصورات الناس الروحية على فطرة سليمة مع كلمة السماء، وأن يهتدي الناس بفطرتهم إلى الإيمان بالله، وبالبعث وبالثواب والعقاب، مع اختلافنا معهم في كثير الرؤى والشعائر والمعتقدات.

ثم إذا انتقلنا إلى الديانة الموسوية: ما هو موجود بين أيدينا، (وهو خلاف ما نزل على أنبيائهم ورسلهم) نجد حديثاً مقتضباً عن نعيم الحياة الآخرة، وخُلاصة ما عندهم أن النعيم هو الاستقرار في ملكوت الله، وأن الإنسان هُناك في راحة أبدية لا يطرقه طارق من هم أو حزن [1].

ولكن إذا انتقلنا إلى الديانة المسيحية: نجد السيد المسيح يقول لأتباعه: " إني لست شارباً مع أبي هذه الكرمة حتى أشربها معكم تارة أخرى في ملكوت السماوات " [2].

ثم يقول لهم: "ستأكلون وتشربون على مائدة أبي" [3].

ثم يقول لهم: "ما أكثر الغُرف والمساكن عند أبي" [4].

[1] انظر: قضية الألوهية: عبد الكريم الخطيب، ص 461/2.
[2] العهد الجديد: إنجيل متى: الإصحاح 29/26، ص 39.
[3] المصدر السابق: إنجيل لوقا: الإصحاح 30/22 – ص 113.
[4] المصدر السابق: إنجيل يوحنا: الإصحاح 2/14 – ص 144.

هذه أمثلة قليلة أوردتها من الإنجيل مُدللاً على ما يأمل به غير المسلمين من حياة أبدية منعمة في ملكوت السماوات، مع تحفظنا على كثير من معتقداتهم.

الجنّة ونعيمها عند المسلمين:

قال صلى الله عليه وسلّم فيما يرويه عنه أبو هُريرة: (**قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**) (سورة السجدة: 17) " ([1]).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالوا (الصحابة) يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا، ثم رأيناك كففت، فقال: "**إني رأيت الجنّة فتناولت منها عُنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدُنيا**"([2]).

قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾** (الكهف: 107-108).

وقال تعالى: **﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾** (سورة آل عمران: 133).

هذه الجنّة خالدة باقية، لا تفنى ولا تبيد، أهلها خالدون فيها لا يُغادرونها ولا يرحلون عنها، أهلها يسمعون النداء الرباني حين دخولهم الجنّة يُناديهم: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4328)، كتاب الزهد، باب: صفة الجنّة، ص 1447/2.
[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (748)، كتاب الأذان، باب: رفع البصر إلى الامام، ص 232/1.

أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿ **وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (سورة الأعراف: 43) ([1]) .

فالجنّة كلمة تحمل كل معنى جميل يطوف بخاطر الإنسان، ولا يتأتى لبشر أن يحصر ما أعده الله لعباده المتقين في الجنّة من أنواع النعيم.

ولقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الأسماء والصفات للجنة منها:

جنة الخلد ــ دار السلام ــ دار القرار ــ دار المتقين ــ دار المقامة ــ الدار الآخرة ــ الحسنى ــ الفضل ــ جنات عدن ــ جنات الفردوس ــ جنة المأوى ــ جنة نعيم ــ جنة عالية ــ روضات الجنات وغيرها كثير.

ونعمة الجنّة نعمة عظيمة، لا تُقاس بشيء من متاع الدُنيا، ولو أُوتي الإنسان فيها حظاً لم يبلغه أحد، وكل نعمة إلى جانب الجنّة مهما كانت، هي مُحتقرة، تافهة، لا يُؤبه بها، ودُخول الجنّة كرامة لا تعدلها كرامة، قال عليه السلام: "**والله ما الدُنيا من الآخرة، إلا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه هذه في اليم فلينظر بم يرجع**" ([2]) .

أول من يدخل الجنّة: أول من تفتح له الجنّة أبوابها رسولنا مُحمد صلى الله عليه وسلّم، ثم تدخل من بعده أُمته، فهي أول الأُمم دُخولاً الجنّة.

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (11844)، ص 300/10. - حم 95/3.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2858)، كتاب الجنّة، وصفة نعيمها، باب: جهنم أعاذنا الله منها، ص 316/6.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلّم: " **أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يَقرع باب الجنّة** " [1] .

وأول من يدخل الجنّة من أُمة الإسلام: أبو بكر الصديق .

قال تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ (سورة الواقعة: 10-12) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " **أتاني جبريل فأخذ بيدي، فأراني باب الجنّة الذي تدخل منه أُمتي، فقال أبو بكر: يا رسول الله: وددت أني كُنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنّة من أُمتي**" [2] .

ومما لا شك فيه أن تفاوت درجات الإيمان بين المؤمنين له صلة بتقديم بعضهم على بعض، فكل مرتبة فضل ومكانة، والجنّة درجات، ولكل درجة أهل وسُكان، ويُوضح النبي صلى الله عليه وسلّم هذا الفضل فيمن يسبق بدخول الجنّة بأوصاف تدل على أصحابها .

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**أول زُمرة تلج الجنّة صُورتهم على صُورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألُّوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يُرى مُخ سُوقهما من وراء اللحم من الحُسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قُلوبهم قلب رجل واحد، يُسبحون الله بُكرة وأصيلاً**"[3] .

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (196/33)، كتاب الإيمان، باب: بشارة الأمة، ص 434/1.
[2] أخرجه أبو دود في سُننه: رقم (4652)، كتاب السنة، باب: في الخلفاء، ص 212/4.
[3] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (3245)، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنّة، ص 1002/2.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"عُرضت عليَّ الأُمم، فأخذ النبي يمر معه الأُمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أُمتي قال: نعم، ولكن أنظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، هؤلاء سبعون ألفاً قُدامهم لا حساب عليهم، ولا عذاب، قلت: ولِمَ، قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام إليه عُكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: اللهم اجعله منهم، ثم قام إليه رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: سبقك بها عُكاشة"** [1].

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"إن فُقراء المهاجرين يدخلون الجنّة قبل أغنيائهم بمقدار خمسمائة سنة"** [2].

آخر من يدخل الجنّة: عن أنس بن مالك عن ابن مسعود رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"آخر من يدخل الجنّة رجلٌ فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فتُرفع له شجرة فيقول أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب، ويُعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من**

1 المصدر السابق: رقم (6541)، كتاب الرقاق، باب: يدخل الجنّة سبعون ألفاً، ص 2049/4.
2 أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4123)، كتاب الزاهد، باب: منزلة الفقراء، ص 1381/2.

مائها، ثم تُرفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب أدنني من هـذه لأشـرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول يا ابن آدم ألم تُعاهدني أن لا تسألني غيرها، فيقول : لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها، فيُعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنّة هي أحسن من الأوليين فيقول : أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول: يا ابن آدم ألم تُعاهدني أن لا تسألني غيرها، قال: بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها، فيُدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنّة فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يُصريني منك أيرضيك أن أُعطيك الدُنيا ومثلها معها، قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين، فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك فقالوا: مم تضحك، قال: هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله، قال: من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزئ مني وأنت رب العالمين، فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قدير" [1].

صفة الجنّة: عن أُسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**ألا مُشمر للجنة، فإن الجنّة لا خطر لها وهي ورب الكعبة نوراً يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد،**

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (187)، كتاب الإيمان، باب: آخر أهل النار خروجاً، ص 4118.

ونهر مُطّرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام أبداً، في حبرة ونضرة، في دول عالية سليمة بهية"[1] .

هذه الجنّة كما روى أبو هُريرة عن النبي صلى الله عليه وسلّم حين سُئل عن بنائها، قلنا يا رسول الله أخبرنا عن الجنّة ما بناؤها، قال: **"لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها الياقوت، واللؤلؤ، وترابها الزعفران، من يدخلها يخلد فيها، وينعم لا يبأس، ولا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم"**[2] .

إن وصف الجنّة فوق ما يتخيل المتخيلون، ويصف الواصفون، فلن يستطيع إنسان أن يصف حال الجنّة أو أن يصف شيء من حقيقتها، لأن الجنّة فوق كل ذلك، ونحن حينما تتحدث عن أوصاف الجنّة نقف عند ما ورد في كتاب الله وسُنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلّم، وكما ذكرنا سابقاً من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه في الحديث القدسي: **"أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ذُخراً، بله ما أطلعكم الله عليه، ثم قرأ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾** (سورة السجدة: 17) " [3] .

أبواب الجنّة: للجنّة أبواب، ولهذه الأبواب خزنة، أُمناء عليها، قال تعالى: **﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجنّة زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾** (سورة الزمر: 73) .

1 أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4332)، كتاب الزهد، باب: صفة الجنّة، ص 1488/2.
2 أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (9705)، ص 298/9– حم 445/2.
3 سبق تخريجه.

هذه الأبواب كما قال تعالى: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ (سورة ص: 50) .

وأبواب الجنّة ثمانية كما هو معروف: باب الريان، باب الصبر، باب التوبة، باب الضُحى، باب الصلاة، باب الجهاد، باب الزكاة، وباب السلام.

هذه الأبواب منها ما كان عاماً لكل المؤمنين، ومنها ما كان خاصاً لفئة معينة.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: **"من أنفق زوجين في سبيل الله نُودي في الجنّة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله ما على أحد يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كُلها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: نعم وأرجو أن تكون منهم"** [1] .

إن هذه الأبواب ليست مما يألف الناس من الأبواب، بل هي مما يتناسب مع الجنّة في كبرها وعظمتها، وحجمها وكثرة الداخلين فيها.

عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"أنتم تُوفون سبعون أُمة، أنتم آخرها، وأكرمها على الله عز وجل، وما بين مصراعين من مصارع الجنّة مسيرة أربعين عاماً، ليأتين عليه يوم وإنه لكظيظ"** [2] . معنى كظيظ: شديد الزحام.

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (1027)، كتاب الزكاة، باب: صدقة الزوجة، ص 95/3.

[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (19908)، ص 104/15 – حم 3/5.

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"إذا دخل شهر رمضان فُتحت أبواب السماء، وغُلّقت أبواب جهنم وسُلسلت الشياطين.** وعند الإمام مُسلم **(فتحت أبواب الجنّة)"** [1].

درجات الجنّة: أهل الجنّة يتفاوتون في نعيمهم، فلكل منهم درجة ومقام، فضل من الله تعالى، وسُورة الرحمن أكثر سُور القرآن حديثاً عن درجات أهل الجنّة.

قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (سورة الرحمن :**62**).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (سورة الرحمن: **46**).

وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (سورة الرحمن: **50**).

وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ (سورة الرحمن: **66**).

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ (سورة الرحمن: **70**).

وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (سورة الرحمن: **53**).

وقال تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (سورة الرحمن: **76**).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا ﴾ (سورة طه: **75**).

وقال تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (سورة الإسراء **21**).

هذه الجنّة تتكون من درجات بعضها فوق بعض، يتفاضل أصحابها بحسب الإيمان والتقوى.

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (1899)، كتاب الصوم، باب: هل يُقال رمضان أو شهر رمضان، ص 565/2.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " **مَن آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يُدخله الجنّة، ومن جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي وُلد فيها "، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نُبشر الناس، قال: " إن في الجنّة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنّة، وأعلى الجنّة"، أراه قال: "وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنّة"** [1] .

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال: "**إن أهل الجنّة يتراءون أهل الغُرف فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأُفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين"** [2] .

أما عن وصف جنات الفردوس ما رواه الدارمي في سُننه قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**جنات الفردوس أربع، ثنتان من ذهب حليهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة حليهما وآنيتهما وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنان عدن، وهذه الأنهار تشخب من جنات عدن في جوبة، ثم يصعد بعدُ أنهاراً"** [3] .

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (790)، كتاب الجهاد، باب: درجات المجاهدين، ص 864/2.

[2] المصدر السابق: رقم (3256) كتاب، بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنّة، ص 864/2.

[3] أخرجه الدارمي في سُننه: رقم (2818)، كتاب الرقائق، باب: في جنات الفردوس، ص 228/2.

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنّة منزلة، قال هو رجل يجئ بعدما أُدخل أهل الجنّة، الجنّة، فيُقال له: أُدخل الجنّة فيقول: أي رب وكيف، وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيُقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلِك من مُلوك الدُنيا ، فيقول: رضيت رب، فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** (سورة السجدة: 17)" ([1]) .

الوسيلة وهي أعلى درجات الجنّة، وهي مقام سيدنا مُحمد صلى الله عليه وسلّم.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آتِ مُحمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وُعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة"** ([2]) .

عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"إذا صليتم عليَّ فاسألوا الله لي الوسيلة، قيل: يا رسول الله، وما الوسيلة؟، قال: أعلى درجة في الجنّة لا ينالها إلا رجل واحد، أرجوا أن أكون أنا هو"** ([1]) .

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (189)، كتاب الإيمان، باب: آخر أهل النار خروجاً، ص 413/1.
[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (4719)، كتاب التفسير، باب: (عسى أن يبعثك ربك)، ص 1461/3.

وعن أبي سعيد الخُدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"الوسيلة درجة عند الله، ليس فوقها درجة، فسلوا الله أن يُؤتيني الوسيلة"** [2] .

من أصحاب الدرجات العُلى كافل اليتيم والساعي على الأرملة، والمسكين، والمجاهد في سبيل الله.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنّة،** وأشار بالسبابة والوسطى" [3] .

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله"**، وأحسبه قال: **"وكالقائم لا يَفتر وكالصائم لا يُفطر"** [4] .

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنّة فيقول: يا رب أنى لي هذه فيقول: باستغفار ولدك لك"** [5] .

درجات المكلفين يوم القيامة: أعجبني كلام للدكتور مصطفى مراد قال فيه: أن الخلق درجاتهم يوم القيامة عشرون درجة [6]:

---

1 أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (7588)، ص 350/7 – حم 265/2.
2 المصدر السابق: رقم (11722)، ص 261/10 – حم 3/ 83.
3 أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2983)، كتاب الزهد، باب: الإحسان إلى الأرملة واليتيم، ص 408/6.
4 المصدر السابق: رقم (2982)، ص 408/6.
5 أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (1827)، كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، ص 527/4.
6 انظر: رحلة الخلود: الدار الآخرة – د. مصطفى مراد، ص 567.

الدرجة الأولى: وهي درجة سيد الخلق مُحمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلّم، صاحب اللواء المعقود والحوض المورود، والشفاعة المستجابة، ثم إن له درجة الوسيلة التي لا تنبغي لغيره.

الدرجة الثانية: درجة الرسُل أولي العزم: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، عليهم السلام.

الدرجة الثالثة: من عدا هؤلاء الرسُل الخمسة، على مراتبهم من تفضيل بعضهم على بعض.

الدرجة الرابعة: درجات الأنبياء الذين لم يُرزقوا الرسالة.

الدرجة الخامسة: درجة الصديقين ورثة الرسُل وخُلفائهم في أُممهم والذين ساروا على طريقهم ومنهجهم.

الدرجة السادسة: الأُمراء العُدول، الذين تستقيم بهم حياة الناس والشعوب، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلّم: "**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حُكمهم، وأهلهم وما وُلوا**" [1].

الدرجة السابعة: المجاهدون في سبيل الله، وهُم جُند الله الذين يُقيم بهم دينه.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة الصف: 10-13) .

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، رقم (18/ 1827)، ص 527/4.

الدرجة الثامنة: درجة المنفقون أموالهم في سبيل الله.

الدرجة التاسعة: المؤمنون الذين يفتح الله عليهم باباً من الخير من صلاة وصيام، وحج وقراءة قرآن، واعتكاف.

الدرجة العاشرة: طبقة أهل النجاة، وهم الذين يُؤدون ما عليهم من واجبات فقط، لا يزيدون ولا ينقصون.

الدرجة الحادية عشرة: وهم المسرفون على أنفسهم المرتكبون الكبائر، لكن الله رزقهم التوبة قبل الموت فماتوا على توبة صحيحة، فهؤلاء ناجون.

الدرجة الثانية عشرة: هم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، لكن حسناتهم غلبت سيئاتهم، فهم أيضاً ناجون.

الدرجة الثالثة عشرة: طبقة أهل الأعراف، الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم، هؤلاء آخرتهم الجنّة ولن يدخلوا النار، قال تعالى: ﴿ **وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنّة أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ، وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ، أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنّة لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ** ﴾ (سورة الأعراف: 46-49).

الدرجة الرابعة عشرة: وهم قوم لا طاعة فيهم ولا معصية، ولا كُفر ولا إيمان، ويدخل فيهم:

1. أهل الفِترة الذين لم تبلغهم الدعوة بحال من الأحوال.

2. المجنون الذي لا يعقل شيئاً.

3. الأصم الذي لا يسمع شيئاً.

4. أطفال المسلمين، وأطفال المشركين، فهؤلاء ناجون على الراجح تقديماً لرحمة الله وعدله.

الدرجة الخامسة عشرة: قوم زادت سيئاتهم على حسناتهم بقليل، إلا أنهم أدركتهم الشفاعة فنجوا.

الدرجة السادسة عشرة: طبقة أهل النار من الموحدين، يُعذبون في جهنم، ولكن تُدركهم الشفاعة.

الدرجة السابعة عشرة: وهم طبقة الكُفار المقلدون، وجهلة المشركين، وأتباعهم، إلا أنهم غير محاربين للمسلمين فهم مخلدون في النار لكن عذابهم أخف، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ** ﴾ (سورة غافر: 47-48).

الدرجة الثامنة عشرة: طبقة رُؤساء الكُفر وأئمته ودعاته الذين كفروا وصدوا عباد الله عن الإيمان وعن الدخول في دينه، هؤلاء لهم عذابان، عذاب الكفر، وعذاب الصد عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ** ﴾ (سورة النحل:88).

الدرجة التاسعة عشرة: المنافقون الذين يُظهرون الإسلام، ويُبطنون الكُفر، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴾ (سورة النساء: 145).

الدرجة العشرون: وهي طبقة الجن، فمن كان منهم مُؤمناً التحق بدرجة المؤمنين ماعدا الدرجات الخمس الأولى، ومن كان كافراً، بقي في درجتهم الخاصة بهم.

أنهار الجنّة وعيونها: من مظاهر النعيم والترف الذي يناله أهل الجنّة، الأنهار والعيون، وهي وُجدت لزيادة الثواب، وزيادة الأمن لأهل الجنّة، وهي حينما يرد ذكرها في القرآن الكريم إنما يأتي من باب البشارة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ (سورة البقرة:25).

وقوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ** ﴾ (سورة الرعد: 35).

وأنهار الجنّة مُتعددة ومُتنوعة، وهذا لزيادة اللذة والمتعة، قال تعالى: ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ** ﴾ (سورة محمد: 15).

وقد خص الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلّم بنهر هو نهر الكوثر، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾ (سورة الكوثر: 1).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**هو نهر في الجنّة، حافتاه من ذهب، يجري على الدُر والياقوت، تُربته أطيب من ريح المسك، وطعمه أحلى من العسل، وماؤه أشد بياضاً من الثلج**" [1] .

ومن أنهار الجنّة كما روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: "**رُفعت إليّ السدرة، فإذا أربعة أنهار، نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأما الظاهران فالنيل والفُرات، وأما الباطنان فنهران في الجنّة**" [2] .

وفي رواية أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**سيحان وجيحان، والفُرات والنيل، كلٌ من أنهار الجنّة**" [3] .

عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: " **إن في الجنّة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تُشقق الأنهار بعد**" [4] .

أما عن عُيون الجنّة، فقد ذكرها القرآن بالوصف، منها عين الكافور، وعين التسنيم، وعين السلسبيل.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾ (سورة الإنسان: 5-6) .

---

[1] أخرجه الدارمي في سُننه: رقم (2832)، كتاب الرقائق، باب: في الكوثر، ص 231/2.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (165)، كتاب الإيمان، باب: معراجه (ص) إلى السماوات، ص 369/1.
[3] المصدر السابق: رقم (2839)، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، باب: صفة أهل الجنّة، ص 305/1.
[4] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2690) أبواب: صفة الجنّة، باب: ما جاء في صفة أنهار الجنّة، ص 100/4.

وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا، عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ (سورة الإنسان: 17-18).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ، تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ، يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ، خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (سورة المطففون: 22-28).

نختم حديثنا عن أنهار الجنّة بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة البقرة: 25).

قُصور الجنّة وخيامها: لن يمر في خاطر المؤمن شيء من أنواع النعيم والسعادة والبهجة في الجنّة إلا وجده حاضراً كأحسن ما تمنى وزيادة، وسيجد كل شيء أمامه على صُورة مختلفة في الحُسن والجمال والروعة، ليست متمثلة في متاع الدنيا، وأن وجه الشبه فقط إنما هو في الاسم وما عداه فشيء غير الذي يعرف [1].

ويتبدى كرم الله الكريم فيما أعد لعباده المؤمنين، إذ إن أُعطياته تكون بقدر عظمته سُبحانه وتعالى، فكل داخل الجنّة له مسكنه الذي يركن إليه، وهذا المسكن لا يعرف التواضع كما تعرف بيوت الدنيا، وإنما هي مساكن تأخذ بالألباب من حُسنها وبهائها، قال تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ (سورة التوبة: 72)، وعن المخلصين تحدث الله: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا

[1] انظر: عالم الغيب: د. يحيى مراد، ص 602.

وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ (سورة الفرقان: 75)، وعن المتقين قال تعالى: **﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ ﴾**(سورة الزمر: 2)، وقال تعالى: **﴿ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾** (سورة سبأ: 37) .

وقد وصف النبي هذه المساكن والغُرف وصفاً دقيقاً ليتأملها المؤمنون، وليتفكروا في شكلها وألوانها .

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: "**إن في الجنّة غُرفة يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام"** [1] .

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلّم فقال: "يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام طعام، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنّة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب" [2] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**دخلتُ الجنّة أو أُتيت الجنّة فأبصرت قصراً، فقلت: لمن هذا، قالوا لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله، فلم يمنعني إلا علمي بغيرتك"، قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي يا نبي الله أوعليك أغار.** [3].

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (22803)، ص 463/16 – حم 343/5.
[2] المصدر السابق: رقم (1758)، ص 370/2 – حم 205/1.
[3] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2394)، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر رضي الله عنه، 5/ 541.

أما عن خيام الجنّة، قال تعالى: ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾ (سورة الرحمن: 72) .

الخيمة من أكثر الأشياء أهمية عند العربي، وهي من أعظم مُستلزماته، بداخلها يشعر بالأمن والستر والحنان وتنتقل معه أينما انتقل، وهي الوسيلة الأكثر نجاعة في سُكنى الصحراء، ليس فيها ملل أو رتابة.

لكن خيام الجنّة ليست كخيام الدنيا، عُرضة للتقطيع أو التمزق، أو ذهاب الألوان والجمال.

عن عبد الله بن قيس عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"إن في الجنّة خيمة من لؤلؤة مُجوفة، عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهلٌ ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمنون"** [1] .

وله رواية أُخرى عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"إن للمؤمن في الجنّة لخيمة من لؤلؤة واحدة مُجوفة، طُولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً"** [2] .

كيف نحوز على مساكن الجنّة: من الأعمال التي تُكسب المؤمن بيتاً في الجنّة بناء المساجد، أو المساعدة في بنائها .

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"من بنى لله مسجداً، ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتاً في الجنّة"** [1] .

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (4879) كتاب التفسير، باب (حور مقصورات في الخيام)، ص 1552/3.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2838)، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، باب: دوام نعيم الجنّة، ص 305/6.

ومنها ما روته أم حبيبة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: **"ما من عبد مُسلم يُصلي لله كل يوم اثنتي عشر ركعة تطوعاً غير الفريضة، إلا بنى الله له بيتاً في الجنّة"** أو **"إلا بُنِيَ له بيت في الجنّة"** (2).

أشجار الجنّة وثمارها: أكثر القرآن الكريم، والسُنة النبوية من وصف أشجار الجنّة وثمارها، لأن الأشجار وما عليها من أنواع الثمار المتعددة منظر غاية في الجمال، والنُفوس بطبيعتها تهفو إلى الجمال في جميع أشكاله وصوره، إن كان إنساناً أو حيواناً أو نباتاً، تـملاه العيون، ويهتز له خافق الإنسان طرباً، والطبيعة تتميز في بعض أماكنها بما حباها الله به من جمال المنظر، لروعة أشجارها، ونُضرة أزهارها، وانتثار ورودها، وسيلان أنهارها، وشلالاتها، وتغريد الأطيار في جوها اللطيف البديع، يفتتن الإنسان بهذه المشاهد الباعثة على الأُنس والسُرور، حتى إذا انقلب إلى مسكنه تمنى لو طال به الوقت ليعب من هذا النعيم الذي بهره وسحره، ونفّس عن هُمومه، وأبعد عنه غُمومه.

هذه المناظر الجميلة يستجليها الإنسان في الدنيا، فتأخذ بلُبه، وتسحر فؤاده، ويتمنى أن تطول أيامه، أما نعيم الآخرة، فمبلغ ما يصل إليه عقل الآدمي المتفكر أن يخرج قليلاً عن إطار هذه الصُورة الدنيوية، فيتصور أشجار الجنّة أكبر حجماً، وأكثر جمالاً، وأنضج ثمراً، وهذه حقيقة دلت عليها الأحاديث النبوية الشريفة في نقل صُورة الأشجار والثمار في جنان الخلد للسُعداء من العباد الذين كتب الله لهم أن يتذوقوا هذا النعيم (3).

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (2157)، ص 547/2 – حم 241/1.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (728)، كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل السنن الراتبة، ص 354/2.
[3] انظر: عالم الغيب، د. يحيى مراد، ص 605.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ (سورة النبأ: 31-32) .

وقال تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ (سورة الرحمن: 69) .

وقال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ، فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ، لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (سورة الواقعة: 27-33) .

وقال تعالى: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ (سورة ص: 51) .

وقال تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ (سورة الواقعة: 20) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ، وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (سورة المرسلات: 41-42) .

الإنسان المؤمن تُثيره أوصاف الجنّة، وخاصة أوصاف الأشجار والفاكهة المتعددة، والتي نادراً ما شاهدها في الدنيا وأكل منها، بحكم تواجده في الصحراء بعيداً عن أماكن الزراعة والحدائق والبساتين، فهو يعيش في أماكن صحراوية مُمتدة، قليلة الماء والمطر، نادرة الخُضرة والزرع، يفرح كثير الفرح بُظهور بعض المرعى، فلما يستمع من القرآن الكريم، ومن النبي الصادق عن هذه الأوصاف، تستجيش عواطفه، وتهفو نفسه إليها .

ومن منا لا يُحب الخضرة، ولا تميل نفسه لرؤيتها والتمع بها .

هذه الجنّة كما قال تعالى: ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ (سورة الإنسان: 14) .

أما عن أهلها: فهم: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ (سورة الرحمن: 54) .

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"إن في الجنّة لشجرة يسير الراكب الجواد أو المضمر السريع مائة عام وما يقطعها"** [1] .

ومن شجر الجنّة شجرة سدرة المنتهى التي وصفها الله في كتابه بقوله: **﴿ وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾** (سورة النجم: 13 – 17) .

وفي حديث الإسراء والمعراج الذي يرويه ابن عباس رضي الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"ورُفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبتها كأنه قِلال هَجَر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسألت جبريل فقال: أما الباطنان ففي الجنّة، وأما الظاهران النيل والفُرات"** [2] .

ومن شجر الجنّة شجرة تُسمى (طُوبى) وهي شجرة عظيمة، عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن رجلاً قال له: يا رسول الله طُوبى لمن رآك وآمن بك، قال: **"طُوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طُوبى، ثم طُوبى، ثم طُوبى لمن آمن بي ولم يرني"** وقال له رجل: وما طُوبى، قال: **"شجرة في الجنّة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنّة تخرج من أكمامها"** [3] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنّة، خلقاً تُخلق أم نسجاً تُنسج، فضحك بعض القوم،

---

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4335)، كتاب الزهد، باب: صفة الجنّة، ص 1450/2.
[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (17760)، ص 516/13 – حم 207/4.
[3] المصدر السابق: رقم (11613)، ص 223/10 – حم 71/3.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"مم تضحكون، من جاهل يسأل عالماً"** ثم أكب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ثم قال: **"أين السائل"** قال: هو ذا أنا يا رسول الله، قال: **"لا، بل تُشقق عنها ثمر الجنّة، ثلاث مرات"** [1].

ومن عجائب ما في الجنّة أن أشجارها سيقانها من ذهب.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"ما في الجنّة شجرة إلا وساقها من ذهب"** [2].

إن هذه الأشياء العظيمة التي تحدث للمؤمنين في الجنّة، قد يظن البعض أنها غير معقولة، ناسياً قدرة الله تعالى على كل شيء، وأن كل الأمور هينة أمام قدرته سبحانه وتعالى.

أصحاب الجنّة: قال تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** (سورة الأحقاف: 13-14).

أصحاب الجنّة هُم كُل مُؤمن مُوحد، اتبع هدي الله الذي أنزله على أنبيائه ورسله، فآمن بهم، ونصرهم، والتزم بما فُرض عليه واجتنب ما نُهي عنه.

والأعمال التي تُدخل الناس الجنّة كثيرة، وسوف أُفرد لها جانباً في نهاية الدراسة.

قال تعالى: **﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**

---

[1] المصدر السابق: رقم (7095)، ص 498/6 – حم 225/2.
[2] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2645)، أبواب صفة الجنّة، باب: ما جاء في صفة شجر الجنّة، ص 79/4.

فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة المؤمنون: 1-11).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال: **"أما أهل الجنّة فكل ضعيف مُتضعف، أشعث ذي طمرين لو أقسم على الله أبره"** [1].

وعن عياض بن عمّار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"وأهل الجنّة ثلاثة: ذو سُلطان مُقسط مُتصدق مُوفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قُربى ومُسلم وعفيف مُتعفف ذو عيال"** [2].

عن أبي هُريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"إن أول زُمرة تدخل الجنّة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دُري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يُرى مُخ سُوقهما من وراء اللحم، وما في الجنّة أعزب"** [3].

الأُمة الإسلامية هي أعظم الأُمم يوم القيامة، وهم أكثر من يدخل الجنّة.

عن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"أهل الجنّة عشرون ومائة صنف، ثمانون منها من هذه الأُمة وأربعون من سائر الأُمم"** [4].

---

1 أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (12415)، 470/1 – حم 145/3.

2 أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2865)، كتاب الجنّة وصفة نعيمها: باب: صفات أهل الجنّة، ص 320/6.

3 المصدر السابق: رقم (2834)، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، باب: أول من يدخل الجنّة، ص 302/6.

4 أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (4328)، ص 218/4– حم 453/1.

وعن سعيد بن جُبير قال: حدثني ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : "**عُرضت عليَّ الأُمم، فأخذ النبي يمر معه الأُمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قُلت: يا جبريل هؤلاء أُمتي قال: نعم، ولكن انظر إلى الأُفق فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أُمتك، هؤلاء سبعون ألفاً قُدامهم لا حساب عليهم، ولا عذاب، قُلت: ولم، قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام إليه عُكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: اللهم اجعله منهم، ثم قام إليه رجل آخر، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم، قال: سبقك بها عُكاشة**" [1] .

عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: "**ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله أُومن، أو آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة** " [2] .

وعنه صلى الله عليه وسلّم أنه قال: "**وعدني ربي أن يُدخل الجنّة من أُمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم، ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل**" [3] .

نعيم أهل الجنّة: يتوالى نعيم أهل الجنّة ويتواصل، ومن ضمن هذا النعيم، إكرامهم في أجسادهم وأعمارهم.

[1] المصدر السابق: رقم (6541)، كتاب الرقاق، باب: يدخل الجنّة سبعون ألفاً، ص 2049/4.
[2] المصدر السابق: رقم (7274)، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسُنة، باب: قول النبي (ص) بعثت بجوامع الكلم، ص 2272/4.
[3] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4286)، كتاب الزهد، باب: صفة أمة محمد، ص 1433/2.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"خلق الله عز وجل آدم على صُورته، طُوله ستون ذراعاً، فكل من يدخل الجنّة على صُورة آدم طُوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلّم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يُجيبوك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، قال: فزادوه: ورحمة الله قال: فكل من يدخل الجنّة على صُورة آدم، وطُوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن"**[1] .

وفوق نعمة الأجسام الكبيرة القوية هناك نعمة الجمال، جمال الوجوه، التي تشع ضياءً وبهاءً .

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"أول زُمرة يدخلون الجنّة على صُورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الأُلوة، أزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء"** [2] .

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2841)، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، باب: صفة أهل الجنّة، ص 306/6.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2834/15)، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، باب: أول من يدخل الجنّة، ص 303/6.

أما عن أعمار أهل الجنّة فهم في أعمار الشباب، وقوة الشباب وجمالهم، عن مُعاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"يدخل أهل الجنّةِ الجنّةَ جُرداً، مُرداً، مُكحلين، أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين"** [1].

وفي رواية أُخرى قال عليه السلام: **"أهل الجنّة جُرد مُرد، كحلى، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم"** [2].

أهل الجنّة هؤلاء من فيض الله عليهم أن ينزع ما في صُدورهم من الغل والحسد، ويجعلهم إخواناً مُتحابين.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قُلوبهم قلب رجل واحد، يُسبحون الله بُكرة وعشياً"** [3].

قال تعالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾ (سورة الحجر: 47).

نساء أهل الجنّة: يُهيئ الله سُبحانه وتعالى في الجنّة للمؤمنين من النعم ما لا يعرفه البشر، ولم يروه في الدنيا، ومن ذلك الحور العين، وهُن نساء أهل الجنّة.

ومعنى الحور: شديدة بياض العينين، شديدة سوادها.

قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**﴾ (سورة الدُخان: 54).

وقال تعالى: ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (سورة البقرة: 25).

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (8505)، ص 339/8– حم 343/2.
[2] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2662)، أبواب صفة الجنّة، باب: ما جاء في صفة ثياب أهل الجنّة، ص 86/4.
[3] المصدر السابق: رقم (2660)، باب: ما جاء في صفة أهل الجنّة، ص 85/4.

والحور العين وصفن بكثير من الأوصاف فهنّ الكواعب الأتراب، والأبكار اللائي لم يطمثهن إنس ولا جان، وهُن العُرب، أنشأهن الله إنشاء، هُن أمثال اللؤلؤ المكنون، والياقوت والمرجان، مقصورات في الخيام، هؤلاء الحور جمعن من معاني الحسن والجمال ما لا يستطيع أحد أن يلم بهذه الأوصاف في امرأة من نساء الدنيا .

هذه الحور العين طهرها الله مما يعلق بنساء الدنيا، من حيض، وبول، ونفاس، وغائط، ومخاط، وبُصاق، وكل قذر يعافه الإنسان، كذلك طهّر لسانها من كل فُحش وبذاءة، وطهّر عينها من أن تنظر لغير زوجها، وطهّر ثيابها من أن تُدنس أو تتسخ.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لو أن امرأة من أهل الجنّة اطلعت على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها"** [1] .

وعنه صلى الله عليه وسلّم أنه قال: **"إن في الجنّة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها" قال: "يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبؤس، ونحن الراضيات فلا نسخط، وطُوبى لمن كان لنا وكنا له"** [2] .

وعنه صلى الله عليه وسلّم قال: **"إن أزواج أهل الجنّة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط، إن مما يُغنين: نحن الخيّرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بُقرة أعيان، وإن مما يُغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنه"** [3] .

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (12376)، ص 456/10 – حم 141/3.

[2] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2690)، أبواب صفة الجنّة، باب: ما جاء في كلام الحور العين، ص 99/4.

[3] صحيح الجامع الصغير: الألباني، 48/2.

وغناء الحور العين في الجنّة من باب زيادة النعيم، والتلذذ بسماع أصواتهن الجميلة، وليس في غنائهن لغواً أو هذراً سخيفاً، لأن الجنّة دار طهر وعفاف ونظافة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"إن المرأة من نساء أهل الجنّة لَيُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة، حتى يُرى مُخها، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً، ثم استصفيته لأريته من ورائه"** [1].

عن مُعاذ بن جبل رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"لا تُؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تُؤذينه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يُوشك أن يُفارقك إلينا"** [2].

أما عن صفة جماع أهل الجنّة فكما روى أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"يُعطى المؤمن في الجنّة قوة كذا وكذا من الجماع"** قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك، قال: **"يُعطى قوة مائة"** [3].

أما عن الشهداء، فإن لهم من الفضل ما ليس لغيرهم، فمكانتهم في الجنّة مكانة كبيرة أثنى الله عليهم في كثير من آيات القرآن الكريم، وبيّن النبي فضلهم ومنزلتهم.

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2954)، أبواب صفة الجنّة، باب: ما جاء في صفة نساء أهل الجنّة، ص 83/4.
[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (22000)، ص 198/16– حم 242/5.
[3] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2659)، كتاب صفة الجنّة، باب: ما جاء في صفة جماع أهل الجنّة، ص 84/4.

عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**للشهيد عند الله ست خصال، يُغفر له في أول دفعة، ويُرى مقعده من الجنّة، ويأمن من الفزع الأكبر، ويُوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويُزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقربائه**" [1].

فالحديث صريح بأن للشهيد ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، وليس في الجنّة عزب (غير متزوج) كما مرّ معنا سابقاً.

لباس أهل الجنّة وزينتهم: قال تعالى: ﴿**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ (سورة الحج: 23).

وقال تعالى: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ (سورة فاطر: 33).

ويقول تعالى: ﴿**مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**﴾ (سورة الرحمن: 76).

وغير هذه الأوصاف كثيرة مما أنعم الله به على أهل الجنّة، ونحن نعلم أن الحرير محرّم على رجال المسلمين في الدنيا، فيُعوضهم الله به في الجنّة، فمن ترك شيئاً في الدنيا طاعة لله عوضه الله عنه خيراً منه في الآخرة.

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (17116)، ص 193/13 – حم 131/4.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلّم بثوب من حرير، فجعلوا يعجبون من حُسنه ولينه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لمناديل سعد بن معاذ في الجنّة أفضل من هذا"** [1].

وعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"إن الرجل ليتكئ في الجنّة سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأته فتضرب على منكبيه فينظر في وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تُضيء ما بين المشرق والمغرب"** [2].

ومما وصف النبي به أهل الجنّة قال عليه السلام: **"آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألُوّة، قال أبو اليمان: عود الطيب، ورشحهم المسك"** [3].

وقد مرَّ معنا سابقاً: أنه **"ولا تَبلى ثيابهم"**.

طعام أهل الجنّة وشرابهم: تحدّث القرآن الكريم كثيراً عن طعام وشراب أهل الجنّة، أنهار الماء، وأنهار اللبن، وأنهار العسل، وأنهار الخمر، والفواكه بأنواعها، واللحوم بأنواعها، مما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين، مما لا يُدركه العقل البشري، ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى: **﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾** (سورة الزخرف: 71).

وقال تعالى: **﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ، قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾** (سورة الإنسان: 15-16).

[1] المصدر السابق: رقم (12163)، ص 391/10 – حم 121/3.
[2] المصدر السابق: رقم (11655)، ص 236/10 – حم 75/3.
[3] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2690)، أبواب صفة الجنّة، باب: ما جاء في صفة أهل الجنّة، ص 85/4.

روى الإمام أحمد أن عبد الله بن سلام سأل النبي عليه السلام أول قُدومه إلى المدينة أسئلة منها: ما أول طعام أهل الجنّة قال: **"أما أول طعام أهل الجنّة فزيادة كبد الحوت"** (1).

عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلّم وسأله عن طعام أهل الجنّة فقال: **"زيادة كبد النون"** قال: فما غذاؤهم على إثرها قال: **"يُسخرّ لهم ثور الجنّة الذي كان يأكل من أطرافها"** قال: فما شرابهم عليه، قال: **"من عين فيها تُسمى سلسبيلاً"** (2).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: **"إن أهل الجنّة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون"** قالوا: فما الطعام قال: **"جُشاء ورشح كرشح المسك، يُلهمون التسبيح والتحميد كما تُلهمون النفس"** (3).

سُوق أهل الجنّة: أسواق الدنيا هي أماكن للبيع والشراء، وتبادل المنافع والمصالح، لكن الآخرة، لا بيع فيها ولا شراء، ولا ينطبق عليها مفهوم أسواق الدنيا، أما أسواق الآخرة فهي اجتماع وتزاور ولقاء الأحبة والأهل، وفي أسواق الجنّة الكلام الجميل والتحيات الطيبات.

عن سعيد بن المسيَّب أنه لقي أبا هُريرة، فقال أبو هُريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سُوق الجنّة، فقال سعيد: أفيها سوق، قال نعم، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلّم **"أن أهل الجنّة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يُؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون**

---

1 أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (11996)، ص 346/10 – حم 108/3.

2 أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (315)، كتاب الحيض، باب: وجود الغسل على المرأة، ص 552/1.

3 المصدر السابق: رقم (2835)، كتاب صفة الجنّة ونعيمها، باب: تسبيح أهل الجنّة، ص 304/6.

ربهم، ويبز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنّة، فتُوضع لهم منابر من نُور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم من دنيٍ على كثاب من المسك والكافور، ما يُرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً، قال أبو هُريرة: قلت يا رسول الله: وهل نرى ربنا، قال: نعم ، هل تتمارون في رُؤية الشمس والقمر ليلة البدر، قلنا: لا، قال: كذلك لا تتمارون في رُؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حَاضره الله مُحاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان : أتذكر يوم قُلتَ كذا وكذا، فيذاكره ببعض غدراته في الدنيا ، فيقول يا رب أفلم تغفر لي، فيقول بلى، فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه، فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط، ويقول ربنا قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، فنأتي سُوقاً قد حفت به الملائكة، فيه مالم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيُحمل إلينا ما اشتهينا، ليس يُباع فيها ولا يُشترى، وفي ذلك السُوق يلقى أهل الجنّة بعضهم بعضاً، قال: فيُقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه، وما فيهم من دنيّ فيروعه ما عليه من لباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا، فتتلقانا أزواجنا فيقُلن مرحباً وأهلاً لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا" [1] .

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (1673)، أبواب صفة الجنّة، باب: ما جاء في سوق الجنّة، ص 90/4.

والمؤمن في الجنّة تتحقق له رغباته وما يُحب.

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنّة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي"** [1].

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم كان يوماً يُحدّث، وعنده رجل من أهل البادية: **"أن رجلاً من أهل الجنّة استأذن ربه في الزرع، فقال له: ألستَ فيما شئتَ، قال بلى، ولكني أُحب أن أزرع ، قال: فبذر، فبادر الطرف نباته، واستواؤه واستحصاده، فكان أمثال الجبال، فيقول الله: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يُشبعك شيء، فقال الأعرابي: والله لا تجده إلا قُرشياً أو أنصارياً، فإنهم أصحاب زرع، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك النبي صلى الله عليه وسلّم"** [2].

أما عن طير الجنّة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما الكوثر: قال: **"ذاك نهر أعطانيه الله يعني في الجنّة، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجُزر، قال عمر: إن هذه الناعمة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: أكلتها أنعم منها"** [3].

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (11005)، ص 31/10 – حم 9/3.
[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (2348)، كتاب الحرث والمزارعة، باب: (رقم 20)، ص 699/2.
[3] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2665)، أبواب صفة الجنّة، باب: ما جاء في صفة طير الجنّة، ص 87/4.

صفة خيل الجنّة: من أكثر ما تتعلق به نفس العربي، الخيل والإبل، وهي رفيقته في حله وترحاله، لا غنى عنها، وكانت تقاس مكانة الرجل عندهم، بكم عنده من خيل وإبل.

عن سُليمان بن بُريدة عن أبيه قال: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلّم فقل: يا رسول الله هل في الجنّة من خيل، قال: **"إن أدخلك الله الجنّة فلا تشاء أن تُحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنّة حيث شئت إلا فعلت"**، قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل في الجنّة إبل، قال: فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال: **"إن يُدخلك الله الجنّة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك"** [1].

مكانة الشُهداء في الجنّة: الحديث عن الشهداء لا ينفصل عن الحديث عن الجهاد في سبيل الله والجهاد كما هو معلوم عمود الإسلام وسنامه، ومكانة المجاهدين ومرتبتهم عند الله عظيمة، فبالجهاد والمجاهدين ترتفع راية الدين، وتعلو كلمته، ويتمكن أهل الإسلام، هؤلاء المجاهدون، وهؤلاء الشُهداء كرامتهم عند الله عظيمة، ومنزلتهم في الجنّة عالية.

تحدّث عنهم القرآن في أكثر من موضع، مبيّناً مقامهم ومنزلتهم، وفضلهم، وتحدّث عنهم النبي عليه السلام كثيراً.

[1] المصدر السابق: رقم (2666)، باب: ما جاء في صفة خيل الجنّة، ص 87/4.

قال صلى الله عليه وسلّم: **"طُوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يُؤذن له، وإن شفع لم يُشفع له"** [1].

وقال عليه السلام عن الشهيد: **"ما أحد يدخل الجنّة يُحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيُقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة"** [2].

وعنه صلى الله عليه وسلّم قال: **"ما أغبرّت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار"** [3].

وقال عليه السلام فيما يرويه عنه سهل بن سعد الساعدي، قال: **"رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم في الجنّة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله والغُدوة خير من الدنيا وما عليها"** [4].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"لما أُصيب إخوانكم بأُحد جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خُضر، ترد أنهار الجنّة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحُسن مُنقلبهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن**

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (2887)، كتاب الجهاد والسير، باب: الحراسة في الغزو، ص 890/2.
[2] المصدر السابق: رقم (2817)، باب: تمني المجاهد أن يرجع إلى الدُنيا، ص 782/2.
[3] المصدر السابق: رقم (2811)، باب: من اغبرت قدماه في سبيل الله، ص 780/2.
[4] المصدر السابق: رقم (2892)، باب: فضل رباط يوم في سبيل الله، ص 892/2.

الحرب، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ (سورة آل عمران: 169)" [1] .

أقل أهل الجنّة نعيماً: عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"أدنى أهل الجنّة منزلةً الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وتُنصب له قُبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء"** [2] .

وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"من مات من أهل الجنّة من صغير أو كبير يُردون بني ثلاثين في الجنّة لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار"** . [3]

وعنه عليه السلام بنفس السند: **"إن عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة منها لتُضيء ما بين المشرق والمغرب"**[4] .

الغاية القصوى لأهل الجنّة: رؤية الله تعالى: يتقلب أهل الجنّة في النعيم الذي أكرمهم الله به عندما أدخلهم دار الرضوان، يتأملون ما هم فيه، وما يُكابده الكفار من العذاب في الجحيم، فيحمدون الله ويُسبحونه على أن أنقذهم من العذاب، وشملهم برحمته، وما انقلبوا إليه، فيزدادون حمداً لله وشكراً وتعظيماً .

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (2388)، ص 92/3 – حم 266/1.

[2] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2687)، أبواب صفة الجنّة، باب: ما جاء لأدنى أهل الجنّة من الكرامة، ص 98/4.

[3] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2688)، أبواب صفة الجنّة، باب: ما جاء لأدنى أهل الجنّة من الكرامة، ص 99/4.

[4] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2688) أبواب صفة الجنّة، باب: ما جاء لأدنى أهل الجنّة من الكرامة، ص 99/4.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلّم: **"لا يدخل أحد الجنّة إلا أُري مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أُري مقعده من الجنّة لو أحسن، ليكون عليه حسرة"** [1] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في النار صبغة، ثم يُقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط هل مرَّ بك نعيم قط فيقول: لا يا رب، ويُؤتى بأشد الناس بُؤساً في الدنيا من أهل الجنّة، فيُصبغ صبغة في الجنّة، فيُقال له: يا ابن آدم هل رأيت بُؤساً قط، هل مرَّ بك شدة قط، فيقول: لا والله، يا رب ما مرَّ بي بُؤس قط، ولا رأيت شدة قط"** [2] .

في هذه الأثناء، وأهل الجنّة يتنعمون في نعيمهم يُخاطبهم ربه:

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"إن الله يقول لأهل الجنّة، يا أهل الجنّة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أُعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول: أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً"** [3] .

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6569)، كتاب الرقاق: باب: صفة الجنّة والنار، ص 2054/4.
[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (2807)، كتاب صفات المنافقين، باب: طلب الكفار الفداء، ص 286/6.
[3] المصدر السابق: رقم (2829)، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنّة، ص 300/6.

هنا يُنعم الله على أهل الجنّة بأعظم نعمة وهي نعمة النظر إلى وجهه الكريم، وتكليمه إياهم دون حجاب، يقول تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (سورة القيامة: 23)، وعن الكفار المجرمين من أهل النار يقول تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ (سورة المطففين: 15).

عن صُهيب رضي الله عنه، فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"إذا دخل أهل الجنّة، الجنّة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تُريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تُبيّض وُجوهنا، ألم تُدخلنا الجنّة، وتُنجّنا من النار، قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل"**[1].

وعن صُهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم في قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ (سورة يونس: 26)، قال: **"إذا دخل أهل الجنّةِ الجنّةَ، نادى منادٍ: إن لكم عند الله مُوعداً، قالوا: ألم تُبيّض وُجوهنا، ويُنجّنا من النار، ويُدخلنا الجنّة، قالوا: بلى، قال: فينكشف الحجاب، قال: فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه"** [2].

وأحاديث الرُؤية (رُؤية الله تبارك وتعالى) في الجنّة مُتواترة، إذ رواها نحو ثلاثين صحابياً كما ذكر ابن كثير في كتابه (النهاية في الفتن والملاحم).

ورُؤية الله يوم القيامة رُؤية حقيقية، دُون الدخول في وصف أو تشبيه أو تأويل.

---

[1] المصدر السابق: رقم (181)، كتاب الإيمان، باب: اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم، ص 393/1.

[2] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2676)، أبواب صفة الجنّة، باب: ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى، ص 92/4.

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: أن أُناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"هل تُضارون في رُؤية القمر ليلة البدر، قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تُضارون في رُؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك"** [1].

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جُلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلّم، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: **"إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا، لا تُضاهون في رُؤيته"** [2].

وحديث عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم: **"ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب، ولا تُرجمان يُترجم له، ثم ليقولن له: ألم أُوتك مالاً فيقولن: بلى، ثم ليقولن: ألم أُرسل إليك رسولاً، فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكم النار، ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة"** [3].

إن رُؤية الله تعالى في الآخرة هي الغاية القُصوى في نعيم أهل الجنة، والدرجة العُليا من عطايا الله الفاخرة [4].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"إن أدنى أهل الجنّة منزلة أن ينظر إلى جنانه وزوجاته، ونعيمه وخدمه وسُرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من**

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (182) كتاب الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم، ص 393/1.
[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (7436)، كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: (وجوده يومئذ ناضرة)، ص 2320/4.
[3] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (19268)، ص 454/14 – حم 377/4.
[4] أنظر، عالم الغيب، د. يحيى مراد، ص 624.

ينظر إلى وجهه غُدوة وعشية، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾" [1].

خُلود أهل الجنّة وأهل النار: عن أبي هُريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطّلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا يتبع كل إنسان ما كانوا يعبدون، فيُمثَّل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب التصاوير تصاويره، ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمون فيطّلع عليهم رب العالمين فيقول : ألا تتبعون الناس فيقولون: نعوذ بالله منك، نعوذ بالله منك، الله ربنا ، وهذا مكاننا حتى نرى ربنا ، وهو يأمرهم ويثبتهم، قالوا: وهل نراه يا رسول الله: قال وهل تُضارون في رُؤية القمر ليلة البدر قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم لا تُضارون في رُؤيته تلك الساعة، ثم يتوارى، ثم يطّلع فيُعرّفهم نفسه ثم يقول: أنا ربكم فاتبعوني، فيقوم المسلمون، ويُوضع الصراط، فيمرُّ عليه مثل جياد الخيل والركاب، وقولهم عليه سلّم سلّم، ويبقى أهل النار فيطرح منهم فيها فوج، فيُقال: هل امتلأت، فتقول: هل من مزيد، ثم يُطرح فيها فوج، فيُقال: هل امتلأت، فتقول هل من مزيد، حتى إذا أوعبوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها وأزوى بعضها إلى بعض، ثم قال: قطٍ، قالت: قطٍ، قطٍ، فإذا أدخل الله تعالى أهل الجنّةِ الجنّةَ، وأهل النارِ النارَ، أُوتي بالموت مُلبّباً فيُوقف على السور الذي بين أهل الجنّة وأهل النار، ثم يُقال: يا أهل الجنّة فيطّلعون خائفين، ثم يُقال: يا أهل النار، فيطّلعون مستبشرين**

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2677)، أبواب صفة الجنّة، باب: ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى، ص 92/4.

يرجون الشفاعة، فيُقال لأهل الجنّة ولأهل النار هل تعرفون هذا فيقولون هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه هو الموت الذي وُكل بنا ، فيُضجع فيُذبح ذبحاً على السُور، ثم يُقال: يا أهل الجنّة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت" [1] .

[1] المصدر السابق: رقم (2682)، باب: ما جاء في خلود أهل الجنّة وأهل النار، ص 95/4،

الخــــاتمــة

سأتناول في الخاتمة الأسباب التي تُؤهل الإنسان المؤمن إلى دُخول الجنّة،

مُحاولاً الاستدلال على كل سبب بما يُؤيده من القرآن الكريم

أو السُنة النبوية الصحيحة،

وما كان واضحاً من الأسباب لا يلزم دليلاً سكتُ عنه

أسباب دُخول الجنّة: أشار القرآن الكريم إلى من يستحق دخول الجنّة من عباده:

قال تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (سورة البقرة: 25) .

وقال تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ (سورة يونس: 62-64) .

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجنّة الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ (سورة فصلت: 30) .

وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ (سورة الزمر: 17-18) .

وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ، يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ (سورة التوبة: 20-22) .

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (سورة الشورى: 22-23).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ (سورة يس:11).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب: 45-47).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران: 169 – 170).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة التوبة: 111).

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة: 155-157).

وقال تعالى: ﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الصف: 13).

وقال تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة آل عمران: 133) .

وقال تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (سورة الحديد: 21) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ (سورة الكهف: 107) .

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: 1–11) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: 35) .

وقال تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة التوبة: 112) .

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ (سورة مريم: 63) .

وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (سورة الفرقان: 63 –64) .

وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ، أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (سورة آل عمران: 133–136) .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الصف: 10–11) .

وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (سورة الرحمن: 46) .

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (سورة النازعات: 40–41) .

وغير هذا كثير مما لا يسمح المجال بذكره كله أو معظمه.

وهُناك أسباب تفصيلية لدُخول الجنّة منها:

1. **الإخلاص:** قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ (سورة البينة: 4).

2. **الخوف من الله تعالى:** قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ (سورة فاطر: 28).

3. **التوبة:** التوبة النصوح، الصادقة، سببٌ لدخول الجنّة.

4. **برُّ الوالدين:** وهو من صفات وأخلاق الأنبياء والمرسلين.

5. **الخُشوع في الصلاة:** لقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ** ﴾ (سورة المعارج: 34-35).

6. **الإنفاق والصدقة:** من الأسباب القوية لدخول الجنّة، قال عليه السلام: **"تصدقوا فإن الصدقة فكاككم من النار"** [1].

7. **الصوم في الصيف:** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **"إن الله قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف سقاه الله يوم العطش"** [2].

8. **المجاهدة:** قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (سورة العنكبوت: 69).

---

[1] رواه المنذري في الترغيب والترهيب: رقم (1305)، كتاب الصدقات، باب: الترغيب في الصدقة والحث عليها، ص 61/2.

[2] المصدر السابق: رقم (1463)، كتاب الصوم، باب: الترغيب في الصوم مطلقاً، ص 102/2.

9. **التهجد**: قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ، كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ (سورة الذاريات: 15-18).

10. صلاة الجماعة.

11. شاب نشأ في عبادة الله.

12. الصدق مع الله.

13. **الصبر على البلاء**: عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب، لو أن جلودهم كانت قُرِضت في الدنيا بالمقاريض"** [1].

14. **الغضب لله تعالى**: قال عليه السلام: **"لا تغضب ولك الجنّة"** [2].

15. **الهين السهل اللين في أُموره كلها**: قال عليه السلام: **"حُرّم على النار كل هين لين، سهل، قريب من الناس"** [3].

16. **رقة القلب**: قال عليه السلام: **"يدخل الجنّة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير"** [4]. والطير هو العصفور الصغير.

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سُننه: رقم (2513) أبواب الزهد، باب: ما جاء في ذهاب البصر، ص 28/4.

[2] أخرجه الطبراني في المعجم الوسيط: رقم (2374).

[3] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (3938)، ص 92/4 – حم 415/1.

[4] المصدر السابق: رقم (8364)، 8297 – حم 331/2 .

17. **الشوق إلى الله.**

18. **مجلس الذكر:** قال عليه السلام فيما يرويه عنه سهل بن الحنظلية رضي الله عنه: **"ما جلس قوم يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يُقال لهم قد غُفر لكم ذنوبكم وبُدّلت سيئاتكم حسنات"** [1].

19. **قراءة القرآن والعمل به:** قال عليه السلام: **"من قرأ آية الكرسي دُبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنّة إلا أن يموت"** [2].

20. **البُكاء من خشية الله:** عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"سبعة يُظلهم الله، رجل ذكر الله ففاضت عيناه"** [3].

21. **الموت على عمل صالح:** قال صلى الله عليه وسلّم: **"من خُتم له بصيام يوم يريد به وجه الله عز وجل أدخله الله الجنّة"** [4].

22. **العلم بلا إله إلا الله:** قال عليه السلام: **"من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرّم الله عليه النار"** [5].

---

[1] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: رقم 6(6039).
[2] المصدر السابق: رقم 7532/8.
[3] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (6479)، كتاب الرقاق، باب: البكاء من خشية الله، ص 2033/4.
[4] أخرجه الهيتمي في مجمع الزوائد: ص 183/3.
[5] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (29)، كتاب الإيمان، باب: عقيدة التوحيد، ص 185/1.

23. **إتباع الكتاب والسُنة:** قال عليه السلام فيما يرويه عنه حُذيفة بن اليمان: **"لا يقبل الله لصاحب بدعة صوماً، ولا صلاة ولا حجاً ولا عُمرة ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلاً حتى يُخرج الشعر عن العجين"** [1].

24. **طلب العلم:** عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: **"من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنّة"** [2].

25. **إحسان الوضوء:** عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره"** [3].

26. إسباغ الوضوء على المكاره.

27. كثرة الخُطا إلى المساجد.

28. الرباط في سبيل الله.

29. **انتظار الصلاة بعد الصلاة:** عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات، قالوا: بلى يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط"** [4].

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (49)، المقدمة، باب: اجتناب البدع والجدل، ص 17/1.
[2] المصدر السابق: رقم (223) باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، ص 81/1.
[3] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (245) كتاب الطهارة، باب: خروج الخطايا، ص 481/1.
[4] المصدر السابق: رقم (251) باب: اسباغ الوضوء، ص 487/1.

30. **الدُعاء بعد الوضوء**: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**ما من مسلم يتوضأ فيُحسن الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فُتحت له ثمانية أبواب الجنّة، يدخل من أيها شاء**" [1].

31. **صلاة ركعتي الوضوء**: عن عُقبة بن عامر رضي الله عنه قال: أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلّم قائماً يُحدث الناس فأدركت من قوله: "**ما من مسلم يتوضأ فيُحسن وضوءه ثم يقوم فيُصلي ركعتين، مُقبل عليهما بقلبه، ووجهه، إلا وجبت له الجنّة**" [2].

32. **الأذان مع تصديق القلب**: عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: "**من أذن ثنتي عشرة سنة، وجبت له الجنّة، وكُتبت له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة، ولكل إقامة ثلاثون حسنة**" [3].

33. **إجابة المؤذن باللسان والقلب**: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**إذا قال المؤذن الله أكبر، الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر، الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله قال: أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال: حي على الصلاة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم**

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (470)، كتاب الطهارة، باب: ما يُقال بعد الوضوء، 159/1.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (234) كتاب الطهارة، باب: المستحب عقب الوضوء، ص 470/1.

[3] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (728) كتاب الأذان، باب: فضل الأذان والمؤذنين، ص 241/1.

قال: حي على الفلاح ، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر، الله أكبر قال: الله أكبر، الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنّة" [1] .

34 . **الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام بعد إجابة المؤذن:** عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: **"إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول: ثم صلّوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنّة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له شفاعتي"** [2] .

35 . **بناء المساجد لله تعالى:** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: **"من بنى مسجداً يُذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتاً في الجنّة"** [3] .

36 . **الغُدو والرواح إلى المسجد:** عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"من غدا إلى المسجد وراح، أعد الله له نُزله من الجنّة كلما غدا أو راح"** [4] .

37 . **الذهاب إلى المسجد في ظلمة الليل:** عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة"** [5] .

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (385)، كتاب الصلاة، باب: استحباب القول مثل المؤذن لمن سمعه، ص 67/2.

[2] المصدر السابق: رقم (384) ص 66/2.

[3] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (735) كتاب المساجد: باب من بنى لله مسجداً، ص 243/1.

[4] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (662) كتاب الأذان، باب: فضل من غدا إلى المسجد ومن راح، ص 209/1.

[5] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (781)، كتاب المساجد، باب: المشي إلى المساجد، ص 257/1.

38. الصلاة لوقتها .

39. بر الوالدين.

40. **الجهاد في سبيل الله:** عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلّم: أي العمل أحب إلى الله، قال: "**الصلاة على وقتها**" قال: ثم أي، قال: "**ثم بر الوالدين**" قال: ثم أي، قال: "**الجهاد في سبيل الله**" [1] .

41. الدُعاء بعد الأذان.

42. المحافظة على الصلوات الخمس بخشوعهن ووقتهن.

43. إحسان الوضوء والصلاة.

44. المحافظة على صلاة الجماعة.

45. **المحافظة على صلاة البُردين:** الصبح والعصر، عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: "**من صلى البُردين دخل الجنّة**" [2] .

46. **السباق إلى عمل الخير:** عن أبي ذر الغفاريّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: "**من غرس غرساً لم يأكل منه آدمي ولا خلق من خلق الله عز وجل إلا كان له صدقة**" [3] .

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (527)، كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، ص 179/1.

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (573)، كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة الفجر، ص 189/1.

[3] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (27379)، ص 571/18 – حم 444/6.

47. **كثرة ثناء الناس على العبد بإخلاص وصدق:** عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"أهل الجنّة من ملأ الله (تعالى) أُذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع، وأهل النار من ملأ الله (تعالى) أُذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع"** [1].

48. **المصافحة عند اللقاء.**

49. **إبعاد الأذى عن الطريق:** عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"من أخرج من طريق المسلمين شيئاً يُؤذيهم كتب الله له به حسنة، ومن كُتب له عنده حسنة أُدخل بها الجنّة"** [2].

50. **طول العمر في الطاعة:** عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كُتب له بها حسنة، ورُفع بها درجة، أو حُط عنه بها خطيئة"** [3].

51. **عزاء المسلم في مُصيبته:** عن عمرو بن حزم رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"ما من مسلم يُعزي أخاه إلا كساه الله من حُلل الكرامة يوم القيامة"** [4].

52. **تغسيل الموتى وسترهم.**

53. **تكفين الموتى وكسوتهم.**

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4224)، كتاب الزهد، باب: الثناء الحسن، ص 1412/2.
[2] رواه الطبراني في الأوسط: رقم (32).
[3] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (6672)، ص 228/6 – حم 179/2.
[4] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (1601)، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في ثواب من عزى مصاباً، ص 511/1.

54. حفر القبور للموتى ودفنهم.

عن أبي رافع رضي الله عنه، حدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"من غسّل مسلماً فكتم عليه غُفر له أربعين مرة، ومن حفر له فأجنّه أُجري عليه كأجر مسكن أسكنه إياه إلى يوم القيامة، ومن كفنه كساه الله يوم القيامة من سندس وإستبرق الجنّة"** [1].

55. **المحافظة على صلاة الضحى أربعاً، وصلاة سُنة الظهر القبلية أربعاً**: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **"من صلى الضحى أربعاً وقبل الأولى أربعاً، بُني له بيت في الجنّة"**.

56. **سُؤال الله الجنّة**: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"من سأل الجنّة ثلاث مرات، قالت الجنّة: اللهم أدخله الجنّة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار"** [2].

57. **الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات.**

58. **صلاة اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة**: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"من ثابر على اثنتي عشرة ركعة من السُنة بُني له بيت في الجنّة، أربع قبل الظهر، وركعتين بعد الظهر، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر"** [3].

[1] أخرجه البيهقي في السُنن الكبرى: رقم (6655)، كتاب الجنائز، باب: من رأى شيئاً من الميت، ص 554/3 – قديم 395/3.

[2] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4340)، كتاب الزهد، باب: صفة الجنّة، 1453/2.

[3] المصدر السابق: رقم (1140)، كتاب إقامة الصلاة، باب: ما جاء في ثنتي عشرة ركعة، ص 361/1.

59. المحافظة على قيام الليل.

60. الدُعاء بسيد الاستغفار صباحاً ومساءً.

61. قول سبحان الله وبحمده صباحاً ومساءً مائة مرة.

62. **عدم سؤال الناس:** عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"من تكفّل لي أن لا يسأل الناس شيئاً أتكفل له بالجنّة"** [1].

63. إنظار المعسر ومسامحته.

64. تفريج كُرب المكروبين.

65. التيسير على المعسرين.

66. ستر المسلمين.

67. **السماح عن بعض الدين عن المعسرين.**

68. **الخروج لطلب العلم:** عن أبي هُريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"من نفّس عن مسلم كُربة من كُرب الدنيا نفّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسّر على مُعسّر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنّة"** [2].

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (22274)، ص 289/16 – حم 276/5.

[2] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (225) المقدمة، باب: فضل العلم، ص 82/1.

69. إطعام الطعام.

70. إتباع الجنائز.

71. **زيارة المرضى:** عن أبي هُريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"من أصبح منكم اليوم صائماً "، قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: " فمن تبع منكم اليوم جنازة " قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: " فمن منكم أطعم اليوم مسكيناً " قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: "فمن عاد منكم اليوم مريضاً " قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنّة"** [1].

72. **قيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً.**

73. الحج المبرور.

74. **العُمرة:** عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: **"العُمرة إلى العُمرة، كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنّة"** [2].

75. الصلاة في المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

76. الصلاة في مسجد قباء.

77. تجهيز الغُزاة ورعاية أهليهم.

78. احتباس الخيل للجهاد في سبيل الله.

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (1028)، كتاب الزكاة، باب: الحث على الإنفاق، 97/3.
[2] المصدر السابق: رقم (1349)، كتاب الحج، باب: فضل يوم عرفة، 477/3.

79. الغُبار في سبيل الله تعالى.

80. الموت بالطاعون، أو بداء البطن، أو المحترق، أو بالهرم، أو المرأة تموت وفي بطنها ولدها، أو الموت غرقاً.

81. تعلم القرآن وتعليمه.

82. المهارة في حفظ القرآن وفهمه والعمل به وتعليمه وتعلمه.

83. إرسال الولد لحفظ القرآن.

84. المواظبة على مجالس العلم والذكر.

85. الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وأن الجنّة حق وأن النار حق.

86. الإكثار من قول سبحان الله وبحمده.

87. الإكثار من قول لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

88. الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلّم.

89. أكل الحلال.

90. العمل في سُنة من سُنن النبي عليه السلام.

91. أن يأمن الناس شره.

92. **السماحة في البيع والشراء، والقضاء والتقاضي:** عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى**" [1].

93. الأمانة والصدق.

94. العفة والتعفف.

95. رضا الزوج عن زوجته.

96. **طاعة المرأة وحفظ فرجها:** قال عليه السلام: "**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: أُدخلي الجنّة من أي أبوابها الثمانية شئت**" [2].

97. تربية البنات، وتعليمهن، ورعايتهن.

98. تربية الأخوات، وتعليمهن، ورعايتهن.

99. **الصبر على فقد الأولاد الصغار:** عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "**ما من الناس مسلماً يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنّة**" [3].

100. الحكم بين الناس بالعدل.

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (2203)، كتاب التجارات، باب: السماحة في البيع، ص 742/2.
[2] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (1661)، ص 306/2 – حم 191/1.
[3] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (1382)، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المُسلمين، ص 410/1.

101 . إمام عادل.

102 . شاب نشأ في طاعة الله، وكذلك الفتاة.

103 . رجل قلبه معلق بالمساجد .

104 . رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، وكذلك المرأتان.

105 . **رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، وكذلك المرأة.**

106 . رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، وكذلك المرأة.

107 . **رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، وكذلك المرأة.** عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"سبعة يُظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه"** [1] .

108 . إعطاء الجار حقه.

109 . **صلة الرحم:** عن جُبير بن مطعم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: **"لا يدخل الجنّة قاطع رحم"** [2] .

110 . زيارة الإخوان والصالحين.

[1] المصدر السابق: رقم (1423)، كتاب الزكاة، باب: الصدقة باليمين، ص 424/1.

[2] المصدر السابق: رقم (5984)، كتاب الأدب، باب: إثم القاطع، ص 1895/4.

111 . عيادة المرضى.

112 . إكرام الضيف.

113 . الحياء.

114 . حُسن الخلق.

115 . الرفق والأناة.

116 . الحِلم وعدم الغضب.

117 . **عدم كثرة الكلام، والصمت إلا عن خير:** عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه قال: **"من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنّة"** [1].

118 . صدق الحديث.

119 . الوفاء بالوعد.

120 . أداء الأمانة.

121 . حفظ الفُروج.

122 . غض البصر.

[1] المصدر السابق: رقم (6474)، كتاب الرقاق، باب: حفظ اللسان، ص 2032/4.

123. **كف اليد عن الحرام:** عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنّة: أصدقوا إذا حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، وأحفظوا فروجكم، وغُضوا أبصاركم، وكُفوا أيديكم"** [1].

124. **خشية الله تعالى.**

125. **رجاء الله تعالى.**

126. **حُسن الظن بالله تعالى مع الخوف منه.**

127. **الصبر عند فقد العينين:** عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: **"إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر، عوضته منهما الجنّة"** [2].

128. **سُؤال الله الشهادة في سبيل الله تعالى بصدق:** قال عليه السلام: **"من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه"** [3].

وغير هذه الأعمال كثير وكثير مما يُدخل صاحبها الجنّة، وهذا من رحمة الله بعباده المؤمنين.

آخر أهل النار خُروجاً:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"إني لأعلم آخر أهل النار خُروجاً منها، وآخر أهل الجنّة دُخولاً الجنّة، رجل يخرج من النار حبواً، فيُقال**

[1] أخرجه الإمام أحمد في مُسنده: رقم (2656)، ص 413/16 – حم 323/5.

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: رقم (5653)، كتاب المرضى، باب: من ذهب بصره، ص 1810/4.

[3] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: رقم (1909)، كتاب الإمارة، باب: استحباب طلب الشهادة، ص 49/5.

له: اذهب فادخل الجنّة، فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله: اذهب فادخل الجنّة، فيأتيها، فيُخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله سبحانه: اذهب فادخل الجنّة، فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب إنها ملأى، فيقول الله اذهب فادخل الجنّة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، (أو لك مثل عشرة أمثال الدنيا)، فيقول: أتسخر بي (أو أتضحك بي)، وأنت الملك"، قال: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلّم ضحك حتى بدت نواجذه، فكان يُقال: **هذا أدنى أهل الجنّة منزلة** [1] .

اللهم اجعلنا من أهل الجنّة، اللهم اجعلنا من أهل الجنّة، اللهم اجعلنا من أهل الجنّة

اللهم اجمعني وآبائي ومن له فضل عليَّ مع النبي محمد عليه السلام في الجنّة دار السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في سُننه: رقم (4339)، كتاب الزهد، باب: صفة أهل الجنّة، ص 1452/2،

المراجـــــــــــــع

1. القرآن الكريم.
2. الإنجيل: دار الثقافة ـ القاهرة ــ 1982م.
3. العهد القديم (التوراة): دار الكتاب المقدس ـ قبرص ــ 1998م.
4. ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد ــ المُصنّف في الحديث والآثار ــ الدار السلفية ــ بومباي ــ الأولى ــ 1403هـ.
5. ابن حنبل: أحمد ـ المسند ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ الأولى ــ 1995م ـ تحقيق أحمد شاكر.
6. ابن عساكر: علي بن الحسن ـ تاريخ دمشق ــ دار الفكر ــ بيروت ــ 1997م.
7. ابن فارس: الحسين بن أحمد ـ معجم مقاييس اللغة ـ دار الجيل ـ بيروت ـ الأولى ــ 1991م.
8. ابن كثير: إسماعيل القرشي ـ البداية والنهاية ـ دار الفجر للتراث ـ القاهرة ـ الأولى ـ 2003م.
9. ابن كثير: إسماعيل القرشي ـ تفسير القرآن العظيم ـ دار الأندلس ـ بيروت ـ الخامسة ـ 1984م.
10. ابن كثير: إسماعيل القرشي ــ النهاية في الفتن والملاحم ــ دار الصابوني ــ القاهرة ــ الأولى ــ 1986م.
11. ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني ـ السُنن ـ المكتبة العلمية ــ بيروت.
12. ابن منظور: محمد بن جلال الدين ـ لسان العرب ـ دار الجيل ـ بيروت ـ 1988م.
13. أبو داود السجستاني: سليمان بن الأشعث ـ السُنن ـ الدار المصرية اللبنانية ــ القاهرة ـ الأولى ــ 1988م.
14. الأصفهاني: أبو نُعيم ـ حِلية الأولياء وطبقات الأصفياء ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.
15. الأصفهاني: الحسين بن محمد ـ مفردات غريب القرآن ــ مصطفى البابي الحلبي ــ مصر.

16. البخاري: محمد بن إسماعيل ـ الصحيح ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ الأولى ـ 1997م.

17. البستي: ابن حبان ـ الصحيح ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ 1414هـ.

18. البغوي: الحسين بن مسعود ـ شرح السُنة ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الأولى ـ 1983م.

19. البيهقي: أحمد بن الحسين ـ السُنن الكبرى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ـ 1994م.

20. الترمذي: أبو عيسى بن سورة ـ الجامع الصحيح ـ المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة ـ الأولى ـ 1966م.

21. التهانوي: محمد بن علي ـ كشاف اصطلاحات الفنون ـ طبعة الهند ـ كلكته.

22. الحاكم النيسابوري: عبد الله ـ المستدرك على الصحيحين ـ حيدر آباد ـ الهند .

23. حسان: محمد ـ أحداث النهاية ـ مكتبة فياض ـ المنصورة ـ الأولى ـ 2007م.

24. الخطيب: عبد الكريم ـ قضية الألوهية بين الفلسفة والدين ـ دار الفكر العربي ـ الأولى ـ 1962م.

25. الدارمي: عبد الله بن بَهرام ـ السُنن ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الأولى ـ 1994م.

26. ديورانت: ول ـ قصة الحضارة ـ دار الجيل ـ بيروت ـ الأولى.

27. الرازي: فخر الدين ـ تفسير (مفتاح الغيب) ـ مكتبة الإيمان ـ المنصورة ـ الأولى ـ 1991م.

28. رضا: محمد رشيد ـ تفسير المنار ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ الثانية.

29. زغلول: محمد السعيد ـ موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ـ دار الفكر ـ بيروت ـ 1994م.

30. السيوطي: جلال الدين ـ صحيح الجامع الصغير ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الأولى ـ 1969م.

31. السُهيلي: أبو القاسم ـ الروض الأنف ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ 1387هـ.

32. الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم — الملل والنحل ـ مطبعة حجازي ـ مصر ـ 1367هـ.

33. الصنعاني: عبد الرزاق بن الهُمام ـ المصنّف ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الثانية ـ 1403هـ.

34. الطبراني: سليمان بن أحمد ـ المعجم الأوسط ـ دار الحرمين ـ القاهرة ـ الأولى ـ 1415هـ.

35. الطبراني: سليمان بن أحمد ـ المعجم الكبير ـ دار مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ الثانية.

36. الطبري: محمد بن جرير ـ تفسير جامع البيان ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ الأولى.

37. طنطاوي: محمد سيد ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ نهضة مصر ـ القاهرة ـ الأولى ـ 1998م.

38. عبد الباقي: محمد فؤاد ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

39. العسقلاني: أحمد بن علي ـ فتح الباري ـ دار الفكر ـ بيروت ـ 1996م.

40. عطا: عبد القادر أحمد ـ المهدي المنتظر ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ـ الأولى ـ 1980م.

41. العطار: حسني محمد ـ القضية الفلسطينية رؤية إسلامية ـ صوت القلم العربي ـ مصر ـ الأولى ـ2009م

42. العطار: حسني محمد ـ من آيات الإعجاز في القرآن الكريم ـ غزة ـ الأولى ـ 2009م.

43. العقاد: عباس محمود ـ كتاب الله ـ دار المعارف ـ مصر ـ السابعة ـ 1976م.

44. علي: جواد ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ الثانية ـ 1980م.

45. قاموس الكتاب المقدس: مجموعة ـ مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ـ بيروت ـ الثانية ـ 1971م.

46. القرطبي: محمد بن أحمد ـ التذكرة في أحوال الآخرة ـ دار المنار ـ القاهرة ـ الأولى ـ 1997م.

47. قطب: سيد ــ في ظلال القرآن ــ دار الشروق ــ القاهرة ــ السابعة ــ 1978م.

48. قنيّبي: حامد ــ المشاهد في القرآن الكريم ــ دار المنار ــ الأردن ــ الأولى ــ 1984م.

49. مسلم: ابن الحجاج ــ الصحيح ــ دار السلام ــ القاهرة ــ الثالثة ــ 1996م.

50. مراد: مصطفى ــ رحلة الخلود ــ دار الفجر للتراث ــ القاهرة ــ الأولى ــ 2005م.

51. مراد: مصطفى ــ الحكمة الإلهية ـ دار الفجر للتراث ـ القاهرة ـ الأولى ـ 2004م.

52. مراد: يحيى ــ عالم الغيب بين الوحي والعقل ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الأولى ــ 2003م.

53. المقدم: محمد ــ المهدي وفقه أشراط الساعة ــ الدار العلمية ــ الإسكندرية ــ الأولى ــ 2002م.

54. المنذري: زكي الدين بن عبد العظيم ــ الترغيب والترهيب ــ دار الحديث ــ القاهرة ــ الأولى ــ 1994م.

55. النسائي: أحمد بن شعيب ــ السُنن ــ دار المعرفة اللبنانية ــ القاهرة ــ 1987م.

56. النووي: محيي الدين بن زكريا ــ شرح صحيح مسلم ــ دار السلام ــ القاهرة ــ الثالثة ــ 1996م.

57. الهيثمي: نور الدين ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ1982م.

كشف مؤلفات الأستاذ حسني العطار

داعياً الله أن ينفع بها وأن تكون في ميزان حسناته ومن له حق وفضل عليه:

أولاً. الدراسات القرآنية:

١/1. من آيات الإعجاز في القرآن الكريم (دراسة).

٢/1. الاستهزاء والسخرية في ضوء القرآن الكريم. (دراسة). طبع

3/3. الحوار في القرآن الكريم: دراسة ونموذجاً. (دراسة). طبع

٤/4. قيم تربوية مستنبطة من قصص سورة الكهف. (دراسة). طبع

5/5. الرازي ومنهجه في التفسير وموقفه من اليهود. (دراسة).

ثانياً. علوم الحديث ومصطلحه:

٦/1. قضايا حديثية. (دراسة). طبع

٧/2. دراسات حديثية تحليلية معاصرة. (دراسة). طبع

٨/3. قطوف ومختصرات من علم أصول الحديث.

٩/4. إرشاد الأبرار إلى تخريج أحاديث المختار. (مساق أكاديمي).

١٠/5. مفتاح كتاب تحفة الأشراف للإمام المزّي

ثالثاً. دراسات في العقيدة:

1/11. أثر العقيدة الإيمانية على الصحة النفسية. (دراسة). طبع

2/12. يوم القيامة بين التأصيل الديني والعقلي. (دراسة).

3/13. المختصر المفيد لأشراط الساعة وأحداث يوم الوعيد.

4/14. العقائد اليهودية فساد وإفساد دراسة ونقض. (دراسة).

5/15. العقائد النصرانية ضلال وإضلال دراسة ونقض. (دراسة).

6/16. دراسة وتحليل لسفر أخبار الأيام الثاني. (دراسة).

7/17. مختصر لكتاب "التوسل أنواعه وأحكامه" للشيخ ناصر الدين الألباني.

8/18. مختصر لكتاب "الروح" لابن قيم الجوزية.

9/19. نظرات سريعة في كتاب " قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة " (اختصار).

10/20. مختصر لكتاب "منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد " لعثمان علي حسن.

11/21. تلخيص كتاب شفاء العليل في القضاء والقدر لابن قيم.

12/22. الإيمان وأثره في الأمن المجتمعي. دراسة، طبع

رابعاً. السير والشخصيات:

1/23. الشيخ رجب العطار ذاكرة أمة. (مذكرات). طبع

2/24. الشيخ رجب العطار مجاهداً. (دراسة). طبع

3/25. أبي قصة حياة. طبع

4/26. عبد الرحمن بارود: شاعر المقاومة ـ (دراسة نقدية). طبع

5/27. أمي سلام عليك في الخالدين. طبع

6/28. مصطفى محمود حياته وآراؤه الاعتقادية. (دراسة). طبع

7/29. مصطفى محمود حياته وموقفه من المذاهب الفكرية المعاصرة. (دراسة). طبع

8/30. الدكتور مصطفى محمود: آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة (رسالة ماجستير).

9/31. طوبى للغرباء: قصة حياة الحاج موسى برهوم. مقالات. طبع

10/32. رثائيات.

11/33. شخصيات عرفتهم. مقالات.

12/34. في عيونهم.

13/35. د. موسى أبو مرزوق مشوار حياة.

14/36. عاشق فلسطين: عبد الكريم الكرمي (دراسة).

خامساً. دراسات فقهية:

1/37. الانتخابات وأحكامها في الإسلام. (دراسة). طبع

2/38. الوديعة المصرفية: دراسة فقهية – اقتصادية. (دراسة).

3/39. الدية في الشريعة الإسلامية (دراسة فقهية).

4/40. حقوق المرأة المالية في الإسلام. (دراسة فقهية). طبع

5/41. دية المرأة المسلمة في الشريعة الإسلامية. (دراسة فقهية).

6/42. الخنزير: أخطاره وأحكامه (دراسة مقارنة).

7/43. السماحة الإسلامية في الضرورة الشرعية. (دراسة). طبع

8/44. الوالدان: بين البر والعقوق. (دراسة). طبع

9/45. ثورات الربيع العربي وحكم الخروج على الحكام (دراسة). طبع

10/46. تلخيص كتاب الاختلافات العلمية.

سادساً. دراسات في الفكر والثقافة:

1/47. شرع من قبلنا (دراسة).

2/48. رمضانيات. (مجموعة مقالات). طبع

3/49. السنن الإلهية: وحركة النهضة الإنسانية – دراسة وعرض. (دراسة). طبع

4/50. نظرية الخلافة عند الخوارج. (دراسة). طبع

5/51. أهم أسباب تخلف العرب والمسلمين. (دراسة). طبع

6/52. نظرية الإمامة عند الشيعة. (دراسة). طبع

7/53. قيمنا الأخلاقية بين الأهمية والحاجة. (دراسة). طبع

8/54. الأخلاق بين الادعاء والالتزام. (دراسة). طبع

9/55. كورونا بين المحنة والمنحة. طبع

10/56. الإخوان المسلمون: شهادتي لله والتاريخ. طبع

11/57. فيس بوك صائم. طبع

12/58. الصوم وتهذيب النفس. دراسة. طبع

13/59. الفرق بين الجهاد والإرهاب. (دراسة). طبع

14/60. نظرية الفضيلة عند اليونان والمفكرين الإسلاميين. (دراسة).

15/61. قضايا دينية وفكرية. مقالات. طبع

16/62. البابية والبهائية: ضلال وإضلال. (دراسة).

17/63. في الدين والحياة. (مجموعة مقالات). طبع

18/64. بين الخير والشر. تأملات فلسفية واجتماعية. طبع

19/65. سهام الغرب نحو الإسلام والمسلمين. طبع

سابعاً. دراسات أدبية:

1/66. بين الذكريات. ثلاثة أجزاء مقالات. طبع

2/67. صعوبة المطالب في بلاد الله غالب. رواية. طبع

3/68. العطار في بلاد المختار. رواية. طبع

4/69. حكاية مواطن غزاوي. حكاية. طبع

5/70. قصص وحكايات.

6/71. شاميات. حكاية من حلقات طبع

7/72. لو سمحت لحظة من فضلك.

8/73. الزمن الجميل. رواية. طبعت

ثامناً. دراسات فلسطينية:

1/74. مدينة القدس، والمسجد الأقصى: ماضٍ مجيد ومستقبل موعود. (دراسة). طبع

2/75. فلسطين: نقض مزاعم الكتاب المقدس. (دراسة). طبع

3/76. فضائل فلسطين وبيت المقدس في الكتاب والسنة. (دراسة). طبع

4/77. القضية الفلسطينية: رؤية إسلامية. (دراسة). طبع

5/78. القدس بين التهديد والتهويد. (محاضرات ومقالات). طبع

تاسعاً. في الفكر السياسي:

1/79. أوسلو وخيبة الأمل الفلسطينية. مقالات. طبع

2/80. هموم كاتب ما بعد الهزيمة. طبع

3/81. أنا والسلطة والوطن. مقالات. طبع

4/82. الجزيرة العربية قبل الإسلام: الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية. (دراسة)

5/83. مصر التي في خاطري. (مقالات ومنشورات) طبع

6/84. مصر وقطاع غزة الأرض والسكان. مقالات طبع

7/85. أوراق عربية. (مقالات). طبع

8/86. إسرائيليات. طبع

9/87. الماسونية: أخطر الجمعيات السرية. (دراسة) طبع

10/88. مستقبل الصراع الإسلامي الصهيوني من خلال كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون". (دراسة). طبع

11/89. انعكاسات حرب ٢٠٠٨م على المجتمع الفلسطيني والمجتمع الإسرائيلي. (دراسة تحليلية). طبع

12/90. فلسطينيات مقالات في الوطن والقضية. مجموعة مقالات. طبع

كتب تحت الإنجاز:

1. الشوق والحنين. سيرة ذاتية.
2. أنا والمسجد الأقصى.
3. هل أنصف العرب الفلسطينيين وقضيتهم.
4. إنسانيات.
5. غزة بين الصمود والقهر.
6. الأستاذ صبري. رواية اجتماعية

المحتويات

تم بحمد الله